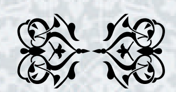
الفتوحات اليسرية

في

شرح عقائد الأمة المحمدية



الكتاب: الفتوحات اليسرية في شرح عقائد الأمة المحمدية

المؤلف: د يسري جبر

الطبعة: الأولى / ٢٠٢١

بلد الطباعة: القاهرة – مصر

رقم الإيداع: ٢٠٥٢٣/ ٢٠٢١

الترقيم الدولي: 978-9776-802-30-8

الفتوحات اليسرية

في

شرح عقائد الأمة المحمدية

شرح عقيدة العوام للشيخ أحمد المرزوقي

شرح الخريدة البهية للشيخ أحمد الدردير

شرح عقيدة العارفين بالله في كتاب الرسالة القشيرية

شرحها

بالأزهر الشريف وبمسجد الأشراف بالمقطم

الشيخ الدكتور يسري جبر الحسني الأزهري

من علماء الأزهر الشريف

تفريغ وجمع وترتيب وتحقيق

خلدون أمين الهيتي القادري

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، قيوم السموات والأرضين ومن فيهن، الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى والصفات العُلى، تنزه عن احتياجه إلى التنزيه، وتقدس عن التمثيل والتشبيه، لا تدركه البصائر والأبصار، ولا تحويه الجهات والأقطار، ليس له شريك ولا وزير ولا شبيه ولا نظير ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠﴾ [الصافات:١٨٠].

كان الله ولم يكن شيء معه، قبل خلق الزمان والمكان، وهو الآن على ما عليه كان. وليت شعري كيف يُسأل عنه بكيف وأين؟ وهو خالق الكيفية والأينية ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ٦٢﴾ [غافر:٦٢].

أوجد الوجود بمحض إرادته وحكمته ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ٢٣﴾ [الأنبياء:٢٣]، وتجلى عليه برحمانيته ورحيميته، فأمده حتى صار له وجود ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ٤١﴾ [فاطر:٤١].

بعيد في قربه، قريب في بعده ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]، دون اتصال ولا انفصال ولا حلول ولا اتحاد، إذ الوجود عدم على الحقيقة فكيف يحل واجب الوجود بالمعدوم والفاني؟!!!.

لو انقطعت تجلياته عن العوالم طرفة عين لانهدمت ورُدت إلى حقيقتها ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾[الرحمن:٢٦-٢٧].

خلق الخلق وأراد أن يتعرفوا عليه، فاصطفى الأنبياء والمرسلين وفضّلهم على العالمين، وأسجد لهم الملائكة المُعظَمين، إبرازًا لشأنهم العظيم، فهم رسل الملك الحق المبين.

مُنزهون عن الصغائر والكبائر، قبل النبوة وبعدها، فعصمهم من اتِّباع النفس والهوى والشيطان، فهم المخلَصون المخلِصون ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝٤٠ قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۝٤١ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝٤٢﴾[الحجر:٤٠-٤٢].

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليهم ما دامت السموات والأرضين، وأخصُ منهم العبد الأول والنبي الأكمل سيدنا محمد ﷺ فاتح خزائن الوجود، من أشهدته على كل موجود، وأخذت العهد على من اصطفيت من الأنبياء عليهم السلام فقلت ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝٨١﴾ [آل عمران:٨١]، وارضَ اللهم عن آله وصحبه وأزواجه وذرياته وورَّاثه ومن تعلق به واحبه إلى يوم الدين.

أما بعد،

فعلم التوحيد من أشرف العلوم على الإطلاق لتعلقه بالعليم الخلاق.

وواجب على كل مسلم أن يعتقد بربه الاعتقاد السليم، الخالي من التمثيل

والتشبيه والتكييف والتجسيم، وأن يعرف ولو معرفة مجملة ما يجب اعتقاده في حق الإله وما يجوز وما يستحيل في حقه ﷻ كي يصل إلى ثمرة العبادة، فعمل دون اعتقاد صحيح لا يُثمر المعرفة.

لذلك انبرى علماء الأمة من الرعيل الأول من زمن الصحابة إلى يومنا هذا في بيان هذا العلم الشريف، وكلٌّ على حسب علمه وفصاحته وبلاغته، فمنهم صنف فيه نثرا، وآخرون نظموا فيه شعرا، وآخرون ممن فتح الله عليهم فعرفوه واستدلوا به على الأكوان، وأشاروا إلى هذا العلم بإشارات وعبارات يتذوقها أهل الإيمان.

إذ الخلق قسمان: إما أهل نظر واستدلال، وإما أهل كشف وعيان، وقد ألف كل من الطائفتين كتباً لأهل دائرته.

وهذا السِفر المبارك جمع بين دفتيه ما يكتفي به المسلمون باختلاف مقاماتهم ومنازلهم في مقامات الدين الثلاثة (الإسلام، الإيمان، الإحسان).

فحوى هذا الكتاب في قسمه الأول على «**منظومة عقيدة العوام**» للشيخ أحمد المرزوقي (**رحمه الله**) وهي منظومة واضحة الألفاظ، سهلة في الفهم، سريعة في الحفظ. يفهمها الصغير والكبير، والمتعلم والأمي، ومن بركتها أنَّ الشيخ أحمد المرزوقي (رحمه الله) قرأها أمام النبي ﷺ في المنام، ولما استيقظ وجد نفسه يحفظها فكتبها.

وحفظها وتغنى بها الناس لفترة طويلة من الزمن، حتى أنها صارت منهجا لطلاب العلم الشرعي في المراحل الأولى في كثير من البلدان الإسلامية.

أما القسم الثاني من الكتاب فيتضمن «**منظومة الخريدة البهية**» للشيخ أحمد الدردير (رحمه الله) وهي من أشهر المنظومات في علم العقيدة. وقد شُرحت كثيرا من قبل علماء الأمة في جميع البلدان الإسلامية.

وتميزت عن سابقتها بأنها توسعت في تفصيلات علم التوحيد، مما يخص الإلهيات والنبوات والسمعيات مع مراعاة سهولة العبارة. مما جعلها منهجا لكثير من المدارس الشرعية لمرحلة المتوسطين في دراسة العلم الشرعي في كثير من البلدان الإسلامية.

والقسم الثالث من هذا الكتاب المبارك يتضمن في طياته كلام العارفين بالله، وما شاهدوه من تجليات الحق ﷻ على قلوبهم. فاستدلوا بالخالق على المخلوق، وبالمكوِّن على الأكوان، واستغنوا عن الدليل، فليس المُعاين كالسامع، وليس الحاضر كالغائب.

وترجموا هذه التجليات إلى عبارات من يقف عندها ويتفكر بها ويفهم معناها يشاهد حقيقة التوحيد وجماله، فيزداد حبًا وشوقًا لربه وخالقه.

وكلام العارفين في هذا القسم مما ذكره الإمام عبد الكريم القشيري (رحمه الله) في كتابه «**الرسالة القشيرية**».

وحتى يصل هذا العلم الشريف إلى كافة المسلمين ولا ينحصر فهمه ومعرفته فيمن يدرس العلوم الشرعية، فقد تصدر العلماء لشرحه وبيانه في المساجد والجوامع.

ومن بين هؤلاء العلماء، العالم العامل العارف بالله الشيخ الدكتور يسري جبر الحسني الأزهري (حفظه الله).

فقد قام الشيخ الدكتور يسري جبر بشرح عقيدة العوام للشيخ أحمد المرزوقي، والخريدة البهية للشيخ أحمد الدردير، وعقيدة الأولياء في أثناء شرحه للرسالة القشيرية، وجميع هذه الشروحات تمت في مسجد الأشراف في المقطم بالقاهرة وبالأزهر الشريف. وجميعها موجودة على موقع الدكتور يسري جبر على اليوتيوب.

ومن المعلوم لمن درس العلم الشرعي وطالع كتب العقيدة، أنَّ هذا العلم فيه نوع من الصعوبة في فهم مصطلحاته، بل أنَّ كثيراً من القراء لا يُكمل قراءة الكتاب لشعوره بالملل، أو لعدم فهم مصطلحات هذا العلم. على عكس من يقرأ في الفقه وأصوله والتفسير والسيرة والتصوف وغيرها من العلوم الشرعية. فالإنسان مجبول على محبة ما يسهل عليه فهمه وارتاحت له نفسه.

وهذا هو السبب الرئيسي الذي جعلني أقوم بجمع هذه الشروحات الثلاثة في كتاب واحد. فبعد أن حضرت شروحات الشيخ يسري جبر الحسني لهذه الأقسام الثلاثة في علم العقيدة شعرت وكأنني أدرس هذا العلم لأول مرة بالرغم من دراستي له في الجامعة الإسلامية، وجعلني محبا لهذا العلم ومتعلقا به، وصارت لدي المقدرة على قراءة وفهم أي كتاب من كتب علم التوحيد وخاصة مما تكلم به العارفون بالله.

فتراه في شرحه لعقيدة العوام يشرح بما يتفق مع عنوان المنظومة وغايتها، فيشرح ويوضح العموميات ولا يتوسع في الجزئيات.

وحينما انتقل لشرح الخريدة البهية، تراه يبحر في هذا العلم كقبطانٍ يعرف خفايا البحر وأسراره، فيبحر بك في هذا البحر العظيم المتلاطم الأمواج دون

أن تشعر بالخوف والوجل، بل تشعر بأنك تسير بطمأنينة وسكينة فيوصلك إلى غايتك في فهم كليات وجزئيات هذا العلم.

فيتوسع الشيخ في شرحه للخريدة البهية كتوسع الناظم في بيان عقيدة المسلمين، وستلاحظ بلاغة الشيخ يسري جبر في كيفية إيصال المعلومة إلى ذهن المتلقي بكثرة ضربه للأمثال. فلا ينتقل من عبارة إلى أخرى إلا وقد ضرب لك مثلاً يفهمه العالم والجاهل ويرسخ في ذهنه ولا ينساه.

أما إذا اطلعت على شرحه لعقيدة العارفين بالله وبيان إشاراتهم وتوضيح عباراتهم، فهو الفارس المغوار الذي تهابه المنايا، حيث اقتحم هذا الميدان العظيم الذي يقف كبار الفرسان على أطرافه ولا يجرؤن على الولوج فيه؛ لأنه ميدان الحضرة الإلهية وميدان التجليات، وميدان المواقف والمنازلات. من دخله وليس من أهله هلك، ومن تكلم بأسراره سُلب.

فوضح الشيخ يسري جبر العبارات وبين الإشارات، وأطنب في شرحه فتراه يأخذ بالعقول والألباب إلى حضرة الملك الوهاب. مرسخًا محبة من تعبد في قلبك؛ لما يبرزه لك من خلال شرحه لمواطن الجمال والكمال، فيجعلك تعبد الله مع سريان محبته في قلبك وقالبك، وشتان بين عبادة العارف المحب وبين عبادة الجاهل المحجوب.

ولا يفوتني أن اذكر كيف أنَّ الشيخ يسري جبر في شرحه أظهر ضلالات الفرق الضالة ورد عليها بالأدلة والبراهين الدامغة، إضافة إلى ذلك وكعادته فإنه يُعرج كثيرا على بيان خصائص الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين وما يتعلق بهم، مع إرشادك بين الفينة والأخرى إلى كيفية سلوك طريق أهل الحق، وغير هذه الأمور الكثير ستجدهُ إن شاء الله وأنت تقرا الكتاب.

وسأذكر للقارئ الكريم في الأسطر التالية كيفية معرفتي ولقائي بالشيخ الدكتور يسري جبر الحسني حفظه الله. وسيتضح منها بعض الأمور التي تبين فضل الله ﷻ ومنِّه وكرمه على من تعلق بالجناب العالي ﷺ، وكيف أنَّ الله ﷻ هيأ الأسباب في سبيل إظهار علوم العلماء الربانيين وما تكلموا به في علم التوحيد وكمالات الحبيب الأعظم ﷺ.

بداية معرفتي بالشيخ الدكتور يسري جبر الحسني حفظه الله:

أمرني شيخي العارف بالله السيد الشيخ حسن الحلَّاب رضي الله عنه بالعكوف على قراءة كتب الحديث الشريف وشروحاتها، ففيها الخير العظيم؛ لأنها المصدر الأول لفهم كتاب الله ﷻ والاتصال بسيدنا رسول الله ﷺ والتعلق به والتخلق بأخلاقه.

وقال لي: كل العلوم التي ظهرت على يد العلماء وتحدث بها العارفون والأولياء فمصدرها الكتاب والسنة. ولا سبيل إلى فهم معاني وأسرار القران العظيم إلا بالأخذ عمن أمر بتبليغه وبيانه وهو سيدنا النبي ﷺ الذي قال الله ﷻ له ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤]، فعليك يا ولدي بكتب الحديث الشريف.

فقلت: يا سيدي لدي أغلب الشروحات لكتب السنة فبماذا تنصحني؟
قال: أنصحك بقراءة شروحات العلماء الربانيين من الأولياء والصالحين، لأنهم أخذوا عن رسول الله ﷺ وفهموا مبتغاه وعلموا مراده.

ثم قال: إن شاء الله سيدلك الله ﷻ عمن تأخذ عنه هذا العلم الشريف.

فبدأت بقراءة شرح صحيح البخاري للإمام أبي زكريا الأنصاري ﷺ، وشرح صحيح مسلم للإمام النووي ﷺ، وما هي إلا أيام قليلة حتى رأيت رؤيا منامية ومفادها: إنني كنت في جامع كبير وفيه كثير من العلماء والمصلين، فإذا بنساء كثر قد دخلنَ إلى حرم الجامع واصطففنَ مع الرجال في نفس الصفوف، فغضبت غضبا شديدا، وبدأت أصرخ على الإمام قائلاً: إن هذا الأمر لا يرضاه الله ورسوله وخرجت من الجامع، فإذا بشيخي الشيخ حسن الحلَّاب ﷺ يقف خارج الجامع، فابتسم وأشار إلى يمينه فإذا بالشيخ الدكتور يسري جبر الحسني يقف إلى جانبه. فانتبهت من الرؤيا وعلمت أنَّ هذه إشارة في وجوب الأخذ عن الشيخ يسري جبر ولم تكن لي سابق معرفة بالشيخ حفظه الله.

فقصصت رؤياي على شيخي العارف بالله الشيخ حسن الحلَّاب ﷺ فقال: فيها إشارة إلى أن تستمع لشروحات الشيخ يسري وأن تأخذ العلم عنه، ووافق وقت الرؤيا مع بداية الشيخ يسري جبر بشرح صحيح البخاري.

وبالفعل استمعت إلى شرح صحيح البخاري كاملا، وإلى تفسير القران كاملا وقد أذهلني ما سمعت منه؛ لأن كثيراً من الشروحات التي قالها الشيخ هي موافقة لما سمعته ودونته من شيخي الشيخ حسن الحلَّاب ﷺ، وهذا الأمر أفرحني كثيرا وجعلني اجدُّ في إكمال ومتابعة بقية شروحات الشيخ.

فأكملت شروحات الشيخ على صحيح مسلم، والترمذي، والدارمي، وموطأ الإمام مالك، والرسالة القشيرية، والحكم العطائية، وشرح كتاب الشفا للقاضي عياض، وشرح ابن قاسم الغزي على متن الغاية، والى الآن

ما زلت أتابع شرحه لكتاب البرهان في علوم القران للزركشي، واللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ومسند الإمام الشافعي وغيرها، وسمعت من الشيخ يسري جبر أسرارا ومعانيا لم أجدها في كتاب ولم أسمعها من عالم. وخصوصاً فيما يتعلق بسيدنا محمد ﷺ والأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

وكنت أنقل كثيراً من تفسيرات الشيخ يسري جبر وآرائه لسيدي الشيخ حسن الحلَّاب ﵁ فيقول لي: إن الدكتور يسري من العلماء العارفين الذين يُفصحون عن أسرار العلوم متسلحاً في بيانها بالكتاب والسنة، وسيأتي الزمان الذي سُيظهر الله ﷻ مثل هؤلاء العلماء، فيعرفهم القاصي والداني وسينتشر علمهم في أرجاء المعمورة.

وبعد أن انقضت أكثر من ثلاث سنوات وأنا أتتلمذ على يد الشيخ يسري جبر حفظه الله، وطيلة تلك المدة لم تفارق كلمات الشيخ حسن الحلَّاب مسامعي في أنه سيأتي الوقت الذي تظهر فيه علوم الشيخ يسري جبر حفظه الله ويذيع صيته.

حتى أراني الله ﷻ رؤيا منامية في الشهر الثالث من سنة ٢٠١٩ وهي إنني دخلت إلى جامع الشيخ عبد القادر الجيلاني ﵁ في بغداد، فإذا بالشيخ الدكتور يسري جبر ﵁ يجلس على كرسي العلماء وأمامه جمع كبير من العلماء وطلاب العلم، فلما رآني نهض واتجه نحوي فاستقبلني وسلمت عليه وسرنا معا، فقلت له يا سيدي أنا جئت للقائك كي نبدأ بتفريغ دروسك وشروحاتك وإصدارها في كتب كي ينتفع بها المسلمون، فابتسم وقال: وأنا

طلبت من الله من سنوات طويلة أن يهيىء الله ﷻ من يقوم بهذا الأمر ودعوت الله ﷻ أن لا يكون هذا الأمر إلا على يد أناس مخلصين لنشر العلم الشريف، وأنا قدمت من مصر لزيارة الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ، وجاءتني البشرى في الحضرة القادرية أن اتباع الشيخ محمد الحلَّاب ﷺ هم من سيقومون بهذا الأمر، وقالوا لي أنت في ضيافة الشيخ حسن الحلَّاب ﷺ، ثم خرجنا لزيارة مقام الشيخ محمد الحلَّاب في محافظة الأنبار في قضاء الفلوجة، ثم ذهبنا لزيارة الشيخ حسن الحلَّاب وانتبهت من هذه الرؤيا المباركة . فقصصتها على سيدي الشيخ حسن الحلَّاب ﷺ فقال: هي بشارة عظيمة لانتشار علم الشيخ يسري وستلتقي به قريبا وعليك البدء من الآن بتفريغ شروحاته إلى أن يحين وقت اللقاء به.

وبالفعل باشرت بكتابة شروحات الشيخ يسري على كتب العقيدة كشرحه لعقيدة العوام للشيخ أحمد المرزوقي، والخريدة البهية للشيخ أحمد الدردير، وشرح الحكم العطائية، وشرحه على صلوات الأولياء (المعارف الذوقية على الصلاة المشيشية) و(صلوات الشيخ أحمد الدردير) و(صلوات الشيخ محمد عبد الكبير الكتاني).

وبعد عدة شهور شاء الله ﷻ أن نسافر إلى مصر للقاء الشيخ الدكتور يسري جبر الحسني وبعض العلماء، وذلك في ١٠/ ٧/ ٢٠١٩.

فسافرت إلى مصر بصحبة أخي وشقيق روحي (أحمد عبد العزيز الفلوجي القادري) وهو خليفة الشيخ حسن الحلَّاب ﷺ، وله الفضل الكبير في مساندتي في إتمام هذا الكتاب والكتب الأخرى. وشرفنا الله بزيارة سيدنا

الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة رضي الله عنهم أجمعين، وكثير من مقامات الأولياء والعلماء في مصر. وتشرفنا بلقاء الشيخ الدكتور يسري جبر حفظه الله، والشيخ العلامة الإمام علي جمعة حفظه الله، وسافرنا إلى الصعيد والتقينا بالشيخ فراج يعقوب حفظه الله، والولي الصالح الشيخ محمد الجيلاني حفظه الله.

وعند لقاءنا بالشيخ يسري جبر قصصت عليه ما رأيت من المبشرات المنامية، ففرح بها وقال إنها لرؤيا حق، ونحن نجيزكم بتفريغ وترتيب وتحقيق وطباعة شروحاتنا على الكتب، ثم جمع جميع الشروحات في شريحة (دسك هارد) وسلمنا إياها ودعا لنا بالتوفيق في عملنا هذا.

وقد اطلعته على ما كتبناه من الشروحات قبل قدومنا إلى مصر، واتفقنا أن نبدأ بشروحات كتب العقائد وكتاب شرح صلوات الأولياء؛ لأنه يتعلق بسيدنا النبي ﷺ وفيه من المعاني العظيمة التي توضح خصائصه ﷺ .

عملي في هذا الكتاب:

تبين مما مضى أنَّ هذا الكتاب هو عبارة عن محاضرات مرئية مسجلة شرح فيها الشيخ الدكتور يسري جبر الحسني الأزهري حفظه الله (منظومة عقيدة العوام، ومنظومة الخريدة البهية، وعقيدة العارفين بالله من كتاب الرسالة القشيرية)

وأُلخصُ عملي في هذا الكتاب بالنقاط التالية:

١-تفريغ المحاضرات من التسجيلات وكتابتها وجمعها في كتاب واحد.

٢-إعادة صياغة أغلب العبارات باللغة العربية الفصحى، لأنه وكما هو معلوم أنَّ الشيخ في محاضراته يتكلم الفصحى وأحيانا يتكلم باللهجة العامية، وهذا من فقه الشيخ وبلاغته، كي يستطيع أن يوصل المعلومة إلى أذهان السامعين، وخصوصا أنَّ الشيخ يشرح محاضراته في المسجد وفيهم المصلِّون من كلا الجنسين، وفيهم الصغير والكبير، والعالم وطالب العلم والعامي الذي لم يتعلم مصطلحات القوم فضلا عن دراسة العلم الشرعي. فقمت بتحويل الكلام إلى اللغة العربية الفصحى وبنفس المعنى الذي يريده الشيخ.

٣-بعد أن أكملت هذه المرحلة بدأت بالتدقيق اللغوي على جميع ما قمت بتفريغه وترتيبه.

٤-بعد ذلك قمت بتحقيق الكتاب وتخريج الآيات والأحاديث، مع ترجمة مختصرة للعلماء والأولياء الذين ذكرهم الشيخ في شرحه لهذا الكتب.

٥-ضمَّنت الكتاب سيرة مختصرة لسيدي الشيخ أحمد المرزوقي صاحب عقيدة العوام، ولسيدي الشيخ أحمد الدردير صاحب منظومة الخريدة البهية، وسيدي الشيخ عبد الكريم القشيري صاحب كتاب الرسالة القشيرية؛ ليتعرف القارئ عن شيء من سير هؤلاء العظماء، وبدأت هذه السير بسيرة مختصرة لشارح هذه الكتب الشيخ الدكتور يسري جبر الحسني الأزهري حفظه الله ورعاه، فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

٦- وفي الختام:

فأني أُشهد الله ﷻ أنني ما أكملت هذا الكتاب المبارك بعلمي وحولي وقوتي، ولكن بتوفيق الله ﷻ وفضله ومنّه وكرمه.

ومن ثم بمدد النبي ﷺ فهو الواسطة لكل خير.

وببركة دعاء وأنظار شيخ مشايخنا الوارث المحمدي (الشيخ محمد الحلاب رضي الله عنه) وسيدي وشيخي (الشيخ حسين الحلاب رضي الله عنه) وأخص بالذكر شيخي وقرة عيني (الشيخ حسن الحلاب رضي الله عنه) مرشدي ودليلي، والسبب الأول والموجه الأفضل في توجيهي لإخراج هذا الكتاب المبارك والكتب اللاحقة إن شاء الله.

وببركة الإجازة المباركة من سيدي العارف بالله الشيخ يسري جبر الحسني رضي الله عنه وسريان سر الإذن الصادر منه في تفريغ وجمع وإصدار هذا الكتاب.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر والامتنان لكل من ساعدني في إتمام هذا الكتاب وخاصة أخي وشقيق روحي (أحمد عبد العزيز الفلوجي القادري) خليفة الشيخ حسن الحلاب رضي الله عنه.

فما كان فيه من صواب وخير فمن الله ﷻ وبمدد رسوله ﷺ، وما كان من خطأ وتقصير فمني واستغفر الله على ذلك.

جمع وتفريغ وترتيب وتحقيق

خلدون أمين الهيتي القادري

العراق-الأنبار-هيت

مقدمة الشارح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد وتنزه عن الصحابة والمثيل، وفوق كل تصور وإدراك فلا يحاط به علماً وهو بكل شيء محيط، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٣]، أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء، قريب في بعده بعيد في قربه، ظاهر ليس فوقه شيء باطن ليس دونه شيء، وهو أقرب إلى خلقه من حبل الوريد، ولا يخفى عليه خافية ولا يقع في ملكه إلا ما يريد، يدبر الأمر يفصل الآيات لعل أهل العقول يفهمون وأهل القلوب يطمئنون بأنوار الإيمان والإيقان، والصلاة والسلام اللائقان بأكرم مخلوق وأعظم محبوب وأكرم المرسلين وإمامهم سيدنا محمد ﷺ الذي كان خير وأكمل وأرأف من دل على الله واخذ بيد العباد لما فيه سعادة الدارين، وارض اللهم عن آله وصحابته الأخيار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،

فإنَّ معرفة ما يجب عقلاً وشرعـًا وما يستحيل شرعـًا وما يجوز عقلاً وشرعـًا في حق الله تعالى وحق الأنبياء والمرسلين صلى الله عليهم أجمعين مع التصديق بما أخبروا به من الغيوب هو أصل الإيمان والاعتقاد الذي محله القلب فإذا تم ذلك انقادت الجوارح وأسلمت لمولاها طاعةً واقبالاً عليه وتجنبـًا لما نهى عنه، وتحققت الأرواح واستراحت بأنوار الألوهية بعدما قامت بحقوق الربوبية وتحققت بافتقار العبودية.

وهذا الكتاب يأخذ بيدك أيها المسلم الفاضل ليؤسس أركان الإيمان في قلبك فتصير عقيدتك سليمة بلا شبهة وبعيدة عن الهوى والجهالات، والكتاب على ثلاثة مستويات: للمبتدئين بشرح عقيدة العوام لسيدي أحمد المرزوقي الكفافي، ثم مستوى أعمق لمن يريد الزيادة وبعض التفصيل بشرح منظومة الخريدة البهية لسيدي أحمد الدردير بأسلوب سهل ميسر مع عدم الاخلال بالمعنى المراد، وختمت الكتاب بعقيدة العارفين والأولياء الذين فازوا بزيادة المعارف والفهوم ثمرةً لحسن اعتقادهم ودوام إقبالهم على الله فزادهم الله هدى ونوراً فاض ذلك على عبارتهم وأحوالهم فجمعتُ جزءاً من كلامهم في هذا الشأن أثناء شرحي للرسالة القشيرية، وقد قام بتفريغ هذه الدروس المسموعة وجمعها في كتاب الابن البار السيد الفاضل خلدون الهيتي القادري ثم راجعته ونقحته فصار كتاب قل أن يكون له مثيل في هذا الزمان بأسلوب معاصر وسهل خال من التعقيد والإبهام، وانصح بمطالعة ما فيه والتدقيق بما يحويه حتى تزول عن قلوب المسلمين في هذا الزمان ما علق فيها من شبهات المشبهين والمجسمين ومن لا يوقروا الأنبياء والمرسلين من طوائف الوهابية ومدعي السلفية وكثير من فرق أهل الزيغ والضلال، والله من وراء القصد وعليه التكلان ومن طالع فيه شيئاً من نقص يحتاج إلى إكمال أو تعديل وزيادة بيان فليبلغنا لنتداركه في الطبعات القادمة فالدين النصيحة، وجزى الله خيراً كل من كان سبباً في ظهور الكتاب واجعله يا رب من العلم النافع في الدارين آمين بجاه سيد المرسلين ﷺ.

الفقير إلى الله

يسري رشدي السيد جبر الحسني

٢٦ ذو الحجة ١٤٤٢هـ

٥ أغسطس ٢٠٢١م

الشيخ يسري رشدي السيد جبر الحسني[(١)]

الفقير إلى الله يسري رشدي السيد جبر القاهري مولداً ونشأةً، الحسني نسبًا، السني عقيدةً، الشافعي مذهبًا الصديقي طريقةً، الشاذلي مشربًا، الأزهري إجازةً والجراح مهنةً.

المولد والنشأة:

ولد في يوم الخميس الموافق ٢٣/ ٩/ ١٩٥٤م، الموافق ٢٥محرم ١٣٧٤ هـ بحي روض الفرج بالقاهرة وتلقى التعليم بالمدارس الحكومية حتى التحق بكلية الطب جامعة القاهرة وتخرج منها بتقدير جيد جدا مع مرتبة الشرف ديسمبر ١٩٧٨م وحصل على ماجستير الجراحة العامة وجراحة الأوعية الدموية من جامعة القاهرة نوفمبر ١٩٨٣ ثم حصل على دكتوراه الجراحة العامة من جامعة القاهرة مايو ١٩٩١م وزمالة جمعية الجراحين الدولية في مايو ١٩٩٢م، والأستاذية في الجراحة عام ٢٠٠٤م، والتحق بكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر ١٩٩٢م وحصل على ليسانس الشريعة الإسلامية بتقدير جيد جدا ١٩٩٦- ١٩٩٧م.

حفظ القرآن الكريم:

بدأ حفظ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم أثناء دراسته بكلية الطب على يد فضيلة الشيخ عبد الحكيم بن عبد السلام خاطر (عضو لجنة مراجعة القرآن الكريم بالمدينة المنورة رحمه الله) وختمته حفظا في خلال

(١) هذه الترجمة من كتاب الدرر النقية في أوراد الطريقة الصديقية للدكتور يسري جبر الحسني

خمس سنوات من بدء الحفظ للقرآن الكريم وعلى يد الشيخ محمد آدم وختم على الشيخ محمد بدوي السيد بالسند المتصل إلى حفص الذي قرأ على عاصم ابن أبي النجود عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي وزر بن حبيش – الأول عن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، والثاني عن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما – وهم عن النبي ﷺ سيد الأنام وخاتم المرسلين عن أمين الوحي جبريل عليه السلام عن اللوح المحفوظ عن رب العزة سبحانه وتعالى جل جلاله وتقدست أسماؤه، وكذلك تم ختام القرآن بالمدينة المنورة على يد فضيلة الشيخ عبد الحكيم بن عبد السلام خاطر وأجازه برواية حفص عن عاصم، وكان قد أجازه الشيخ عامر عثمان أثناء دراسته بالكلية، وقرأ عليه حزب من سورة البقرة وأجازه بالباقي.

وقد ختم قراءة ورش على الشيخ محمد بدوي، وختم قراءة نافع (قالون وورش) على الشيخ محمد آدم، وكذلك قراءة ابن كثير المكي (قنبل والبزي) من أول المصحف حتى آخر سورة التوبة ثم توفي رحمه الله. كما أجازني الشيخ عبد الفتاح مدكور النمرسي برواية حفص عن عاصم.

العلماء والمشايخ حفظهم ورحمهم الله:

حضر على الشيخ محمد الحافظ التيجاني جزء من موطأ الإمام مالك من سنة ١٩٧٦ حتى سنة ١٩٧٨ ثم انتقل إلى رحمة الله.

حضر على الشيخ محمد نجيب المطيعي صاحب تكملة المجموع بشرح المهذب من سنة ١٩٧٨ حتى سنة ١٩٨١ أجزاء من صحيح البخاري وحاشيتي قليوبي وعميرة على شرح المنهاج في الفقه الشافعي وإحياء علوم الدين للإمام الغزالي والأشباه والنظائر للإمام السيوطي وأجازه بأسانيده في الفقه والحديث.

حضر على السيد الحجة العارف بالله سيدي عبد الله بن الصديق الغماري الحسني كتاب الشمائل للترمذي في رمضان ١٤٠٠هـ-١٩٨٠ م بمسجد رشدي بالدقي بالإسناد المتصل وأخذ منه الطريقة الصديقية الدرقاوية الشاذلية بالقاهرة في نفس العام، وكذلك حضر عليه أجزاء من الموطأ للإمام مالك واللمع في علم الأصول بقراءة فضيلة الشيخ د: علي جمعة (وكان في مرحلة الطلب وقد تولى بعد ذلك منصب مفتي جمهورية مصر العربية وهو الأن عضو بهيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف) واستفدت بصحبته كلما جاء إلى مصر وبتوجيهاته ودعواته وفتاويه ومؤلفاته حتى توفاه الله بطنجة في ٢١ شعبان ١٤١٣ هـ ١٢ / ٢/ ١٩٩٣ يوم الجمعة ووفقه الله وزاره فى ضريحه وزاويته بطنجة.

وتعرف على فضيلة الشيخ أحمد مرسي النقشبندي طريقة من علماء الأزهر الشريف وكان صديقا لفضيلة الشيخ عبد الله الصديق الغماري وزاره كثيرا واستفاد منه لطائف ومعارف ودعوات فجزاه الله خيرا ورحمه الله.

وأجازه فضيلة الأستاذ الإمام محمد زكي الدين إبراهيم الحسيني نسبا الشاذلي طريقة رائد العشيرة المحمدية إجازة عامة بالمناولة والمصافحة

بجميع مروياته في الكتب الستة ومسند الشافعي والأم ومسند أبي حنيفة وسنن البيهقي ومعاجم الطبراني الثلاثة وابن عبد البر وعبد الرزاق وموطأ مالك ومصنفات القاضي عياض والإمام النووي والحاكم والشوكاني والديلمي وابن عابدين وابن قدامة وابن رجب وابن السني والصنعاني والنبهاني والشعراني وابن القيم والسنوسي الكبير والعيدروس وغيرهم وذلك في رمضان ١٤١٨ه يناير ١٩٩٨.

وحضر للشيخ إسماعيل صادق العدوي شيخ الجامع الأزهر موطأ الإمام مالك بمسجد سيدي أحمد الدردير بالأزهر وكذا تفسير بعض سور من القرآن الكريم بالمسجد الحسيني بالقاهرة ولازمه عدة سنوات وسافر معه إلى صعيد مصر لزيارة الصالحين وتعلم منه حقائق كثيرة في علم التصوف ولمحات ولفتات روحانية عالية ودعا له كثيرا فجزاه الله خيرا ورحمه الله رحمة واسعة.

وحضر على فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة أستاذ أصول الفقه بكلية الدراسات الإسلامية بالأزهر كتاب الورقات للإمام الجويني في علم الأصول، وجمع الجوامع بالأزهر الشريف، وقراءة صحيحي البخاري ومسلم بالأسانيد المتصلة، وأجزاء من سنن أبي داود، ومقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ومغني المحتاج للخطيب الشربيني في الفقه الشافعي، ومسائل في الأشباه والنظائر للسيوطي، وشرح الخريدة البهية في علم التوحيد للشيخ أحمد الدردير، وفتح القريب المجيب لابن قاسم الغزي على متن الغاية والتقريب، وحضر مع فضيلته على السيد عبد الله الصديق الغماري في كتب اللمع والشمائل ومناقشة مسائل في أصول الفقه وفروع كثيرة في الفقه

وأجازه في كتب الحديث والمسانيد وفقه الشافعية وما زال على علاقة وطيدة به، فجزاه الله خيرا وبارك الله لنا فيه ونفعنا بعلومه في الدارين.

وقرأ النحو وأجزاء من فقه الشافعية على الشيخ كمال العناني أستاذ الفقه بكلية الشريعة أثناء دراسته بكلية الشريعة.

وكذلك قرأ الأحوال الشخصية ومواضيع من فقه المعاملات وعلم المواريث على الشيخ الدكتور نصر فريد واصل مفتي مصر سابقا وذلك أثناء دراسته بكلية الشريعة.

التقى بمكة بالسيد محمد بن علوي المالكي الحسني بمنزله عدة مرات وأجازه في مؤلفاته فجزاه الله خيرا.

وأجازه مسند الإسكندرية الشيخ الفاضل الأستاذ محمد إبراهيم عبد الباعث الحسيني الكتاني بمروياته والتقى به كثيرا وما زال على اتصال به وكان والده رحمه الله من أصدقاء وأحباب السيد عبد الله الصديق الغماري.

حضر شرح الآجرومية في علم النحو وكذلك ألفية ابن مالك وأجزاء من إعراب القرآن الكريم وعلم العروض على فضيلة الأستاذ محمد حسن عثمان أستاذ اللغويات بالأزهر الشريف.

والتقى وسافر مع فضيلة الشيخ الحبيب علي الجفري الحسيني وتبادل معه الإجازات والدعوات وما زال على اتصال به.

وحضر دروس العقيدة مع فضيلة الأستاذ الدكتور محمد ربيع الجوهري الخلوتي أستاذ العقيدة بكلية أصول الدين بالقاهرة والعميد السابق للكلية.

وأجازه الشريف إبراهيم صالح الحسيني التيجاني مفتي نيجريا بأسانيده وزاره فى بيته في القاهرة.

بالإضافة إلى مشايخنا وأساتذتنا بالأزهر الشريف أثناء فترة دراسته بكلية الشريعة، وكثير من علماء اليمن وحضرموت والمدينة ومكة أجازوه.

النواحي العلمي والنشاط الدعوى:

شرح كتب الحديث الستة بالأسانيد المتصلة في مسجد الأشراف بالمقطم أسفل سكنه والذي يخطب فيه الجمعة وشرح أجزاء من صحيح البخاري بالأزهر الشريف ومنازل السائرين بمسجد سيدي أحمد الدردير كما شرح سنن الدارمي وكتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان وكتاب دليل الفالحين في شرح رياض الصالحين وكتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي وتفسير القرى الكريم بالقراءات العشر بهذا المسجد المبارك.

وشرح بالأزهر الشريف الرسالة القشيرية من عام ٢٠٠٣ إلى عام ٢٠٠٧ في أربع سنوات بإشارة من فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة حفظه الله.

وشرح الحكم العطائية وشفا عياض وموطأ الإمام مالك ورياض الصالحين والتبيان في آداب حملة القرآن والخريدة البهية في شرح أحكام الله العلية والمباحث الأصلية والأذكار وحاشية الشيخ البيجورى والشمائل المحمدية وكتاب كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار وكتاب بهجة النفوس وتحليها في معرفة ما لها وما عليها وكتاب فتح القريب المجيب ودلائل الخيرات وقصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير وبردة المديح للإمام البوصيري

والصلاة المشيشية والصلوات اليسرية على خير البرية، ومنفرجة ابن النحوي، وحزب البحر وحزب البر لسيدي أبي الحسن الشاذلي.

وقد طبع كتاب أوراد الطريقة الصديقية الدرقاوية الشاذلية وكتاب الحضرة الصديقية والأسانيد الخاصة بهم وكتاب الصلوات اليسرية على خير البرية وشرحها بصلوات الأسماء الحسنى، وشرح كتاب منازل السائرين وطبع باسم التفسير المبين في شرح منازل السائرين، وبحث في الأوراق المالية وعلاقتها بالأجناس الربوية تحت إشراف الأستاذ الدكتور نصر فريد واصل مفتي الديار المصرية الأسبق.

وشرح السيرة النبوية الشريفة من خلال كتاب نور اليقين في سيرة سيد المرسلين في ست وسبعين حلقة تلفزيونية لقناة الناس بالتلفزيون المصري.

هذا بالإضافة إلى الدروس والندوات لطلاب العلم بالقاهرة سواء للمصريين أو غيرهم مثل الأتراك والإندونيسيين والماليزيين والوافدين بالأزهر الشريف.

وقد سجل حلقات عديدة في الفضائيات منها قناة الناس شرح بها كتاب الشمائل المحمدية للإمام الترمذي كاملًا في برنامج اعرف نبيك، وقناة اقرأ والإرث النبوي وغيرها من الدروس في الفضائيات وعلى يوتيوب.

وقد أكرمه الله وسافر إلى القدس وصلى فيه في رمضان عام ٢٠١٤ م ١٤٣٦ هـ وصلى فيه ليلة ٢٧ رمضان والجمعة واعتكف وختم به القرآن في ليلة ٢٩ رمضان ومدح فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأقام حلقة علمية به ليزيل به شبهات الوهابية مع الحضور من أهل المقدس.

كما أكرمه الله بالحج والعمرة مرات عديدة منذ كان طالبا بالكلية قبل التخرج وإلي الآن يسافر للعمرة سنويًا والحج كلما تيسر والحمد لله على فضل الله وما بكم من نعمة فمن الله.

وسافر إلى العراق عام ٢٠٠١ قبل الغزو بدعوة من جمعية الجراحين العراقية وزار أولياء بغداد كالشيخ عبد القادر الجيلاني والجنيد البغدادي والسري السقطي ومعروف الكرخي والإمام أبي حنيفة النعمان وضريح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالنجف وضريح الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء.

وسافر إلى وهران بالجزائر وزار بعض الأولياء مثل الإمام الغوث أبي مدين والتقى بالسادة البلقايدية وتبادلا الأسانيد وألقى محاضرة عامة عن الإمام الشافعي بالزاوية في رمضان ١٤٣٥هـ.

وسافر إلى السودان وشرح كتاب الشمائل المحمدية بمسجد سيدي علي الميرغني بأم درمان والتقى بالسادة الأشراف وذلك في نوفمبر ٢٠١١م.

وسافر إلى المغرب وزار سيدي عبد السلام بن مشيش وأولياء المغرب في فاس وطنجة ومراكش وزار الساحة الريسونية والسادة البودشيشية بوجده في المولد النبوي.

ولقد التقى والحمد لله مع الكثير من الصالحين والأولياء والعلماء وطلاب العلم.

وشرح كتاب بهجة النفوس بكوالالمبور بماليزيا بمسجد الشاكرين في ستة أيام في ديسمبر ٢٠١٣ م.

وما زال قائما على شرح كتب السنة بعد الفجر يوميا بمسجد الأشراف بالمقطم وكذا خطبة الجمعة اسبوعيـًا.

والحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم.

الموقع الرسمي:	**http://www.yosrygabr.com**
تويتر:	**http://twitter.com/Yosry_Gabr**
صفحة الفيس بوك:	**http://www.facebook.com/dr.yosrygabr**
قناة اليوتيوب:	**http://www.youtube.com/channel/ UCHUZYEvS7utmviL1C3EYrwA/ playlists**
قناة الساوند كلاود:	**http://soundcloud.com/dryosrygabr**
الإيميل:	**E-mail :info@yosrygabr.com**

الموقع الرسمي يوجد به جميع الكتب والدروس السابقة كذلك على قناة الساوند كلاود واليوتيوب والفيس بوك ويتم عليه البث المباشر.



شرح

منظومة عقيدة العوام

للشيخ أحمد المرزوقي

الشيخ أحمد المرزوقي رحمه الله

نسبه:

هو: الشيخ أحمد بن رمضان بن منصور بن محمد بن شمس الدين محمد بن رئيس بن زين الدين بن ناصب الدين بن ناصر الدين بن محمد بن قاسم بن محمد بن رئيس إبراهيم بن محمد بن مرزوق الكفافي بن موسى بن عبد الله المحض بن الإمام حسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه.

فهو: الإمام الزاهد، شيخ قراء مصر ومفتي المالكية بمكة، المرزوقي نسبة إلى العارف بالله مرزوق الكفافي المدفون بكفافة على شاطئ البحر المالح بأرض الحجاز، وآل المرزوقي مشهورون بالعلم والتقوى.

ولادته ونشأته:

ولد بـ(سنباط) احدى قرى مدينة زفتى بالدلتا في جمهورية مصر العربية عام ١٢٠٥هـ، وقرأ القرآن الكريم وحفظه كعادة أبناء زمانه، ثم قرأ القراءات العشر، وتلقى علومًا شتى، وعين مفتيًا للمالكية بمكة بعد وفاة أخيه السيد محمد عام ١٢٦١هـ، وقام بتدريس القرآن والتفسير والعلوم الشرعية في المسجد الحرام بجوار مقام المالكي.

شيوخه:

من شيوخه الشيخ الكبير السيد إبراهيم العبيدي، قرأ عليه القراءات العشر من طريقي الشاطبية والدرة ومن طريق طيبة النشر في القراءات العشر الكبرى.

وله تلامذة وأصحاب كثيرون، منهم الشيخ أحمد زيني دحلان (١٢٣٢هـ - ١٣٠٤هـ) شيخ الإسلام ومفتي الشافعية بمكة، والشيخ أحمد الحلواني الكبير الشهير بالرفاعي (١٢٢٨هـ - ١٣٠٧هـ) شيخ القراء والإقراء بسوريا، قرأ عليه القراءات العشر الصغرى والكبرى.

مؤلفاته:

١-عقيدة العوام وشرحها (تحصيل نيل المرام)، وهي منظومة في العقيدة.

٢-بلوغ المرام لبيان الفاظ مولد سيد الأنام. وهو شرح على مولد الشيخ أحمد بن قاسم المالكي الشهير بالحريري.

٣-تسهيل الأذهان على متن تقويم اللسان في النحو للخوارزمي البقالي.

٤-الفوائد المرزوقية شرح الآجرومية.

٥-منظومة في قواعد الصرف والنحو.

٦-متن نظم في علم الفلك، شرحه أخوه المفتي أبي عبد الله محمد المرزوقي.

٧-منظومة عصمة الأنبياء.

وفاته:

توفي الشيخ المرزوقي- رحمه الله- بمكة عام ١٢٦٢هـ ودفن بمقبرة المعلاة.

متن عقيدة العوام

أبــدأ بـسـم الله والـرحـمـنِ	وبـالـرحـيـم دائـم الإحـسـان
فـالحـمـد لله الـقـديـم الأول	والأخـــر الـبـاقـي بـلا تحـول
ثـم الـصـلاة والـسـلام سرمدا	على النبي خير من قد وحدا
وآلــه وصـحـبـه ومــن تبع	سبيل ديـن الحـق غير مبتدع
وبعد فاعلم بوجوب المعرفة	من واجـب لله عشرين صفة
فــالله مـوجـود قـديـم باقي	مخـالـف للخلق بـالإطـلاقِ
وقـائـم غـني وواحــد وحي	قـادر مريد عـالم بكل شيء
سمـيـع الـبـصـير والمـتـكلـم	لـه صـفـات سـبـعـة تنتظم
فـقـدرة إرادة سمـع بصر	حـيـاة الـعـلـم كـلام استمر
وجــائــز بـفـضـلـه وعـدلـه	تــرك لـكـل ممـكـن كفعله

الواجب والمستحيل والجائز في حق الرسل

أرســل أنـبـيا ذوي فطانة	بـالـصـدق والتبليغ والأمـانـة
وجـائـز في حقهم مـن عرض	بـغير نقص كخفيف المرض
عـصـمـتـهـم كسـائـر الملائكة	واجـبـة وفـاضـلـوا الملائكة
والمستحيل ضد كل واجب	فاحفظ لخمسين بحكم واجب
تفصيل خمسة وعشرين لزم	كـل مكلف فحقق واغـتـنـم
هـم آدم إدريـس نـوح هـود مع	صــالح وإبـراهـيـم كـل متبع
لـوط وإسماعيل إسـحـاق كذا	يعقوب يوسف وأيوب احتذى

شعيب هارون وموسى واليسع ذو الكفل داود سليمان اتبع
إلياس يونس زكريا يحيى عيسى وطه خاتم دع غيا
عليهم الصلاة والسلام وآلهم مادامت الأيام

الملائكة

والملك الذي بلا أب وأم لا أكل لا شرب ولا نوم لهم
تفضيل عشر منهم جبريل ميكال إسرافيل عزرائيل
منكر نكير ورقيب وكذا عتيد مالك ورضوان احتذى

الصحف والكتب المنزلة

أربعة من الكتب تفصيلها توراة موسى بالهدى تنزيلها
زبور داود وإنجيل على عيسى وفرقان على خير الملا
وصحف الخليل والكليم فيها كلام الحكم العليم

محمّد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم

وكل ما أتى به الرسول فحقه التسليم والقبول
إيماننا بيوم آخر وجب وكل ما كان به من العجب
نبينا محمد قد أرسلا للعالمين رحمة وفضلا
أبوه عبد الله عبد المطلب وهاشم عبد مناف ينتسب
وأمه آمنة الزهرية مرضعته حليمة السعدية
مولده بمكة الأمينة وفاته بطيبة المدينة
أتم قبل الوحي أربعينا وعمره قد جاوز الستينا

أبناء الرسول صلى الله عليه وسلم

وسبعة أولاده فمنهم ... ثلاثة من الذكور تفهم
قاسم وعبد الله وهو الطيب ... وطاهر بزين ذا يلقب
أتاه إبراهيم من سريه ... فأمه مارية القبطية
وغير إبراهيم من خديجة ... هم ستة فخذ بهم وليجه
وأربع من الإناث تذكر ... رضوان ربي للجميع يذكر
فاطمة الزهراء بعلها علي ... وابناهما السبطان فضلهم جلي
فزينب وبعدها رقية ... وأم كلثوم زكت رضيه

أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن تسع نسوة وفاة المصطفى ... خيرن فاخترن النبي المقتفى
عائشة وحفصة وسوده ... صفية ميمونة ورمله
هند وزينب كذا جويرية ... للمؤمنين أمهات مرضية

سلف رسول الله صلى الله عليه وسلم

حمزة عمه وعباس كذا ... عمته صفية ذات احتذا

الإسراء والمعراج

وقبل هجرة النبي الإسرا ... من مكة ليلا لقدس يدرى
وبعد إسراء عروج للسما ... حتى رأى النبيُ ربا كلما
من غير كيف وانحصار وافترض ... عليه خمسا بعد خمسين فرض
وبلغ الأمة بالإسراء ... وفرض خمسة بلا امتراء
قد فاز صديقٌ بتصديق له ... بالعروج الصدق وافى أهله

خاتمة

وهــــذه عـقـيـدة مختـصره	ولــلـعــوام سـهـلـة مـيـسـره
نـاظـم تـلـك أحمـد المـرزوقـي	من ينتمي للصادق المصدوق
والحـمـد لله وصـلـى سـلـما	على النبي خير من قد علما
والآل والصحب وكل مرشد	وكـل مـن بخير هـدى يقتدي
وأسـال الكريم إخـلاص العمل	ونفع كل من بها قـد اشتغل
أبـيـاتها مـيـز بـعـد الجُـمَّـل	تاريخها لي حُـبيّ غُـيِّر جُحَّل
سمـيـتـهـا عـقـيـدة الـعــوام	من واجـب في الدين بالتمام

❁❁❁❁❁

مقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه:

هذه منظومة (عقيدة العوام) ويتضح لك من اسمها أنَّ فيها من الحقائق الإيمانية ما يجب على كل مسلم أن يعرفها. وتنقسم إلى ثلاثة اقسام:

الإلهيات: وهي ما يجب اعتقاده في الله عقلا، وما يستحيل نسبته إلى الله عقلا، وما يمكن نسبته إلى الله عز وجل.

النبوات: معرفة الأنبياء والمرسلين وصفاتهم وما يجوز بحقهم وما يستحيل بحقهم.

السمعيات: كل ما وصل الينا من الغيبيات عن طريق الأنبياء والمرسلين.

ومؤلف هذه المنظومة الإمام أحمد المرزوقي ﷺ من علماء الأزهر ولد في سنباط وسكن خلف مقام سيدنا الحسين عليه السلام،

في إحدى الليالي رأى في الرؤيا أنه يجلس أمام النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ : قم يا أحمد وقل عقيدة التوحيد التي تنجِّي الناس في الآخرة. فقال الشيخ ماذا أقول يا رسول الله؟ قال النبي ﷺ قل:

أبـــدأ بـسـم الله والـرحمـنِ وبـالـرحـيـم دائـم الإحـسـان

فأكمل الشيخ قراءة القصيدة أمام النبي ﷺ في المنام ولما استيقظ وجد نفسه يحفظ القصيدة فكتبها وبدأ يُدرسها للناس حتى انتشرت.

شرح منظومة عقيدة العوام

قول المصنف:

أبـــدأ بـسـم الله والـرحـمـنِ وبـالـرحـيـم دائـم الإحـسـان

وهذا هو البيت الذي قاله النبي ﷺ في الرؤيا للشيخ أحمد المرزوقي (رحمه الله).

أبدأ بسم: والاسم علم على المسمى. والراجح هو ليس عين المسمى؛ لأنه لو كان عين المسمى لاحترقتَ عند قولك (نار)، فالنار علم على الشيء الذي يحرق. فهو دال على المسمى من جهة لفظه ورسمه وغير دال على المسمى من جهة أثره وحقيقته.

الله: علم على الذات الكامل الصفات، ويدل على الله ﷻ بكل أجزائه، فالألف في (الله) تدل على الوحدانية، ولو حذفنا الألف صارت(لله)، ولو حذفنا اللام صارت(له)، وإذا حذفنا اللام الثانية صارت(هو).

فهو الاسم الجامع الدال على الذات، وهو الذي تدخل به إلى الصلاة بقولك (الله أكبر) ولا يجوز أن تدخل الصلاة بغيره كقولك (الرحمن أكبر أو القهار أكبر....).

والرحمن: الواو حرف عطف للتفسير، أي: الله هو الرحمن، باعتبار مظهر الرحمانية في الكون مثل الإيجاد من العدم، والإمداد بعد الإيجاد وهكذا وهو دال على جلائل النعم.

الرحيم: المنعم بدقائق النعم، أي: النعم التي تدركها والتي لا تدركها.

دائم الإحسان: من مقتضيات تجليات الرحمانية والرحيمية دوام الإحسان وتتابعه. ولقد بدأ المصنف بالبسملة تيمنًا بالقران واقتداءً به، ثم ثنى بالحمد فقال:

فالحمد لله القديم الأول والآخر الباقي بلا تحول

الحمد لله: فالحمد إظهار الامتنان مع التعظيم والمحبة ونسبة الكمال، **والشكر**: إظهار الامتنان على النعمة، لذلك قالوا في حقه ﷻ لا يحمد على مكروه سواه، والحمد يغطي كل مرادات الله من عباده، والشكر يغطي النعم الظاهرة، لذلك الحمد أعم من الشكر فالحمد على الجلال والجمال والشكر على الجمال.

القديم الأول: الذي لم يسبقه عدم، فهو أول كل شيء ولا أول له.

والأخر الباقي: أي هو بعد كل شيء لذلك نقول (قهر الزمان بالأولية وقهر الفناء بالآخرية).

بلا تحول: دائم لا يتغير، لأن التحول معناه التغير، والتغير معناه الحدوث والتأثر بمؤثر، وحاشاه من كل ذلك فهو القاهر فوق عباده.

قول المصنف:

ثم الصلاة والسلام سرمدا على النبي خير من قد وحدا

بعد البسملة والحمدلة شرع المصنف بالصلاة على النبي ﷺ كعادة المسلمين في خطبهم.

سرمدا: أي دائمـًا؛ لأن صلاة الله ﷻ على النبي ﷺ دائمة مستمرة من قبل ظهور الأكوان لتعلقها بعلم الله والى ما لانهاية من الزمان، فهي أمر سرمدي أبدي.

النبي: الألف واللام للعهد، أي النبي المعهود بالصلاة عليه من الله ﷻ وهو سيدنا محمد ﷺ.

خير من قد وحدا: لأنه أعلم الخلق بالله وأول الموحدين والمسلمين وجعله سبحانه وتعالى فاتحا وخاتما.

قول المصنف:

وآلــه وصـحـبـه ومــن تبع سبيل ديـن الحـق غـير مبتدع

وآله: كل مؤمن من لدن آدم ؑ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ثم خُصت بعد ذلك بالقرابة.

وصحبه: الواو حرف عطف للتخصيص، أي وأخص صحابته الذين رأوه ورآهم وماتوا على الإسلام.

ومن تبع: المقتدين به وبهم إلى يوم الدين.

سبيل دين الحق: طريق دين الله ﷻ.

غير مبتدع: والبدعة كل أمر مستحدث خالف الشرع، أما إذا كان موافقا للشرع الشريف محققا لمقاصده صار بدعة حسنة.

الإلهيات

صفات الله عز وجل (الواجب في حقه – الجائز في حقه – المستحيل في حقه)

الواجب في حقه تعالى

وبعد فاعلم بوجوب المعرفة ... من واجب لله عشرين صفة

فالله موجود قديم باقي ... مخالف للخلق بالإطلاقِ

وقائم غني وواحد وحي ... قادر مريد عالم بكل شيء

سميع البصير والمتكلم ... له صفات سبعة تنتظم

فقدرة إرادة سمع بصر ... حياة العلم كلام استمر

العقل يوجب إلا يكون الله متصفًا بصفة نقص، وجاء الشرع مؤيداً للعقل بهذا، لذلك وصف الله نفسه في القرآن والسنة بصفات كثيرة. والمعرفة تأتي من التصور والتصديق.

مثال ذلك: عندما نقول (رجل) نتصور أنه رجل بالغ له شارب ولحية مفتول العضلات وتتوفر به صفات الرجولة المعروفة. والتصديق إدراك النسبة عندما نقول (رجل مسلم) نعرف أنَّ هذا الرجل مؤمن بشريعة محمد ﷺ، وهكذا (رجل كريم، رجل طويل).

إذن اللفظ المفرد يدرك بالتصور والجملة تدرك بالتصديق بإدراك النسبة، فأي معلومة لا بد أن تكون (متصورة ومصدقة)، إلا رب العالمين ﷻ فالعلم به يكون بالتصديق دون التصور؛ لأنه ليس له صورة؛ ولأن الصورة قيد والله خارجٌ عن القيد. فكل المخلوقات (تتصور) إلا الله، وكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك، إذن نعرف ربنا بالنعت والصفة(خالق – بارئ – سميع – بصير) وهكذا.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[الإخلاص:٤]، وهو (القدوس) أي منزه عن تنزيه المنزه، فلا يعلم الله بذاته إلا ذاته، ومن يتصور أنَّ الله موجد في جهة، فهو يعبد وثنـًا صنعه في عقله لأنه عز وجل ليس كمثله شيء وهو بكل شيء محيط ولا يحيطون به علما.

قول المصنف: (فاعلم بوجوب المعرفة) فاعلم أنَّ لا إله إلا الله، أي معرفة الله واجبة على كل عاقل مميز مكلف.

قول المصنف: (من واجب لله عشرين صفة) وصفات الله غير متناهية، لكنه اختار عشرين صفة واجبة عقلاً؛ لأن نفيها يقتضي النقص، ويقابلها عشرون نقيض هذه العشرين، وهي التي يستحيل وجودها في ذات الله.

الواجب العقلي: الذي لا يتصور العقل انتفائه. كقول القائل هل يوجد حركة بغير محرك؟ الجواب (مستحيل)، فهذا المحال هو الواجب العقلي، والمحال لا يتصور العقل وجوده، إذ العقل يحيل عدم وجود الخالق، كما أنه يحيل أنَّ الجزء أكبر من الكل، فهذا محال عقلاً. إذن يستحيل وجود بغير موجد. فالعشرون صفة تستوجب الكمال وتنفي النقص.

أقسام الصفات عند الأشاعرة:

صفات المعاني: ما دل على معنى وجودي قائم بالذات، وهي سبعة: (الحياة، العلم، القدرة، الإرادة، البصر، السمع، الكلام) وهذه الصفات من حيث التعلق:

أ- منها ما يتعلق بالممكنات (القدرة للإيجاد، والإرادة للتخصيص على وفق العلم) فالإرادة تخصص القدرة لإخراج المعلوم المعدوم المراد إيجاده لحيز الوجود.

ب- ما يتعلق بالواجب والجائز والمستحيل وهما العلم والكلام.

ج- ما يتعلق بالموجود وهما السمع والبصر.

د- ما لا يتعلق بشيء وهي الحياة.

١- **صفات معنوية**: وهي الثابتة للموصوف بصفات المعاني بكونه: حيا، عليما، قديرا، مريدا، سميعا، بصيرا، متكلما.

٢- **صفات سلبية**: ما دل على سلب بمعنى نفي ما لا يليق ولا يدل على معنى وجودي قائم بالذات وهي خمسة:

أ- القدم لنفي الحدوث.

ب- البقاء لنفي الفناء.

ج- المخالفة للحوادث لنفي التشبيه والمثل.

د- القيام بالنفس لنفي الافتقار للغير.

هـ- الوحدانية لنفي الشريك.

٣-**صفة نفسية** واحدة لا تدل على معنى زائد على الذات وهي الوجود.

فيكون المجموع عشرين صفة: سبعة صفات معاني، وسبعة صفات معنوية، وخمسة صفات سلبية، وواحدة سفة نفسية. ويستحيل ضدها.

قول المصنف: (فالله موجود قديم باقٍ) فالله موجودٌ يستحيل نفيه، والقديم الذي لم يسبقه عدم، ولا يتصور أنه كان غير موجود.

وباقٍ: لا يلحقه فناء.

قول المصنف: (مخالفٌ للخلق بالإطلاق) لأن الخلق قائمٌ على التغيرات، والتغير علامة الحدوث، فالخلق له بداية وصفته التغير (تتحرك – تموت – تمرض وهكذا). إذن علامتهم الافتقار.

وهذه حجة سيدنا إبراهيم ﵇ على عُبّاد الكواكب: فقال لهم هذا ربي، حين أقبل الليل وظهر الكوكب، وإثباتاً للحجة أنتظر معهم حتى طلع النهار فاختفى الكوكب، قال إبراهيم ﵇ لا أحب الآفلين. إذن هناك من أخفاه فلا يصلح أن يكون إله، وهكذا.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام:٨٣]، فكان ﵇ صاحب يقين، فكل ما قام به التَغير دل على أنه حادث ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

وهناك مخلوقات باقية كالعرش والكرسي والجنة والنار والروح، وجميع تلك المخلوقات غير قديمة لأن لها بداية.

قول المصنف:

وقـائـم غـني وواحــد وحـي   قـادر مـريد عـالم بكل شـيء

قائم: بذاته لا يفتقد لشيء. فالإنسان قائم بالطعام والجوارح والأعضاء، فهو قائم بغيره أي مفتقر.

وغني: مستغني.

وواحد: لا يتعدد، **وحي**: الحي القيوم.

وقادر: على كل شيء، وقدرته متعلقة بالممكنات، ولا تتعلق القدرة بالمستحيل العقلي، فإذا سُئلت هل الله قادر أن يخلق معه إله؟

الجواب: كلا لأن ذلك مستحيل عقلي، وقدرة الله لا تتعلق بالمستحيل.

فتفسير ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [البقرة:١٠٦]، أنَّ الله على كل شيء يريده قدير، أو على كل ممكن قدير، إذن هناك محذوف مقدر عقلاً.

ومريد: الإرادة لا بد أن تكون مع القدرة لتخصصها، والإرادة يخصصها العلم.

عالم بكل شيء: فالحي لا بد أن يكون قادراً، والقادر لا بد أن يكون مريداً، والمريد لا بد أن يكون عالماً بكل شيء، بما كان وما يكون ومالم يكن لو كان كيف يكون.

قول المصنف:

سميع البصير والمتكلم   له صفات سبعة تنتظم

سميع البصير: يسمع الموجودات ويبصرها من غير جهة ومن غير آلة (الأذن، العين) لأنه لو كان بآلة فقد افتقر للآلة ولو فسدت الآلة انتفت الصفة، وهذا يستحيل بحق الله. فالله ﷻ يبصر بغير آلة؛ لأن الآلات أجزاء الأجسام.

المتكلم: كلام لا بصوت ولا بحرف ولا مقيد بلغة ولا مقيد بزمن.

له صفات سبعة تنتظم: من ضمن العشرين صفة، توجد سبعة معنوية ناتجة من صفات المعاني، أي قادر بقدرة، حي بحياة، عليم بعلم، مريد بإرادة، بصير ببصر، سميع بسمع، متكلم بكلام.

قول المصنف:

فـقـدرة إرادة سمـع بصر حـيـاة الـعـلـم كـلام اسـتـمـر

أي جميع هذه الصفات مستمرة لا تنقطع أبداً، عاملة في كل لحظة، وخارجة عن حد الزمان والمكان؛ لأن الزمان والمكان قيد والله خارج عن القيود.

وبعد أن انتهينا من هذه العشرين عرفنا ضمنـًا العشرين المستحيلة على الله ﷻ وهي عكسها، فنكون قد عرفنا أربعين صفة **وواحدة ممكنة وهي**

قول المصنف:

وجـائـز بـفـضـلـه وعـدلـه تـرك لـكـل مـمـكـن كفعله

الممكن: الذي من الممكن أن يكون موجوداً وغير موجود، مخلوقـًا وغير مخلوق، فجائز أنَّ الله ﷻ يخلق أو لا يخلق، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨].

وبفضله: إثابة الطائع، **وبعدله**: محاسبة العاصي.

ترك لكل ممكن كفعله: فممكن أن يفعل وممكن ألّا يفعل، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء:٢٣].

وختامـًا نكون قد علمنا إلى الآن إحدى وأربعين صفة، عشرين واجبة وعشرين مستحيلة وواحدة ممكنة.

الأنبياء والرسل عليهم السلام

الواجب في حقهم عليهم الصلاة والسلام

قول المصنف:

أرســـل أنـبـيـا ذوي فـطـانـة بـالـصـدق والـتـبـلـيـغ والأمـانـة

انتقل المصنف للكلام عن الأنبياء عليهم الصلاة السلام؛ لأنك وإن عرفت الله ﷻ فلن تعرف كيف تطيعه إلا بواسطة الرسل، فالرسل ضرورة عقلية، ووجوب عقلي؛ كي تعرف لماذا خلقك؟ وكيف تعبده؟ وماذا بعد الموت. فالرسل: صلة بين الله وخلقه.

وما دام الله ﷻ عظيمـًا لا بد أن يكون الرسول عظيمـًا وكاملاً ظاهراً وباطنـًا.

أرسل أنبيا ذوي فطانة: والنبي مشتق من الإنباء وهو الذي يُنبئ بالغيب. وقراءة نافع (النبيء)، أو من نبأ بمعنى ارتفع مقامه في قومه وقراءة باقي القراء (يا أيها النبي).

والنبي: رجل من بني آدم كامل الخلقة. ولا تصلح المرأة للنبوة؛ لأن طبيعتها الحياء ولا تستطيع الاختلاط، ثم أنها تحيض وتلد وهذه مشاغل، وتكون في أوقات من حياتها على غير طهارة، وغير قادرة على الجهاد بالسلاح.

والوحي لغير النبي يسمى إلهامًا، كما جاء إلى أم موسى[١] ومريم[٢] عليهما السلام.

وكامل الخلقة: جسمًا وصورة ولسانًا وعقلاً وفيه صفات الكمال الظاهرة والباطنة.

الفطانة: الذكاء وإقامة الحجة على الخلق، ولإزالة الشبهات عن عقول وقلوب أتباعهم (فالأنبياء هم أذكى المخلوقات).

وأعلى الأنبياء فطانة هم (الرسل): الذين جاءهم الوحي وأمروا بتبليغه. أما الأنبياء: فهم الذين جاءهم الوحي ولم يؤمروا بتبليغه، وقد يكون على شريعة الرسول الذي قبله كأنبياء بني إسرائيل من بعد سيدنا موسى عليه السلام.

وأفضل الرسل أولوا العزم: (سيدنا محمد، فسيدنا إبراهيم، فسيدنا موسى، فسيدنا عيسى، فسيدنا نوح)[٣] عليهم الصلاة السلام على هذا الترتيب في الأفضلية. وأفضل أولي العزم (سيدنا محمد) ﷺ.

وعدد الأنبياء والرسل مئة واربع وعشرون الف نبي ورسول، منهم ثلاث عشر وثلاثمائة رسول، والباقي أنبياء.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص:٧].

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران:٤٢-٤٣].

(٣) أشار الله عز وجل الى أولي العزم في اية واحدة في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب:٧].

ومن التوافق العجيب أنَّ الصحابة في معركة بدر كانوا ثلاث عشر وثلاثمائة، والخلفاء خمسة وهو يوافق أولوا العزم. وفيه دليل على أنَّ الصحابة ورثوا روحانية الأنبياء. وكذا عدد الأولياء من كل عصر على عدد الأنبياء جميعهم.

والصدق: لا يتصور في حقهم الكذب. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر:٣٣].

والتبليغ: لا يتصور في حقهم كتمان شيء أُمِروا بتبليغه قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة:٦٧].

والأمانة: والعصمة: عدم تصور ارتكاب النبي للصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها لاستحالة اجتماع النقيضين حيث إننا نعلم أن أفعال الأنبياء وأقوالهم طاعة، فلو تصورنا وقوع المعصية في أقوالهم وأفعالهم لصارت المعصية طاعة وهذا محال عقلي لاستحالة اجتماع النقيضين.

فهذه أربعة يقابلها أربعة مستحيلة في حقهم، فالفطانة عكسها الغباوة، والصدق عكسه الكذب، والتبليغ عكسه الكتمان، والأمانة عكسها الخيانة.

إذن يستحيل في حقهم (الغباوة والكذب والكتمان والخيانة)، فأصبحت لدينا ثمان صفات أربع واجبة وأربع مستحيلة. ومن العلامات الأخرى المعجزة وهي أمر خارق للعادة على جهة التحدي، وإخباره بالغيوب.

الممكن في حق الأنبياء والرسل

قول المصنف:

وجـائـز في حقـهـم مـن عـرض   بـغير نـقص كخفيف المرض

والمرض: هو عرض جائز في حق الأنبياء، ويكون غير معجز كشلل وصمم وعمى، وغير معدٍي وغير منفِّر.

والأعراض البشرية: الحزن والفرح والنوم والاكل...... وهكذا.

وخفيف المرض: فلا يمرضوا بأمراض منفرة، فلا تخرج منهم رائحة كريهة ولا تصيبهم أمراض مشوهة ومنفرة للناس.

والجواب على بعض أمراض الأنبياء التي يظن البعض أنها منفِّرة:

فسيدنا يعقوب (عليه السلام): عندما ابيضت عيناه من كثرة البكاء لم يعمَ، وكان المرض عارضـًا، ومن ثم رد الله ﷻ إليه بصره بعد فرحه بقرب لقاء سيدنا يوسف عليه السلام.

وسيدنا موسى (عليه السلام): أُصيب بجمرة وهو طفل احترق بها لسانه، ثم رد الله إليه نطقه عندما أرسل استجابة لدعائه حين قال: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨﴾ [طه:٢٧-٢٨]، فقال الله تعالى: ﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦﴾ [طه:٣٦].

وسيدنا أيوب (عليه السلام): كل ما ورد عنه من أنَّ الدود أكل جسده من الإسرائيليات وتفسير قوله تعالى:﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ [ص:٤١]، مسني بنصب، أي: بدأ يشكك أتباعي في نبوتي ويقول لهم: لو

كان نبيا ما أمرضه ربه وهكذا. فدعا ربه أن يحفظ قومه من الشيطان، وأن يشفيه حتى لا يشك أتباعه في صدق نبوته.

عصمة الأنبياء والرسل

قول المصنف:

عصمتهم كسائر الملائكة واجبة وفاضلوا الملائكة

العصمة: أي: لا يصدر منهم معصية ولا ذنب قبل النبوة ولا بعدها، فهم منزهون عن الكبائر والصغائر مطلقا، ويجوز عليهم فعل خلاف الأولى من المباح والمكروه ولا يواظبون عليه تشريعا لأمتهم ولبيان جوازه، كما البول والأكل واقفا، وأما النسيان فجائز في حقهم على النادر لبيان بشريتهم ولبيان كيفية التصرف عند النسيان تشريعا.

واجبة وفاضلوا الملائكة: فعصمتهم واجب الاعتقاد بها عقلا وشرعا؛ لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم مع وجود بشريتهم وشهواتهم وبالتالي فهم أفضل من الملائكة الذين لا شهوة لهم فكانت عصمتهم أسهل، فهم أفضل من الملائكة.

المستحيل في حق الأنبياء

قول المصنف:

والمستحيل ضد كل واجب فاحفظ لخمسين بحكم واجب

والمستحيل ضد الأربعة الواجبة بحقهم، وهذه خمسون صفة (٢٠) واجبة بحق الله و(٢٠) مستحيلة بحق الله و(١) جائزة بحق الله و(٤) واجبة بحق الأنبياء و(٤) مستحيلة بحق الأنبياء و(١) جائزة بحق الأنبياء.

الصفات الإلهية	
الواجبة	**المستحيلة**
الوجود	العدم
القدم	الحدوث
البقاء	الفناء
مخالفة الحوادث	موافقة الأحداث
القيام	الافتقار للغير
الوحدانية	نفي الشريك
الحياة	الموت
القدرة	العجز
الإرادة	الإكراه
العلم	الجهل
السمع	الصمم
البصر	العمى
الكلام	البكم
حي	ميت
قادر	عاجز
مريد	مجبر أو مكره أو مقهور
عالم	جاهل
سميع	أصم
بصير	أعمى
متكلم	أبكم
٤٠ + ١ جواز في حقه ترك الممكن وفعله	

في حق الرسل	
الواجبة	**المستحيلة**
الصدق	الكذب
الأمانة	الخيانة
التبليغ	الكتمان
الفطانة	الغباء
٤١ + ٨ = ٤٩ و ١ الجائز في حق الرسل (الأمراض) = ٥٠ صفة	

عدد الرسل (عليهم الصلاة والسلام) المذكورين في القرآن

قول المصنف:

تفصيل خمسة وعشرين لزم ... كل مكلف فحقق واغتنم

هم آدم إدريس نوح هود مع ... صالح وإبراهيم كل متبع

لوط وإسماعيل إسحاق كذا ... يعقوب يوسف وأيوب احتذى

شعيب هارون وموسى واليسع ... ذو الكفل داود سليمان اتبع

إلياس يونس زكريا يحيى ... عيسى وطه خاتم دع غيا

عليهم الصلاة والسلام ... وآلهم مادامت الأيام

يلزم على كل مكلف الإيمان بالأنبياء جميعا، فمن يكفر بنبوة أحد الأنبياء المذكورين في القرآن فهو كافر.

آدم (عليه السلام): أبو البشر خلقه من تراب، وخُلق على هيئته وصورته الرجولية، أي لم يمر بمراحل الطفولة والشباب لقوله ﷺ: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»[1] أي صورته الرجولية فلم يمر بمراحل قبل البلوغ، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة ثم أسكنه جنته، وأخبره لتعليم أولاده أنَّ إبليس هو عدو له ولذريته.

فلما أسكنه في الجنة أباح له كل شيء إلا شجرة، وعاش فيها زمناً فنسي النهي وسول له الشيطان وحلف له، وكان آدم عليه السلام لا يعتقد أنَّ هناك مخلوقاً يقسم بالله كذبا فأكل منها ناسياً دون عزم على المعصية كما قال

---

(١) البخاري (٦٢٩٩)، مسلم (٤٥٧)، أحمد (٧٤٤١).

سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه:١١٥]، ولقد كتب الله ﷻ هذا ليتم إخراجه من الجنة، ويكون خليفة الله في أرضه، وبعد أن أكل من الشجرة استغفر ربه ﷻ وتاب إليه، وتوسل بالنبي ﷺ حيث قرأ اسمه مكتوباً على العرش.

ثم أُنزل إلى الأرض، وقد قيل في الهند، ثم حملت له حواء وولدت أربعين بطنا، في كل بطن ذكر وأنثى، وعاش حياة كريمة مع ذريته، ثم مات وترك رسالته لابنه شيت عليه السلام الذي تحمل النبوة بعده. ومكان دفنه غير معلوم وفيه أقوال كثيرة.

إدريس (عليه السلام): جاء بعد آدم بقرون، بعد أن انتشرت عقيدة الأوثان، فبعث الله سيدنا إدريس عليه السلام، ولد في العراق وسكن في مصر، وهو مشهور في الحكمة، وكان خبيراً في الإعمار وإنشاء المدن والخياطة، وعلَّم الناس الطب والحكمة، وعلَّمهم الخط بالقلم وعلم الحساب، وعلَّمهم مواسم الزراعة. ثم دعا الناس إلى التوحيد الى أن توفاه الله.

نوح (عليه السلام): جاء بعد إدريس بقرون عديدة، وفي الخبر أنَّ بين آدم ونوح عشرة قرون والله أعلم، وهو من أولي العزم من الرسل، لبث في قومه (٩٥٠) سنة ونُبِئ بعد سن الأربعين وآمن من قومه قليل. أمره الله أن يصنع السفينة وأعلمه أنَّ الطوفان سيأتي عذابا للكافرين، فصنع السفينة في صحراء، فسَخِرَ منه قومه، وكان له ثلاثة أولاد مؤمنين (سام – حام – يافث) ورابع كفر وغرق. ولما حدث الطوفان ظلوا في السفينة ونجو مع المؤمنين، حتى استوت على الجودي، وصار كل من معه على التوحيد. أما أولاده:

يافث: اتجه إلى الشمال فخرج من صلبه الروم والأوربيين.

حام: اتجه إلى الجنوب فخرج من صلبه الجنس الأسمر البشرة (الأفارقة).

سام: خرج من صلبه العرب والعبرانيين.

هود (عليه السلام): هو أول نبي تكلم العربية، أُرسل إلى عاد وهي قبيلة عربية. وكانوا أقوياء البدن وجبارين. فكذبوه فأهلكهم الله بسبع ليال وثمانية أيام حسومـًا بريح شديدة فأبادهم الله.

صالح (عليه السلام): هو ثاني الأنبياء العرب، أُرسل إلى ثمود. فطلبوا أن يخرج لهم من الصخرة ناقة معجزة على صدقه ونبوته، ولها مواصفات تعجيزية، حيث تكون عشراء وتخرج لبنا يكفي القبيلة كلها. فأعطاهم الله هذه المعجزة، فأنشق الجبل وخرجت الناقة، لكنهم قتلوا الناقة وكفروا بالنبوة فأهلكهم الله بالصيحة.

إبراهيم (عليه السلام): بن تارح وهو أبو الأنبياء، بدأ في العراق، ودعا عمه آزر الذي يصنع التماثيل إلى عبادة الله فأبى، أُلقي في النار فأنقذه الله منها، وخرج مع زوجته سارة وابن أخيه لوط عليه السلام، وقصته معروفة.

لوط (عليه السلام): ابن أخ إبراهيم عليه السلام أرسله الله إلى قرية سادوم في الأردن، وانتشر في هذه القرية الشذوذ، حيث الرجال تأتي الرجال والنساء تأتي النساء، وكله من عمل إبليس، فهو الذي علمهم هذا العمل، وزوجته كانت معهم على الكفر. فأهلكهم الله فجعل سافلها عاليها، وأمطرَ عليهم حجارة، ونجى الله لوطاً عليه السلام ومن معه إلا زوجته.

إسماعيل (عليه السلام): النبي العربي الثالث، أنجب اثني عشر ولدا، وأولاده يسمونهم العرب العاربة، وصارت على لسانه العربية فصيحة، وأمه هاجر عليها السلام. وكان سيدنا إبراهيم عليه السلام يزوره في مكة على البراق، وبئر زمزم خرج ببركته، ولما كبر بنى الكعبة مع أبيه إبراهيم عليهما السلام، وهو الذي فداه الله بذبح عظيم.

إسحق (عليه السلام): ابن إبراهيم وأمه ساره، عاش في الشام، وولد يعقوب عليه السلام وجميع أنبياء بني إسرائيل من عقبه.

يعقوب (عليه السلام): وهو إسرائيل ومعناه (عبد الله) بعثه الله لأهل كنعان، ولِد له اثنا عشر ولدا، عشرة أولاد من امرأة، ويوسف وبنيامين من أختها.

يوسف (عليه السلام): ابن يعقوب وقصته مشهورة، قال عنه النبي ﷺ (الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم) (يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام).

أيوب (عليه السلام): ابتلاه الله ﷻ في بدنه وأولاده، وأراد الله أن يجعله رمزاً للصبر على البلاء، فقبض جميع أولاده وأهلك ماله، ومرض في بدنه وهو صابر، ولم يكن مرضه منفراً كما تقول الإسرائيليات، ثم بعد ذلك عافاه الله ورزقه بالأولاد والمال وعوضه عما فقده.

شعيب (عليه السلام): سكن مدين في تبوك في الأردن، أُرسل إليهم وكانوا يعبدون شجرة تسمى الأيكة، وكانوا يطففون بالمكيال، ولما كذّبوه أهلكهم الله بالرجفة وعذّبهم بعذاب يوم الظلة، بأن سلط عليهم الحر سبعة

أيام، فأرسل الله الغمام فاستظلوا بها، فأمطرت عليهم ناراً فأحرقتهم؛ لذلك سمي يوم الظلة.

هارون (عليه السلام): الأخ الأكبر لسيدنا موسى عليهما السلام، ولد في السنة التي كان فيها فرعون لا يقتل الذكور، وقصته مشهورة.

موسى (عليه السلام): وهو الكليم، أنزل عليه التوراة وهو من أولي العزم وقصته مشهورة.

اليسع (عليه السلام): وهو نبي أرسله الله إلى بني إسرائيل.

ذو الكفل (عليه السلام): بن أيوب وهو من أنبياء بني إسرائيل.

داود (عليه السلام): وهو النبي الذي جعله الله ملكـًا على بني إسرائيل ونبيـًا لهم، وأنزل عليه الزبور، وآتاه الله الملك والنبوة وآلان له الحديد فصنع منه أدوات الحرب من سيوف ودروع وأغطية للرأس.

سليمان (عليه السلام): بن داود عليه السلام وهو أيضـًا ملك ونبي ورث النبوة والملك من أبيه، وأسال الله له عين القطر (النحاس) وسخر له الرياح والجن وقصته معروفة مع بلقيس وغيرها.

إلياس (عليه السلام): من أنبياء بني إسرائيل.

يونس بن متى (عليه السلام): وهو ذو النون، بعثه الله ﷻ إلى أهل نينوى من الموصل في العراق، وقصته معروفة مع الحوت وكيف التقمه ونجاه مولاه بعد ذلك.

زكريا (عليه السلام): أُرسل إلى بني إسرائيل، وكان يعمل نجاراً ولم يولد له ولد حتى قارب المئة أو أكثر. وهو الذي كفل مريم (عليها السلام). فرزقه الله ﷻ بسيدنا يحيى (عليه السلام) وقصته معروفة.

يحيى (عليه السلام): وهو بن زكريا، وهو ابن خالة سيدنا عيسى عليه السلام وأنزل عليه الإنجيل.

عيسى (عليه السلام): ابن مريم، كلمة الله التي ألقاها إلى مريم وروح منه، وهو الذي كلم الناس في المهد.

سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم): خاتم الأنبياء والمرسلين وسيد الأولين والآخرين ورحمة الله للعالمين أرسله الله للناس كافة وخصه بالقرآن الذي نسخ به الشرائع السابقة وهدى الله به الإنس والجن.

وهناك أربعة أُختلف في نبوتهم: (ذو القرنين، لقمان، عزير، الخضر).

ذو القرنين: قائد حربي ورجل صالح تابع لنبي.

عزير: نبي وآية نبوته حفظه للتوراة، وهو الذي أماته الله مائة عام ثم أحياه.

لقمان: الراجح أنه حكيم تابع لنبي.

الخضر: أُختلف في نبوته، فقسم من العلماء قالوا بأنه ولي، وقسم قالوا بنبوته، والراجح عندي انه نبي لأنه قتل الغلام والقتل لا يكون إلا بوحي وليس بإلهام والله أعلم.

الملائكة عليهم السلام

قول المصنف:

والملك الذي بلا أب وأم لا أكل لا شرب ولا نوم لهم

من هنا بدأ الكلام عن السمعيات: وهي الأخبار الغيبية التي سمعناها من الأنبياء ولم نبصرها.

والمَلَكُ: مفرد ملائكة، ولا توصف بالذكورة ولا الأنوثة، ولا تتوالد.

بلا أب ولا أم: فهم أجسام نورانية لطيفة، عقلاء مكلفون ومعصومون، لا يعصون الله ما أمرهم، وعندهم عقل، ولا شهوة لهم، لا ينامون ولا يفترون ولا يموتون إلا مع النفخة الأخيرة.

أما وجودهم: فإما أن يخلقهم الله ابتداءً، أو يُخلقون بسبب الطاعات بقدرة الله، ويسكنون السماوات والأرض وما بينهما.

لقوله ﷺ: «أطت السماء وحق لها أن تئط، فما فيها من موضع شبر إلا وفيها ملك ساجد أو قائم أو راكع»[1].

ولهم وظائف: كل موكل بوظيفته التي وكلّها الله إليه، وقادرون على التشكل بصور شريفة.

لا أكل ولا شرب ولا نوم لهم: فهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناسلون ولا ينامون غذاؤهم الذكر والطاعة.

(١) الترمذي (٢٣١٢)، احمد (٢١٥١٦).

قول المصنف:

تفضيل عشر منهم جبريل ميكال إسرافيل عزرائيل
منكر نكير ورقيب وكذا عتيد مالك ورضوان احتذى

جبريل: رسول الملائكة وأفضلهم، وهو روح القدس وموكل بالوحي للأنبياء.

ميكال أو ميكائيل: مسؤول الأرزاق والأمطار والأنهار.

إسرافيل: موكل بالنفخ في الصور، وموكل بنفخ الأرواح في الأطفال في بطون الأمهات.

عزرائيل: ملك الموت، وهو الموكل بقبض الأرواح وله أعوان، وله اطلاع على اللوح المحفوظ ليقبض الأرواح كل حسب أجله.

منكر ونكير: موكلين بسؤال القبر، وشكلهم جميل للمؤمن، ومرعب للكافر والمنافق.

رقيب وعتيد: موكلان بكتابة الحسنات والسيئات، ويكتبان بعد أن يبلغ الإنسان سن التكليف.

مالك: خازن النار، ولديه أعوان من الملائكة تحت أمره، وهم الزبانية ملائكة العذاب.

رضوان: خازن الجنة.

وهناك جنس آخر لم يذكره المصنف وهو **الجن**: وهم كائنات مخلوقة من نار، وهي لطيفة أي لا تُرى بالعين، وفيهم الذكور والإناث، وهم يأكلون

ويشربون وينامون ويتزاوجون وهم عقلاء مكلفون. المؤمن منهم يسمى جن، والكافر منهم يسمى شيطان، والعاصي منهم يسمى مارد، والماهر منهم يسمى عفريت، وهم يروننا من حيث لا نراهم ويتشكلون في الأشكال الشريفة وغير الشريفة.

أما الملائكة فلا تتشكل إلا بصورة رجل جميل الصورة، ولا تتشكل بصورة امرأة.

والجن يموتون ويُحاسبون لأنهم مُكلفون وليس لهم سلطان على بني آدم إلا بتزيين المعاصي والشهوات

الكتب السماوية

قول المصنف:

أربعة من الكتب تفصيلها ... توراة موسى بالهدى تنزيلها

زبور داود وإنجيل على ... عيسى وفرقان على خير الملا

وصحف الخليل والكليم ... فيها كلام الحكم العليم

أربعة من الكتب تفصيلها:

التوراة: نزلت على سيدنا موسى ، ومعناها شريعة، وهي مجموعة من الأوامر والنواهي.

الزبور: أدعية ومناجاة وصلوات وأخبار نزلت على سيدنا داود .

الإنجيل: شريعة نزلت على سيدنا عيسى وجاءت بتحليل بعض الحرام الذي ورد في التوراة وفيه بشارة بسيدنا محمد ﷺ.

القرآن: كلام الله القديم نزل على سيدنا محمد ﷺ بلسان عربي مبين.

صحف إبراهيم وموسى: وهي كتب سماوية نزلت من الله ﷻ.

وهذه الكتب كلام الحكم العليم: نزل بلغات مختلفة على حسب لغة القوم الذين نزل عليهم.

فصل في طاعة الرسول ﷺ

قول المصنف:

وكـل مـا أتـى بـه الرسـول فحـقـه الـتـسـليـم والـقـبـول

وواجب على كل مسلم أن يصدق بما جاء به الرسول ﷺ ومن ضمنها الغيب والجنة والنار وغيرها.

فصل اليوم الآخر

قول المصنف:

إيمـانـنـا بـيـوم آخـر وجـب وكل ما كان به من العجب

الإيمان باليوم الآخر من أركان الإيمان الذي أخبرنا به النبي ﷺ.

وكل ما كان به من العجب: سواء ما يسبقه من الفتن والمهدي والدجال ونزول عيسى عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من المغرب ثم دابة الأرض، ثم الريح التي تقبض أرواح المؤمنين، ثم يرتفع القرآن من الصحف، ولا يبقى على الأرض إلا الكفار، وتهد الكعبة ثم تخرج النار

من قعر عدن، ثم تقوم القيامة بزلزال الأرض، وما في هذا اليوم من نفخ في الصور نفختان: نفخة الموت ونفخة البعث ميزان وصراط وحساب وأعراف وشفاعات وأهوال، ومدة يوم القيامة خمسون الف سنة فيشفع النبي ﷺ فيصير الف سنة على الكافر، وما بين العصر والمغرب على المؤمن وقد تكون قدر ركعتين حسب الإيمان.

فيشفع النبي ﷺ بجميع الشفاعات الكثيرة، ثم يشفع الأنبياء، ويشفع الأولياء ويشفع كل من له شفاعة بإذن الله. ثم يعبر الناس الصراط: وهو جسر على متن جهنم، فمنهم من ينجو ومنهم من يسقط، وبعد الصراط هناك منطقة تسمى القنطرة وفيها الحساب في حقوق الخلائق، ويقتص لأصحاب الحقوق ممن ظلموهم. ثم جنة أو نار، وخلود، ثم يأتي الموت على صورة كبش فيذبح ويقال يا أهل الجنة حياةً بلا موت، ويا أهل النار حياةً بلا موت.

وما سبق هي العلامات الكبرى وأحداث القيامة. وهناك علامات صغرى كتطاول الحفاة العراة بالبنيان، وانتشار الزنا واكتفاء الرجال بالرجال والنساء والنساء وشرب الخمر والكذب والنفاق، ورفع الحياء وكثرة إعداد النساء، وأن تلد الأمة ربتها، وانتشار الطلاق، والخيانة وعدم وجود الأمانة، ويوسد الأمر إلى غير أهله، وإمارة الصبيان، وظهور العلماء الذين ضلوا وأضلوا. وأغلب العلامات الصغرى ظهرت.

والخلاص منها: أن تلتزم بالله طاعة ومراقبة وخوفا ورجاء، وتتعلق برسوله ﷺ محبة واتباعا حتى تنجوَ بنفسك وأهلك، وأن تتمسك بالقرآن وآل بيت النبي ﷺ والسنة النبوية الشريفة.

قول المصنف:

خاتمة في ذكر باقي الواجب	مما على مكلف من واجب
نبينا محمد قد أرسلا	للعالمين رحمة وفضلا
أبوه عبد الله عبد المطلب	وهاشم عبد مناف ينتسب
وأمه آمنة الزهرية	مرضعته حليمة السعدية
مولده بمكة الأمينة	وفاته بطيبة المدينة
أتم قبل الوحي أربعينا	وعمره قد جاوز الستينا

خاتمة في ذكر باقي الواجب: وهذا واجب على كل مسلم أن يعرفه. فنبينا اسمه محمد ﷺ أُرسل للعالمين رحمة.

نبينا محمد قد أرسلا	للعالمين رحمة وفضلا
أبوه عبد الله عبد المطلب	وهاشم عبد مناف ينتسب

وهنا ذكر النسب الشريف الذي ينتهي إلى عدنان، وعدنان كان معاصراً لسيدنا عيسى عليه السلام ولكنه لم يلتق به، وعدنان يرجع نسبه إلى سيدنا إسماعيل عليه السلام.

وجميع آباءه وأمهاته ناجون لأنهم من أهل الفترة ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء:١٥]، وآباؤه إلى آدم مسلمون موحدون، لم يسجدوا لصنم ولم يشربوا خمراً ولم يزنوا، فآباء النبي كلهم موحدين أنبياء، وان لم يكونوا أنبياء فهم أقطاب عصورهم، وأمهاته صديقات لقوله ﷺ: «وما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما»[1].

---

(١) الجامع الصغير من حديث البشير النذير للسيوطي (٢٦٨٢).

وحل الإشكال في حديث «استأذنت ربي أن أزور أمي فأذن لي واستأذنته أن أستغفر لها فلم يأذن لي»[1].

وشرحه: أنه حديث آحاد يخالف صريح القرآن فلا نأخذ به، وإن أخذنا به فتفسيره الصحيح: استأذنت ربي أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، لأنها ليست مقصرة حيث عاشت ولا تكليف عليها، فلم يؤمروا قبل بعثته ﷺ بتكليف ولم ينهوا عن شيء عن طريق نبي مرسل، إذن لم يكن عليهم ذنوب ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]، فهي على البراءة الأصلية فلا تحتاج للاستغفار.

قول المصنف:

وأمـــه آمـــنـــة الـزهـريـة   مـرضـعـتـه حـلـيـمـة الـسـعـديـة

أمه السيدة آمنة رضي الله عنها، وهي أول من أرضعته ثم ثويبة مولاة أبي لهب، ثم السيدة حليمة رضي الله عنهم أجمعين، ومكث عندها أربع سنين وشق صدره عندها فأرجعته إلى أمه خوفا عليه، ثم عاش مع أمه حتى صار عمره ست سنوات ثم ماتت بالأبواء، على بعد ثلاثمائة كم من المدينة، ومن ثم كفله جده حتى صار عمره ثمان سنين ثم كفله عمه أبو طالب وعاش معه حتى تزوج سيدتنا خديجة وعمره خمسة وعشرين عاما، وتعلم الرعي حتى سن الثانية عشرة، وعندما صار عمره عشرين سنة تعلم التجارة وسافر مع عمه. أما حليمة السعدية فقد أسلمت بعد فتح مكة ودفنت بالبقيع.

---

(١) مسلم (١٠٥).

قول المصنف:

مــولــده بمــكــة الأمــيــنــة وفــاتــه بــطــيــبــة المــديــنــة

ولد ﷺ عام الفيل في يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول والمصادف ٢٠ / ٤ / ٥٧١م على المشهور، وتوفي في يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول عن ثلاث وستين عاما ودفن بالمدينة المنورة، وولَّدَتْهُ الشفاء وهي أم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

ولقد ذكر الإمام السيوطي: أنه ﷺ نطق في المهد وقال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا.

توفي: بالمدينة المنورة، ودفن في بيته في حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها، ويعتبر قبره أفضل بقعة في الأكوان؛ لأنه يمس أفضل جسد في الأكوان، وهذا بإجماع المسلمين.

قول المصنف:

أتم قــبــل الــوحــي أربــعــيــنــا وعــمــره قــد جــاوز الستينا

عاش أربعين سنة قبل أن يأتيه الوحي، حتى بلغ ثلاث وستين عاما.

أبنائه ﷺ

قول المصنف:

وســبــعــة أولاده فــمــنــهــم ثــلاثــة مــن الــذكــور تــفــهــم

قاسم وعبد الله وهو الطيب وطــاهــر بــزيــن ذا يلقب

أتــاه إبـراهـيـم مـن سـريـه فـأمـه مـاريـة الـقـبـطـيـة
وغـير إبـراهـيـم مـن خـديجة هـم سـتـة فـخـذ بهـم وليجه

ولد إبراهيم من السيدة ماريا القبطية رضي الله عنها، التي أتته هدية من المقوقس ملك القبط، وكأنت من أمراء مصر وضُرب عليها الرق، أسلمت في طريقها إلى رسول الله ﷺ. فدخل بها وولدت له إبراهيم عليه السلام وعاش سبعة عشر شهرا ومات ودفن بالبقيع.

والقاسم: أول أولاد النبي ﷺ وعاش سنتين، ومدفون قرب قبر السيدة خديجة رضي الله عنها.

عبد الله: ولد بعد البعثة لذلك سمي الطاهر والطيب.

قول المصنف:

وأربــع مــن الإنـــاث تـذكـر رضـوان ربـي للجميع يذكر
فـاطـمـة الـزهـراء بعلها علي وابناهما السبطان فضلهم جلي
فـزيـنـب وبـعـدهـا رقـيـة وأم كـلـثـوم زكـت رضـيـه

أول بنت ولدت للنبي ﷺ زينب ثم أم كلثوم ثم رقية ثم فاطمة رضي الله عنهن أجمعين، وجميعهم ولدنَّ قبل البعثة، وكل بناته وأبناءه ماتوا قبله وهو الذي دفنهم إلا السيدة فاطمة رضي الله عنها.

والسيدة فاطمة رضي الله عنها تزوجت سيدنا عليا رضي الله عنه، وولدت الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم وزينب رضي الله عنهم، ماتت بعد بستة أشهر من وفاة النبي ﷺ ولم تُرى ضاحكة منذ أن مات أبوها إلى أن توفيت.

زينب رضي الله عنها: تزوجت أبا العاص وهو ابن خالتها، وكان النبي ﷺ يحبها حبًا شديداً، وكان يحب جميع بناته حبًا شديدا، ولا يسمح أن يتزوج عليهن، وماتت في سن الثلاثين من عمرها.

رقية رضي الله عنها: تزوجت عثمان بن عفان وماتت أثناء موقعة بدر، ثم زوجه النبي ﷺ السيدة أم كلثوم رضي الله عنها، وماتت في حياته أيضـًا.

زوجاته ﷺ

قول المصنف:

عن تسع نسوة وفاة المصطفى   خيرن فاخترن النبي المقتفى
عـائـشـة وحـفـصـة وســوده   صـفـيـة مـيـمـونـة ورمـلـه
هـنـد وزيـنـب كـذا جويرية   لـلـمؤمـنين أمـهـات مرضـية

وجميع زوجات النبي ﷺ مدفونات في البقيع، ما عدا السيدة ميمونة بنت الحارث في سّرِف على بعد خمسة كيلومتر من مكة على طريق المدينة، وهي خالة سيدنا عبدالله بن عباس وخالة سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنهم. والسيدة خديجة دفنت في مكة بالمعلاة.

والنبي ﷺ تزوج إحدى عشرة زوجة، اثنتان توفيتا في حياته السيدة خديجة والسيدة زينب بن خزيمة. وتسعة توفي النبي ﷺ وهم أحياء لذلك ذكرهم المصنف في شعره.

عائشة رضي الله عنها: هي البكر الوحيدة التي تزوجها النبي ﷺ وهي بنت أبي بكر ﷺ، ولقد أراه الله صورتها عن طريق جبريل ﷺ، وتزوجها بأمر

من الله ﷻ ولم تنجب له، وهي أعلم زوجات النبي ﷺ بسنة النبي ﷺ وأحب زوجاته عليه بعد السيدة خديجة رضي الله عنهن جميعا.

حفصة رضي الله عنها: بنت سيدنا عمر رضي الله عنه، توفي عنها زوجها وتزوجها النبي ﷺ.

سودة رضي الله عنها: بنت زمعة، تزوجها بعد خديجة بشهر.

صفية بنت حُيَيّ بن أخطب، وميمونة بنت الحارث ورملة بنت أبي سفيان وشهرتها أم حبيبة رضي الله عنهن.

أم سلمة: هند بنت أبي أمية، تزوجها بعد وفاة زوجها أبي سلمة رضي الله عنهما.

زينب بنت جحش رضي الله عنها: زوجها الله تعالى لنبيه بنص القرآن الكريم. **وجويرية بنت الحارث رضي الله عنها.**

أعمامه ﷺ

قول المصنف:

حمـــزة عـمـه وعـبـــاس كـذا   عـمـتـه صـفـيـة ذات احـتـذا

أعمامه ﷺ كثير، وهؤلاء أشهرهم إسلامـًا، أما أبو طالب فهو مؤمن بقلبه (يكتم إيمانه كمؤمن ال فرعون) ولم ينطق الشهادة بلسانه، وحمزة رضي الله عنه مدفون مع شهداء أحد، والعباس رضي الله عنه مدفون في البقيع، وعمته صفية رضي الله عنها.

الاسراء والمعراج

قول المصنف:

وقبل هجرة النبي الإسرا ... من مكة ليلا لقدس يدرى
وبعد إسراء عروج للسما ... حتى رأى النبيُ ربا كلما
من غير كيف وانحصار وافترض ... عليه خمسا بعد خمسين فرض
وبلغ الأمة بالإسراء ... وفرض خمسة بلا امتراء
قد فاز صديقٌ بتصديق له ... بالعروج الصدق وافى أهله

عُرج بالنبيﷺ إلى مقام قاب قوسين بعد وفاة عمه أبي طالب وزوجته السيدة خديجة، وبعد حادثة الطائف فبعد أن عادوه أهل الأرض وآذوه ورموه بالحجارة، أيده أهل السماء وفرحوا به. وفُرضت عليه في المعراج الصلاة خمسين وراجعه سيدنا موسى عليه السلام حتى صارت خمس بأجر خمسين، وسيدنا موسى عليه السلام كان يزداد فرحًا برؤية من رأى ربه. وكذبته قريش وصدقه الصديق رضي الله عنه.

خاتمة

قول المصنف:

وهذه عقيدة مختصره ... وللعوام سهلة ميسره
ناظم تلك أحمد المرزوقي ... من ينتمي للصادق المصدوق
والحمد لله وصلى سلما ... على النبي خير من قد علما
والآل والصحب وكل مرشد ... وكل من بخير هدى يقتدي
وأسال الكريم إخلاص العمل ... ونفع كل من بها قد اشتغل

أبـيـاتـهـا مـيـز بـعـد الجُـمَّـل　　　تاريخها لي حُـبيّ غُـيّرِ جُحَّل
سمـيـتـهـا عـقـيـدة الـعـوام　　　من واجـب في الديـن بالتمام

ثم انتهى من هذه العقيدة السيد أحمد المرزوقي حسني النسب، ولد كفيفا لم ير نورا إلى الدنيا، وختم عمله بالحمد والصلاة على النبي وآله وصحبه والدعاء لمن قرأها.

أبياتها بعد الجمل وهي أرقام أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذٌ ضظغٌ، وهنا يقول أبياتها بعدد كلمة (ميز) = سبعة وخمسين أي سبعة وخمسين بيتا وتاريخ (حبي غير حجل) = ١٢٥٨هـ.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم انتهيت من شرح عقيدة العوام في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك في ١٤٤٠ هـ بمسجد الأشراف بالمقطم- القاهرة.

الفقير الى مولاه

د. يسري رشدي السيد جبر الحسني

إمام وخطيب مسجد الأشراف


شرح
منظومة الخريدة البهية
للشيخ أحمد الدردير

الشيخ أحمد الدردير رضي الله عنه

العالم العلامة، أوحد وقته في الفنون العقلية والنقلية، شيخ الإسلام وبركة الأنام، أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي المالكي الأزهري الخلوتي الشهير بالدردير، ولد في بني عدي كما أخبر عن نفسه (١١٢٧ هـ) وحفظ القرآن وجوده، وحبب إليه طلب العلم، وحضر دروس العلماء، وسمع الأولية عن الشيخ محمد الدفري، والحديث من الشيخ شمس الدين الحفني وبه تخرج في طريق القوم فسلك على يديه وصار من أكبر خلفائه في الطريقة الخلوتية. أفنى عمره في خدمة شيوخه مع كمال العناية والزهد والعفة والديانة، وحضر دروس الملوي والجوهري.

كان رضي الله عنه: سليم الباطن مهذب النفس كريم الأخلاق.

قال رضي الله عنه متكلماً عن سلوكه على يد الشيخ الحفني رحمه الله في رسالته: لما لقنني شيخي وقدوتي سيدي شمس الدين الحفناوي رضي الله عنه الذكر وقد سبقت لي إشارة ربانية قبل الاجتماع به أني سأسير سيره، فلما لقنني الاسم الأول، مكثت نحو ستة أشهر أذكر به حتى أحرق الذكر جسمي وأذهب لحمي ودمي حتى صار مجرد جلد على عظم.

ولما بلغ ما بلغ رضي الله عنه رفع له الحجاب ونال ما نال وغدى من الرجال وأشير إليه بالكمال.

له مؤلفات كثيرة منها شرح مختصر خليل، ومتن في المذهب المالكي سماه أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك، ونظم الخريدة البهية في التوحيد وشرحها، وتحفة الإخوان في آداب أهل العرفان في التصوف، ورسالة صلوات

شريفة سماها المورد البارق في الصلاة على أفضل الخلائق، والتوجه الأسمى بنظم الأسماء الحسنى.

أسندت له رئاسة المالكية في وقته، وصار مفتيًا وناظراً وشيخًا على طائفة الرواق، بل شيخًا على أهل مصر بأسرها في وقته. كان آمراً بالمعروف ناهيًا عن المنكر ويصدح بالحق ولا تأخذه في الله لومة لائم، وله في السعي على الخير يد بيضاء.

مرض ولزم الفراش مدة حتى توفي في ثالث شهر ربيع الأول (١٢٠١هـ) وصليَّ عليه في الأزهر في مشهد عظيم ودفن بزاويته، وبني على قبره مسجد تقام فيه الصلوات وخطب الجمعة ودروس العلم.

قلت: وقد وفقني الله سبحانه وتعالى ومنَّ عليَّ وأخي أحمد عبد العزيز الفلوجي القادري بزيارة قبره والسلام عليه والدعاء عنده، وحضور درس شرح صحيح البخاري على الشيخ الدكتور يسري جبر الحسني والذي يشرح صحيح البخاري كل يوم سبت قبل صلاة الظهر في مسجد سيدي أحمد الدردير رضي الله عنه.

متن الخريدة البهية

يَقُولُ رَاجِي رَحْمَةَ القَدِيرِ — أَي أَحْمَدُ المَشْهورُ بالدردير

الحَمْدُ للهِ العَلِيِّ الواحِدِ — العَالِمِ الفَرْدِ الغَنِيِّ المَاجِدِ

وأَفْضَلُ الصلاةِ والتَسْلِيم — على النَبِيِّ المُصْطَفَى الكَرِيم

وآلِهِ و صَحْبِهِ الأَطْهَارِ — لاسِيما رَفِيقُهُ في الغَارِ

وهذِهِ عَقِيدَةٌ سَنِيَّه — سَمَّيْتُها الخَرِيدَةَ البَهِيَّهْ

لَطِيفَةٌ صَغِيرَةٌ في الحَجْم — لكِنْها كَبِيرَةٌ في العِلْم

تَكْفِيكَ عِلْماً إِنْ تُرِدْ أَنْ تَكْتَفِي — لأَنَّها بِزُبْدةِ الفَنِّ تَفِي

واللهَ أَرْجو في قَبولِ العَمَلِ — والنَفْعَ مِنْها ثم غَفْرَ الزَلَلِ

أَقْسَامُ حُكمِ العَقْلِ لا مَحَالَهْ — هي الوُجوبُ ثم الاسْتِحَالَهْ

ثُمَّ الجَوازُ ثالِثُ الأَقْسَامِ — فافْهَمْ مُنِحْتَ لَذَّةَ الأفْهامِ

وواجِبٌ شَرْعاً على المُكَلَّفِ — مَعرِفَةُ اللهِ العَلِيِّ فاعْرِفِ

أَيْ يَعرِفُ الواجِبَ والمُحَالا — مَعْ جَائِزٍ في حَقِّهِ تعالى

ومِثْلُ ذا في حَقِّ رُسْلِ اللهِ — عَلَيهِمُ تحيَّةُ الإلهِ

فالواجبُ العقليُّ ما لم يَقبَلِ — الانتِفا في ذاتِهِ فابتَهِلِ

والمُسْتَحيلُ كلُّ ما لم يَقْبَلِ — في ذاتِهِ الثُّبوتَ ضِدَّ الأَوَّلِ

وكُلُّ أَمْرٍ قَابِلٍ للانْتِفا — ولِلثُّبوتِ جائِزٌ بلا خَفا

ثمَّ اعْلَمَنْ بأَنَّ هذا العالَما — أَيْ ما سِوى اللهِ العَلِيِّ العالِما

مِن غيرِ شَكٍّ حادِثٌ مُفْتَقِرُ — لأَنَّهُ قامَ بهِ التَغَيُّرُ

حُدوثُهُ وجُودُه بعدَ العَدَمْ — وضِدُّهُ هو المُسَمَّى بالقِدَمْ

فاعْلَمْ بأنَّ الوَصفَ بالوُجودِ مِنْ واجباتِ الواحِدِ المَعْبودِ
إذْ ظاهِرٌ بأنَّ كُلَّ أَثَرِ يَهْدي إلى مُؤثِرٍ فاعتَبِرِ
وذِي تُسمَّى صِفةً نَفسيّه ثمَّ تَليها خَمْسَةٌ سَلْبيَّهْ
وهي القِدَمْ بالذاتِ فاعْلَمْ والبَقَا قِيامُهُ بنَفْسِهِ نِلتَ التُّقَى
مُخالِفٌ للغَيرِ وَحْدانيَّهْ في الذَّاتِ أو صِفاتِهِ العليَّهْ
والفِعْلُ في التأثيرِ لَيسَ إلا للواحِدِ القَهَّارِ جَلَّ وعَلا
ومَنْ يقُلْ بالطَّبعِ أو بالعِلَّهْ فَذاكَ كُفْرٌ عِنْدَ أَهْلِ المِلَّهْ
ومَنْ يَقُلْ بالقُوَةِ المُودعَةِ فَذاكَ بِدْعِيٌّ فلا تَلْتَفِتِ
لَوْ لم يَكُنْ مُتَّصِفاً بها لَزِمْ حُدوثُهُ وَهُوَ مُحالٌ فاسْتَقِمْ
لأنَّهُ يُفْضِي الى التَسَلْسُلِ والدَّوْرِ وهْوَ المُستَحيلُ المُنْجَلِي
فَهُوَ الجَليلُ والقَديرُ والوَلِي والظَّاهِرُ القدُّوسُ والرَّبُّ العَلِي
مُنَزَّهٌ عن الحُلولِ والجِهَهْ والاتِّصالِ والانْفِصالِ والسَّفَهْ
ثُمَّ المَعاني سَبْعَةٌ للرَّائي أي عِلْمُهُ المُحيطُ بالأشْياءِ
حَياتُهُ وقُدْرَةٌ إرادَهْ وكُلُّ شيءٍ كائِنٌ أرادَهْ
وإنْ يَكُنْ بِضدِّهِ قَدْ أَمرا فالقَصْدُ غيرُ الأمرِ فاطْرَحِ المِرَا
فقَد عَلِمتَ أربَعاً أَقْساما في الكائِناتِ فاحْفَظِ المَقاما
كَلامُهُ والسَّمْعُ والإبصارُ فهْوَ الإلهُ الفاعِلُ المُخْتارُ
وواجِبٌ تَعْليقُ ذِي الصّفاتِ حَتْماً دواماً ما عدا الحياةِ
فالعِلْمُ جَزماً والكَلامُ السَّامِي تَعَلَّقا بسائِرِ الأقْسامِ
وقُدرةٌ ارادةٌ تَعَلَّقا بالممكِناتِ كلِّها أخا التُّقَى
واجزِمْ بأنَّ سَمْعهُ والبصرا تَعَلَّقا بِكُلِّ مَوجودٍ يُرَى

وكُلُّها قَديمةٌ بالذَّاتِ ... لأنها لَيْسَتْ بغَيرِ الذَّاتِ

ثُمَّ الكَلامُ لَيْس بالحُروفِ ... ولَيْسَ بالتَّرتيبِ كالمَألوفِ

ويَسْتَحيلُ ضِدُّ ما تَقَدَّمَا ... مِنَ الصّفاتِ الشّامِخاتِ فاعلَما

لأَنَّه لو لم يكُنْ مَوصُوفا ... بها لكانَ بالسِّوَى مَعْروفا

وكُلُّ مَنْ قَامَ بِهِ سِواها ... فَهْوَ الذي في الفَقْرِ قَد تَناهى

والواحِدُ المَعْبودُ لا يَفْتَقِرُ ... لغيرِهِ جَلَّ الغَنيُّ المُقْتَدِرُ

وجَائِزٌ في حَقِّهِ الايجَادُ ... والتَّرْكُ والاشْقَاءُ والاسْعَادُ

ومَنْ يَقُلْ فِعلُ الصَّلاحِ وَجَبا ... على الالهِ قَدْ أَساءَ الأَدَبا

واجْزِمْ أخي بِرُؤيةِ الالهِ ... في جنَّةِ الخُلْدِ بلا تَناهي

اذِ الوُقوعُ جائِزٌ بالعَقلِ ... وقَدْ أتَى بهِ دَليلُ النَّقلِ

وصِفْ جَميعَ الرُسْلِ بالأَمانَهْ ... والصِّدْقِ والتَّبْليغِ والفَطانَهْ

ويَسْتَحيلُ ضِدُّها عَليهم ... وجَائِزٌ كالأَكْلِ في حَقِّهِم

إرْسالُهُم تفَضُّلٌ ورَحمَهْ ... للعالَمينَ جَلَّ مُولي النّعمَهْ

ويَلْزَمُ الايمانُ بالحِسابِ ... والحَشْرِ والعِقَابِ والثَّوابِ

والنَّشْرِ والصِّراطِ والميزانِ ... والحَوضِ والنيرانِ والجِنانِ

والجِنِّ والأَملاكِ ثم الأنبيا ... والحُورِ والولدانِ ثم الأَوليا

وكُلُّ ما جَاءَ مِنَ البَشيرِ ... مِنْ كُلِّ حُكْمٍ صارَ كالضَّروري

ويَنْطَوي في كِلْمَةِ الإسْلامِ ... ما قَدْ مَضى مِنْ سائِرِ الأَحْكامِ

فأَكْثِرَنْ مِن ذِكْرِهَا بالأَدَبِ ... تَرقى بهذا الذِكرِ أَعلى الرُّتَبِ

وغَلِّبِ الخَوْفَ على الرَّجاءِ ... وسِرْ لِمولاكَ بلا تَناءِ

وجَدِّدِ التَّوْبَةَ للأوزارِ ... لا تَيأَسَنْ مِنْ رَحمةِ الغَفَّارِ

وكُــنْ علـى آلائِــهِ شَـكُورا ... وكُــنْ علـى بَـلائِـهِ صَـبُـورا
وكُـلُّ أمـرٍ بـالـقَضاءِ والـقـدَرْ ... وكُـلُّ مَـقـدورٍ فَـما عَـنْـهُ مَفَرْ
فـكُنْ لَـهُ مُسَلِماً كَي تَسْلَما ... واتْبَعْ سَبِيلَ النّاسِكِينَ العُلَما
وخَلِّصِ القَلْبَ مِنَ الأغْيارِ ... بـالجِدّ والـقِيامِ بـالأسْحَارِ
والفِكْرِ والذِّكْرِ على الدّوامِ ... مُـجـتَـنِـباً لِـسـائِـرِ الآثـامِ
مُـراقِـبـاً للهِ في الأحْـوالِ ... لِـتَـرْتَـقي مَـعَـالِـمَ الـكَمالِ
وقُـلْ بِـذُلٍ ربّ لا تَقْطَعْني ... عَـنْـكَ بـقاطِعٍ ولا تَـحْـرِمْـني
مِنْ سِـرِّكَ الأبهى المُزيلِ للعَمى ... واخْـتِـمْ بخَيرٍ يا رحيمَ الرُّحَما
والحَـمْـدُ للهِ عـلـى الإتْـمـامِ ... وأفْـضَـلُ الصّـلاةِ والسَّـلامِ
على النَّـبيّ الهاشِميّ الخاتِمِ ... وآلِــهِ وَصَـحْـبِـهِ الأكــارِمِ

شرح الخريدة البهية

قال المصنف في المقدمة:

يَـقُـولُ رَاجــي رَحْـمَـةَ القَـديرِ ... أي أَحْـمَـدُ المَشْـهورُ بالدرديرِ

الحَـمْـدُ لله الـعَـلـيّ الـواحِـدِ ... الـعَـالمِ الـفَـرْدِ الـغَـنيّ المَـاجِـدِ

وأَفْـضَـلُ الـصـلاةِ والتَـسْـليـم ... على النَبيّ المُصْطَفى الكَريم

وآلـهِ و صَـحْـبـهِ الأَطْـهَـارِ ... لاسِـيـمـا رَفـيـقُـهُ في الـغَـارِ

وهــــذِهِ عَـقـيـدَةٌ سَـنـيّـه ... سَمْيتُـها الخَـريـدَةَ البَهيّـهْ

لَطيـفَـةٌ صَـغـيرَةٌ في الحَـجْـم ... لـكِنْـها كَـبـيرَةٌ في العِـلْـم

تَكْفيكَ عِلْماً إِنْ تُرِدْ أَنْ تَكْتَفي ... لأَنَّـهـا بِـزُبْـدةُ الـفَـنّ تَفي

واللهَ أَرْجــو في قَـبولِ العَمَلِ ... والنَـفعَ مِنْـها ثُـم غَـفْـرَ الزَلَلِ

في البيت الأول يُعرف الشيخ باسمه ونفسه، ثم بدأ بحمد الله ﷻ والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وهي مقدمة كل خطبة أو منظومة علمية، ومقدمة كل أمر ذي بال عند كل مسلم، ثم يذكر اسم المنظومة وفائدتها وعلم التوحيد، ثم يدعوا الله أن يقبلها ويغفر له.

قول المصنف:

أَقْسَامُ حُكْمِ العَقْلِ لا مَحَالَهْ	هي الوُجوبُ ثم الاسْتِحَالَهْ
ثُمَّ الجَوازُ ثَالِثُ الأَقْسَام	فافْهَمْ مُنِحْتَ لَذَّةَ الأَفْهام
وواجِبٌ شَرْعاً على المُكَلَّفِ	مَعرِفَةُ اللهِ العَلىّ فاعْرِفِ
أَيْ يَعرِفُ الواجِبَ والمُحَالا	مَعْ جَائِزٍ في حَقِهِ تَعالى

أقسام: جمع قسم وهو ما اندرج مع (كل أو كلي). وَالكل: ما يتركب من شيئين أو أكثر.

مثاله: (الحصيرة) لأنها عبارة عن خوص مربوط بخيط.

والكلي: ما صُرف على كثيرين متفقين في الحقائق مختلفين في الأفراد، مثاله: (إنسان) يُصرف على كثير في مختلف الدول. ومثال آخر(حيوان) و(نبات) كلي لأنها تندرج تحتها فصائل شتى.

ولكن لو قلنا (نبيذ): هو (كل) لأنه مكون من جوهرين الماء والتمر، فيطلق الكل على كثيرين مختلفين في الحقائق كالكرسي كل مكون من أجزاء مختلفين كالخشب والمسمار والدهان. والذي يندرج تحت الكل يسمى (جزء) إذن النبيذ جزء من التمر وجزء من الماء. والشاي جزئه ماء وجزئه سكر وجزئه نبات الشاي. والذي يندرج تحت (الكلي) جزئي وأفراد متفقين في الحقائق مختلفين في الأفراد كإنسان، والله تعالى لا يطلق عليه كل لأنه ليس له جزء لكونه أحد والأحد هو الذي لا يتجزأ، ولا يطلق عليه كلي لأنه ليس له أفراد لكونه واحد لا يتعدد.

حكم العقل: الحكم: إثبات شيء لشيء أو نفيه عنه. كقولك (فلان في البيت) (فلان ليس عالما) وهذا تعريف الحكم مطلقاً. فإن كان الحكم متعلقا باللغويات يسمى (حكم لغوي) كقولك الفاعل مرفوع، والمفعول به منصوب، والصفة تتبع الموصوف، وهذه جميعها أحكام لغوية، وإذا تعلق الحكم بالشرع سمي (حكم شرعي) كقولك الطهور شرط الصلاة. وإذا تعلق بالطبيعة أو البديهية يسمى (حكم طبعي أو بديهي) كقولك النار محرقة. وقد يكون حكما طبيا كقولك (المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء).

الحكم العقلي: وهو ما تعلق بالعقل، فبقوله الحكم العقلي أخرج الحكم اللغوي والشرعي والطبي وغيرها.

والحكم الشرعي: هو خطاب الله تعالى للمكلف والذي نعرفه من القرآن والسنة (افعل أو لا تفعل) فإذا جاء على سبيل الإلزام والجزم فهو واجب وعلى سبيل الطلب بغير جزم فهو المستحب، وعلى سبيل التخيير صار مباحا، وعلى سبيل النهي الجازم فهو حرام، وعلى سبيل النهي غير الجازم صار مكروها.

وهناك (حكم عادي): هو الذي جاء بالتجربة، **ومثاله**: الدواء يشفي، والطعام يشبع، والنار تحرق، وأهل السنة والجماعة يعتقدون أنَّ النار لا تحرق بذاتها والله ﷻ يخلق الإحراق عند ملامسة النار للجسم، فالنار لا تفعل الإحراق، والسكين لا تفعل الذبح والطعام لا يفعل الشبع، بل الله يخلق كل هذا ويجعل هذا سببه. فالمؤمن يؤمن أنَّ الله هو الفاعل مع وجود السبب، والكافر يسند الفعل والأثر كله إلى السبب فينكر وجود الله. فالكافر يقول: الدواء هو الذي يشفي، والمؤمن يقول: ربنا هو الشافي عند تناول الدواء.

و(كأن القدرة تنحجب في عالم الحكمة بالأسباب) فصار السبب نقاباً وحجاباً للقدرة الفاعلة في السبب، والمؤمن بالغيب كُشف له هذا النقاب، والمحجوب هو الذي حُجب بنقاب الأسباب ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين:١٥]، لأنه كان محجوباً عن هذا المعنى في الدنيا، فحجب عن الفاعل المختار في الآخرة.

مثال آخر: هل يخلق الشخص ابنه؟ فالعادة عندما يلتقي الرجل بالمرأة ويحدث الحمل فيُخلق الولد، فأنت لا تخلقه ولكنه منسوب إليك.

أما في الآخرة (فليس هناك أسباب؛ لأنك في عالم القدرة، فبمجرد أن تشتهي الشيء يأتيك دون سبب وعناء) أي القدرة مكشوفة، عكس الحياة الدنيا فالقدرة محجوبة بالأسباب؛ لذلك يسمون عالم الدنيا (عالم الحكمة) لأن حكمة الخبير هو اختبار المكلف، ومن حكمته أن يختبرنا بالأسباب.

الحكم العقلي: هو ارتباط الحكم بالعقل، والمسلمون برعوا في أحكام العقل؛ لأنهم نظروا بعين الوحي على الغيب، فلما نظروا بعين الوحي على الغيب ازدادوا علماً على علمهم بالحكم الوضعي والتجريبي واللغوي والطبي والقضائي إلى غيره ممن اشتركوا مع المسلمين في تلك الأحكام، وزاد عليهم المسلمون بالحكم العقلي.

تعريف العقل: سر روحاني تدرك به النفس العلوم الضرورية والنظرية والغيبية.

أما العلوم الضرورية: ما يعرفه كل الناس بأن هذا ناعم وهذا خشن وهذا حلو وهذا مر وهكذا. **وأما العلوم النظرية**: فيتفاوت بها الناس لأنها تحتاج الى نظر وفكر.

والعقل هو سر روحاني محله القلب ونوره في الدماغ لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج:٤٦]، ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف:١٧٩]، فهذه القلوب مكان الاتعاظ ومحل نظر الله ﷻ، ومحل مراقبة الله ومشاهدة الأنوار.

وبعض العلماء قالوا: أنَّ العقل مجموع المدركات الحسية والنظرية، وهو الذي يسميه الفقهاء (التمييز) وهو بداية تمييز الصبي بين الأمور، فيصبح مدركًا للزمن وللأحداث وللأشخاص. (فالعقل) يدرك به أنه لا يوجد فعل من غير فاعل، ولا حركة من غير محرك، وهي من البديهيات، كمن سقط عنده حجر وهو جالس في غرفته لا يرى من رماه، فالعقل يدرك أنَّ هناك من رمى هذا الحجر؛ لأن العقل يحيل أنَّ الحجر انطلق وحده.

لذلك فإنك ما رأيت أنَّ الشمس والقمر والكواكب وكل ما في الأكوان متحرك فهذا دليل على أنَّ هناك من حركها وأنت لم تره. فخلق الله العقل لتدرك به الغيب وهو مناط التكليف؛ لأن الله هو غيب الغيوب. إذن (العقل) عرض وليس جسما.

والعرض يحتاج لمحل ليظهر فيه كالرحمة والحب وغيرهما، لأن الموجودات إما (جوهر أو جسم أو عرض). **جوهر**: أي مكون من شيء واحد ويحتاج حيز. **والجسم**: مكون من أجزاء متحيزة. **عرض**: يحتاج لظهوره للجوهر أو الجسم، أي يحتاج لمحل حتى يظهر فيه كالألوان مثلاً. فالجوهر يفتقر لحيز يحل فيه ويفتقر إلى أجزائه، والعرض يحتاج ويفتقر للكل للجوهر أو الجسم والمحل ليظهر، فالكل مفتقر والله غني عن كل شيء وبالتالي فالله ليس بجوهر ولا عرض بل ليس كمثله شيء وفوق إدراك العقول ولا يحاط به علما.

إذن أحكام العقل (ثلاثة فقط) (الوجوب – الاستحالة – الممكن).

قول المصنف: (**هي الوجوب**): الذي لا يقبل العقل انتفائه، كمثال حركة الحجر آنفًا، فالعقل يحيل أنه تحرك وحده فهذا (واجب عقلي) وأن كل حركة من ورائها محرك، وكل فعل وراءه فاعل، ويوجب اعتقاد وجود الفاعل وإن لم يره، فالوجوب وجود لا يقبل العدم.

والاستحالة: عدم قبول الثبوت وهي عكس الأول.

والمستحيل عدم لا يقبل الوجود، مثل اجتماع النقيضين الوجود والعدم في وقت واحد ومكان واحد كتصور وجود شريك للباري سبحانه وتعالى

والجواز: قبول وجود الوجهين الوجود والعدم.

و(**الوجوب والاستحالة والجواز**) كيفيات تدركها النفس وليست متعلقة بالحكم نفسه.

قول المصنف: (**منحت لذة الأفهام**) المصنف يدعوا لك أن تُعطى لذة العلوم والمعارف. فهناك من فرق بين العلم والمعرفة، فالعلم ما افتقر إلى الدليل، والمعرفة استغنت عن الدليل. لذلك هناك فرق بين (العالم بالله والعارف بالله) فالعلم آلته العقل والمعرفة محلها القلب.

العارف بالله: هو الذي استدل على الأشياء بالله، والعالم بالله: هو الذي استدل على الله بالأشياء. فالعالم يحتاج للدليل والعارف دليله واحد وهو الله لذلك قال (عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي).

والعالم عرف الله بالأثر (البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على

المسير، فبحار ذات أمواج وسماء ذات أبراج أفلا يدل ذلك على وجود العليم الخبير).

فالعارف: دليله الله على العوالم، لذلك يقول العارف بالله ابن عطاء السكندري[1] في مناجاته موضحا هذا المعنى (إلهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر إليك) فالدليل مفتقر إلى الله، ومن عرف الله لا يحتاج إلى دليل. وقصة العجوز مع الرازي لما دخل إلى العراق خير دليل على ذلك فهي عارفة بالله لا تحتاج إلى دليل حيث قالت عندما قيل لها أن الإمام الرازي ألف كتابا فيه ألف دليل على وجود الله فقالت متعجبة: وهل في قلبه إلف شك على وجوده سبحانه.

قول المصنف: (وواجب شرعـًا على المكلف...)

واجب عليك من حيث الشرع أن تعرف ربك طالما خلقك عاقلا مميزاً وأرسل إليك الرسل وأوجب عليك معرفة الاله.

(١) الإمام تاج الدين احمد ابن عطاء الله السكندري المتوفي سنة (٧٠٩هـ) كان المتكلم على لسان الصوفية في زمانه قال الذهبي: كان ابن عطاء يتكلم بالجامع الأزهر فوق كرسي بكلام يروح النفس ومزج كلام القوم بآثار السلف وفنون العلم فكثر أتباعه صاحب أبو العباس المرسي رضي الله عنه وكان وارث حاله. قال عنه الشيخ أبو العباس المرسي: والله لا يموت هذا الشاب حتى يكون داعيـًا الى الله. له مؤلفات كثيرة أشهرها كتاب (الحكم العطائية) ولأهميته شرح هذا الكتاب وتم تحقيق الشرح المبارك عشرات بل مئات المرات وللشيخ يسري جبر الحسني أكثر من شرح على الحكم وموجود في على اليوتيوب ونحن نعمل الان على جمع وتفريغ وترتيب المحاضرات كي تكون في كتاب أن شاء الله. يتكون كتاب الحكم من (٢٦٤ حكمة) تبدأ بالحكمة الأولى (من علامات الاعتماد عل العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل) وينتهي بالحكمة أربع وستون بعد المائتين (الفكرة فكرتان: فكرة تصديق وإيمان وفكرة شهود وعيان فالأولى لا رياب الاعتبار والثانية لا رياب الشهود والاستبصار).

وفيه رد على المعتزلة الذين قالوا إنه وجوب عقلي، فمن الممكن أن تعرف الله بالعقل لكنك لا تعرف كيف تتقرب إليه، ولا تعرف ما يُحب وما يكره ولا عقابه وثوابه وما هي صفاته وأسمائه، فلا تعرفها إلا عن طريق الشرع وهو الوحي.

لأن الفلاسفة قالوا أيضـًا بوجود الله، واستدلوا عليه بالعقل؛ لكنهم لا يعرفون أسمائه وصفاته ولماذا خلقنا وماذا بعد الموت. وهذه الأسئلة وغيرها لا نعرفها إلا عن طريق الوحي لذلك قال (واجب شرعـًا).

وقول المصنف: (على المكلف) أي الثقلين الإنس والجن.

والمكلف: البالغ العاقل الذي بلغته الدعوة، والبالغ العاقل الذي لم تصله الدعوة كمن عاش في غابة أو جبل فحكمه حكم أهل الفترة، أي لا يعذب ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥].

قول المصنف: **(معرفة الله العلي فاعرف)** أي: علو منزلة ومكانة وليس مكان. فالاعتقاد يكفي فيه الدليل الإجمالي.

مثال على ذلك: أن تسأل العاقل هل أنت مسلم؟ فيجيبك نعم، أنا أشهد أن لا آله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن الله خلقني وخلق الأكوان، وهذا يكفيه فهو دليل اجمالي. وإن قلت له ما دليلك على أنَّ محمداً رسول الله؟ قال لأنه صادق أمين جاء بالمعجزات والقرآن، فهذا يكفيه. أما العالم فيعلم الأدلة والتفاصيل وكلاهما إيمانهما صحيح.

فالواجب شرعـًا معرفة الواجب والمستحيل والجائز في حقه تعالى، لا معرفة الذات العلية لعدم إمكان ذلك. لقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾

[آل عمران:٢٨]، أي ذاته، فلا تفكر في ذات الله؛ لأنك لا تدركها (وكل ما خطر في بالك فالله على خلاف ذلك) فالعجز عن الإدراك غاية الإدراك، فعليك التصديق بالأسماء والصفات، فمعرفته بالتصديق دون التصور.

قول المصنف:

وِمِثْلُ ذا فِي حَقِّ رُسْلِ اللهِ ... عَلَيهِمُ تَحِيَّةُ الإلهِ
فالواجبُ العقليُّ ما لم يَقبَلِ ... الانتفا في ذاتِه فابتَهِلِ
والمُسْتَحِيلُ كلُّ ما لم يَقْبَلِ ... في ذاتِه الثُّبوتَ ضِدَّ الأوَّلِ
وكُلُّ أَمْرٍ قابِلٍ للانْتِفا ... ولِلثُّبوتِ جائِزٌ بلا خَفا
ثُمَّ اعْلَمَنْ بأنَّ هذا العالَما ... أيْ ما سِوى اللهِ العَلِيِّ العالِما
مِن غيرِ شَكٍّ حادِثٌ مُفْتَقِرُ ... لأنَّهُ قامَ بِهِ التَّغَيُّرُ
حُدوثُهُ وجُودُه بعدَ العَدَمْ ... وضِدُّهُ هو المُسَمَّى بالقِدَمْ
فاعْلَمْ بأنَّ الوَصفَ بالوُجودِ ... مِنْ واجباتِ الواحِدِ المَعْبودِ
إذْ ظاهِرٌ بأنَّ كُلَّ أَثَرِ ... يَهْدي إلى مُؤثِرٍ فاعتَبِرِ
وذِي تُسمَّى صِفةً نَفسيَّهْ ... ثمَّ تَلِيها خَمْسَةٌ سَلْبِيَّهْ
وهي القِدَمْ بالذاتِ فاعْلَمْ والبَقَا ... قِيامُهُ بنَفْسِهِ نِلْتَ التُّقَى
مُخالِفٌ للغَيرِ وَحْدانيَّهْ ... في الذَّاتِ أو صِفاتِهِ العَلِيَّهْ

يبدأ علم التوحيد بالإلهيات ثم النبوات ثم السمعيات، فيبدأ بتعريف الواجب والمستحيل والجائز المتعلق بالله ﷻ، ثم الواجب والمستحيل والجائز المتعلق بالرسل.

ثم علم السمعيات: وهي التي جاء الشرع بها، وليس لنا سبيل لمعرفتها إلا عن طريق الواسطة وهم الأنبياء، وإنكار الواسطة يؤدي إلى إنكار الوحي، فالملك واسطة إيصال الوحي إلى النبي، والنبي واسطة لوصول الوحي إلى الخلق. لذلك قال سيدي ابن مشيش (لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط). فلا يكون ابنًا إلا أن يكون له أبًا، ولا يكون أبًا إلا أن يكون له ابنًا، فالأبوة واسطة البنوة، والبنوة واسطة الأبوة، وهكذا، فلولا الوحي ما كانت نبوة ولولا النبوة ما كانت هداية ولا إرشاد.

قول المصنف: **(الواجب العقلي ما لم يقبل الانتفا)** أي لا يقبل إلا الوجود **(فابتهل)** أي أدعو الله أن يوفقك للعلم، فالحقيقة لا تدرك إلا بالعلم المصحوب بالتوفيق، فلو صحب العلم بالخذلان كان سببًا للضلال، فيجب أن تظهر الافتقار إلى الله حتى يوفقك لرؤية الحق، وكثيراً ما كان النبي ﷺ يقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨]، ويقول «يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك»[١]. كل هذا حتى تتعلم أنك لا تصل إلى الله إلا بالله في الحقيقة.

أما في عالم الحكمة فتصل إلى الله بالأسباب أي بالعقل، فربط الله الوصول إليه في عالم الأسباب بالعقل، وجعل الشرع في مقدور العقل أن يدركه ويفهمه ليطبقه.

---

(١) الترمذي (٢١٤٠)

والواجب العقلي قسمان:

ضروري: الذي لا يتوقف على نظر واستدلال، مثال ذلك: قولك (جسم) يفهم العاقل أنه شيء مكون من أجزاء متحيز في مكان ويشغل فراغـًا، كقولك (كتاب) يفهم العاقل أنَّ الكتاب موجود في مكان ويشغل حيزاً في المكتبة أو البيت وهكذا.

ونظري: يحتاج للفكر، **مثال ذلك**: كل شيء في الأكوان له أول وله آخر؛ لأنك ترى أشياء تولد وتموت، والشمس تشرق وتغرب. والعقل يعرف إنك لم توجِد نفسك، وأن هناك من أوجدك، فيصير لك اعتقاد نظري بأن كل من كان له أول وآخر لابد أن يكون من أوجد لا أول له ولا آخر.

فالنظر إلى حدوث العوالم، واستمرار التغير فيها يؤدي إلى معرفتك أنَّ الذي أوجدها لا بد أن يكون غير متغير، والذي بدأها لا بد أن يكون لا بداية له؛ لأن العقل يحيل التسلسل اللانهائي.

والإله لا بد أن يكون مستغنيـًا عن الكل، والكل لا يستغني عنه، فهو الأول الذي لا بداية له. وهذا يحتاج إلى نظر وبحث.

وهناك أمور نظرية يميزها العقل (النقيضان لا يجتمعان) بل لا بد لأحدهما أن يكون موجوداً، **مثال ذلك**: لا يجوز أن أكون موجوداً وغير موجود في وقت ومكان واحد، فالوجود وعدمه نقيضان والعقل لا يقبل اجتماعهما في وقت واحد، ومن يقل بهذا فهو مجنون.

مثال آخر: لا يمكن أن تجتمع الحركة والسكون في جسم واحد في آن واحد؛ لأن الحركة ضدها السكون، وهذه اسمها (محالات عقلية).

مثال آخر: إدخال الكبير في الصغير دون أن يكبر الصغير أو يصغر الكبير، ومثال المحال العقلي في القرآن ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠]، أي يستحيل على الذي كذب بآياتي في هذه الدنيا أن يدخل الجنة كاستحالة دخول الجمل في خرم إبرة الخياط. وممكن أن يتخيل العقل أن يدخل الجمل في سم الخياط إذا كبّرنا خرم الإبرة حتى صار أكبر من الجمل، فالعاقل يميز أنَّ أحدهما يصغر والآخر يكبر حتى يصير ممكن أما على حالهما فمستحيل دخول الكبير في الصغير.

و(تحصيل الحاصل) من المحال العقلي: كقولك لمن هو جالس أمامك اجلس، فيقول لك كيف أُحصل الجلوس وأنا جالس، فإذا كررت عليه الطلب اتهمك بالجنون؛ لأنك تطلب منه تحصيل حاصل. وعكس المحال العقلي الوجوب العقلي.

فالعقل يقول باستحالة وجود حركة من غير محرك، وفعل من غير فاعل، أو سكون بغير مسكن. فطالما أنَّ الأكوان مملوءة حركة وسكونـًا، إذن هناك محرك وهو الله ﷻ. كل ذلك وصلت اليه بالعقل.

والمستحيل أيضاً قسمان:

مستحيل ضروري: (كارتفاع النقيضين) كخلو الجسم عن الحركة والسكون معـًا؛ لأن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان؛ لأن أحدهما وجودي والآخر عدمي، بخلاف الضدان فوجوديان كالأبيض والأسود فلا يجتمعان وقد يرتفعان.

مستحيل نظري: لا يتصور وجود آله مع الاله، لأنه إذا وجد سيحصل تنازع بينهما، فدل على أنه لا يوجد معه شريك ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢]، ولمّا لم تفسد منذ ملايين السنين، إذن فقد دل على وجود آله واحد لا شريك له ولا مدبر سواه.

قول المصنف: (**وكل أمر قابل للإنتفا...**) فهو ممكن وهو الذي يقبل الوجهين الوجود والعدم فهذا جائز، فهو يقبل الوجوب والاستحالة.

والجائز قسمان:

الجائز الضروري: كالحركة أو السكون للجسم، فجائز أن يكون الجسم ساكنًا وجائز أن يكون متحركًا، ولكن المستحيل أن يكون ساكنًا ومتحركًا في وقت واحد.

الجائز النظري: إثابة العاصي وتعذيب المطيع، فجائز أن يعفو الله عن العاصي ويُبدل سيئاته حسنات؛ لأنه الفاعل المختار.

أما الشرع فقد حدد أن الله يثيب الطائع ويعاقب العاصي، فثبت هذا الأمر لكنه جائز عقلاً. إذن الشرع يقيد العقل. والعقل يتصور جواز أن يتوب الله على الكافر، لكن الشرع قيد الأمر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]. ولهذا لا بد أن يكون الإنسان محتاجاً للوحي ليكون مقيدا بالوحي.

مثال آخر: الشبع عند الأكل، فجائز على الإنسان أن يأكل ويشبع، وجائز ألا يشبع. فالشبع يُخلق مع تناول الطعام، فقد يتناول الطعام ولا يخلق

معه الشبع، وجائز أن تحرق النار من لامسها، وجائز الّا تحرق ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء:٦٩].

والمتأمل لوحدانية الله ﷻ في الإيجاد الإمداد، علم أنَّ الأفعال لله وحده ولا تأثير لما سواه قال تعالى ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات:٩٦]، ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ [ق:١٥]، يعني: كل لحظة في خلق جديد؛ فكيف تُنكر البعث وأنت في كل لحظة في خلق جديد.

مثال ذلك: جِلد الإنسان ليس هو نفسه الاسبوع السابق ولا هو نفسه بعد أسبوع؛ ففي كل أسبوع تسقط طبقات وتتكون طبقات جديدة دون أن تشعر بها. والدم: كريات الدم الحمراء أقصى غاية لحياتها ١٢٠ يوم وتتكون غيرها. والصفائح الدموية: تعيش ٦ ساعات وبعد ٦ ساعات تولد غيرها. والشَعَر: تحلقه ويطول وهكذا. إذن حياة وموت في جسمك في كل لحظة، كل الخلايا تتجدد في كل لحظة. لذلك عاتب الله الكفار كيف لم تبصروا وتدركوا ذلك ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ [ق:١٥]،.

وإذا لم يستطع الإنسان أن ينظر إلى نفسه فلينظر إلى الأرض، تمر عليها تراها ميتة، فيُنزل الله عليها المطر وبعد أيام تجدها مخضرة، ثم تؤكل أو تسحق فتزول ثم ينزل المطر فتعاد مرة أخرى. إذن في كل لحظة خلق جديد.

الأعمال: يخلق الأعمال عند ارادتك فعلها، فهو خالق الأعمال فيك لذلك قال: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد:٣٣]، فهو الذي حركك وفق إرادتك، ثم سيسألك عن مرادك، إذا أذنبت لماذا أردت هذا فجعلت خلقي (الأعمال) وفق ارادتك فأنا أسألك عن اختيارك، فلا يسألك عن ظهور العمل على جوارحك بل على اختيارك هذا العمل.

إذن: الأشياء ليس فيها قوة ذاتية تحركها فاستغنت عن الله، بل لا زالت مفتقرة لمن يحركها ولمن يمدها على مرادها، وهذا ما يسمى (الإمداد) بعد (الإيجاد) فأمدك بعد أن أوجدك لتستمر والا لو تركك لعدت للعدم مرة أخرى.

إذن: في كل لحظة تجلٍ جديد، ولكن بسبب تقارب آنيات الإمداد تظن بالغرور أنك موجود ومستمر، كمثل صورة على شاشة الحاسوب، فلولا استمدادها من الطاقة الكهربائية المتواصلة مع الحاسوب لما كملت الصورة، ولو انقطعت الكهرباء عنها لحظة لذهبت الصورة.

وكذلك إمداد الله مستمر متلاحق فتظن أنها ثابتة، لكن في الحقيقة هو وجود آنيات العدم بين آنيات الإمداد، فأنت معدوم موجود في كل لحظة، لذلك قال ﷻ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧]، فالحقيقة أنَّ كل ما سوى الله فانٍ إلا وجه الإمداد فهو الذي جعله موجوداً.

أي كل من عليها فان ويبقى (وجه الإمداد) فيبقى وجه إمداده وقيوميته للأشياء، ولولا توالي إمداده لكان فانياً في الماضي والحال والاستقبال، فأنت فانٍ موجود في آن واحد لكمال افتقارك لمولاك.

قول المصنف: (ثم اعلمن بأن هذا العالما...)

ثم: أي بعد أن عرفت أيها العاقل حكم الواجب والمستحيل والجائز فاعرف أنَّ العالم هو كل ما سوى واجب الوجود. إذن كل ما سوى الله (عالَمْ) وسمي عالم لأنه علامة على خالقه، لذلك قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

فالعالم: جعله الله علامة لأهل العقول ليستدلوا بالموجود على الغائب، وهذه مزية العقل، حتى تترقى وتستغني عن الدليل بالمدلول، فيصير المدلول هو عين الدليل لذلك قال العارفون (عرفتُ ربّي بربّي ولولا ربّي ما عرفت ربّي) وقالوا (متى غبت حتى نحتاج لدليل يدل عليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك فيكون هو الدال عليك) (عميت عين لا تراك عليها رقيبًا، وخسرت صفقة عبد لم يكن له من حبك نصيبًا) هذا كلام أهل العرفان.

مثال ذلك: إذا رأيت سيارة والدك واقفةً أمام البيت ستعرف أنَّ أباك موجود في البيت من غير أن تراه، فهي علامة على وجوده في المنزل، فالدليل الموجود دلك على الغائب، هذا المثال (للعالِم) الذي استدل بالدليل على الغائب.

أما إذا: نظرت ولم تجد السيارة استنتجت أنَّ اباك غير موجود، فلما طرقت الباب فتح أبوك الباب، فعرفت أنه موجود، فلا تقول له كيف تكون موجوداً والسيارة ليست في الخارج. بعد ما رأيته عرفته بأنه موجود، فاستغنيت عن الدليل وهذا المثال (للعارف) الذي استغنى عن الدليل لأنه وجد المدلول.

فالعارف أمكن من العالم؛ لأن هناك احتمال أنَّ الدليل لا يدلك على المدلول، فالعالم إذا لم يجد السيارة يمكن أن يقول أنَّ الاب غير موجود، والعكس قد يرى السيارة فيستدل على وجود الأب، وقد يكون الأب في هذه اللحظة خارج البيت وترك السيارة فلم يدله الدليل على المدلول.

أما المعرفة فأنها يقين فهي لا تخيب، ولا سبيل إلى المعرفة إلا بالعلم وطلب التوفيق حتى يرقيك الله إلى مقام المعرفة لذلك قال عز وجل: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩]، طلب العلم منك أولاً، فإذا أطعته خرجت

من الدليل إلى المدلول، فصار الله دليل كل شيء فارتقيت الى قوله فينما تولوا فثم وجه الله.

قول المصنف: (من غير شك حادث مفتقر... **لأنه قام به التغير**)

من غير شك: معنى الشك عند علماء التوحيد غير ما عند الفقهاء. فالشك عند علماء التوحيد هو كل ما يكون أقل من ١٠٠٪. واليقين عند الفقهاء ما كان ١٠٠٪ والظن هو أكثر من ٥٠٪ وهو إدراك الطرف الراجح، والشك ما كان متساوي الطرفين ٥٠٪، وأقل من ذلك يسمى وهم، وهو إدراك الطرف المرجوح حتى يصل الى عدم العلم وهو الجهل. ونحن هنا نتكلم عن الشك ونقصده عند علماء التوحيد. أي الأيمان لا يصلح إلا باليقين والجزم

حادث مفتقر: أي موجود بعد عدم كالإنسان، ومفتقر لمن أوجده، ودليل الحدوث قوله (قام به التغير) لأن التغير الذي يطرأ على الأكوان دليل على قرب فنائها وعلى أنَّ هناك من يغيرها وأنها مقهورة، فأنت كنت نطفة ثم طفلاً ثم صبياً ثم شاباً ثم شيخا، فأنت متغير، والتغير: هو حجة سيدنا إبراهيم عليه السلام على قومه حين أفل القمر والشمس والنجوم، إذن هي متغيرة وكل متغير مقهور فلا يصلح أن يكون إلها.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام:٨٣]، ويجب أن تنتبه: لمَ قال حكيم عليم ولم يقل غيرها؟؟؟، لأنه خبئ قدرته بالأسباب في عالم الحكمة، وعليم بمن يُدرك القدرة الفاعلة بالأسباب ممن حُجب بالأسباب فعبد الأسباب، فهذه علاقة آخر الآية بموضوع الآية.

أي أنَّ الله خبأ قدرته في تغير الأكوان ليبين أنه الفاعل المختار، وليعلم من يؤمن بالغيب ممن لا يؤمن بالغيب. لذلك علماء التصوف يسمون هذا العالم (عالم الأسباب أو عالم الحكمة) حيث اختبأت القدرة في الأسباب. حتى يحجب الكافر بالأسباب ويظن أنها فاعلة، أما المؤمن فيأخذ بالأسباب تعبداً ولا يعتمد إلا على الله لأنه هو الفاعل فيها وبها وبدونها، وهذا الذي يميز المؤمن عن الكافر.

أما الكافر فيتصور أنَّ العلاج يخلق الشفاء، والمؤمن يعتقد أنَّ الله يخلق الشفاء مع تناول العلاج.

لذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]، فالتفكر والتدبر يؤدي إلى الذكر وهو يؤدي إلى الوصول إلى الحقيقة.

قال المصنف: (حدوثه وجوده بعد العدم... وضده هو المسمى بالقدم)

فالدليل أن العالم مفتقر هو حدوثه ووجوده بعد العدم، إذن هو مفتقر لمن أوجده.

وضده: ضد الحادث هو القديم، الأول بلا ابتداء، الآخر بلا انتهاء، الباقي السرمدي، فالقديم هو الذي أوجد الحادث.

قول المصنف: (فاعلم بأن الوصف بالوجود.. من واجبات الواحد المعبود)

يعني أنَّ الله موجود، وهي صفة (ذاتية) أي: خاصة بالذات، كقولك (أنا موجود) والوجود صفة عرضية؛ لذلك الصحيح أن تقول (الله موجود) وليس (الله وجود) لأن الوجود عرض يحتاج إلى موجد؛ لذلك عندما قال بعض الصوفية (وحدة الوجود) اعترض كثير ممن لم يعرف قصد الصوفية، وهم يقصدون (وحدة الموجود) لأن كثيراً من علماء المسلمين يستعلمون لفظ (الوجود) وهو يقصد (الموجود). لأنه لا يوجد مع الله شيء، فالموجود واحد وكل ما سوى ذلك موجود به، لذلك قال: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد:٣٣]، لذلك من اعترض على الصوفية لم يعرف مصطلح القوم، فُعلم أنَّ من يريد الدخول في أي علم وجب عليه معرفة مصطلحات العلم، حتى يفهم ويعرف ما به، فالكلمات ما هي إلا رموز لمعانٍ يراد بها. وهنا قد يشار لمصطلح وهو ليس بكفر كما اتهموا ابن عربي[1] رحمه الله بالكفر، واتهموه بأنه يقول بوحدة الوجود، وأن الله يحل بالعوالم وكفروه.

وهو لا يقصد هذا؛ لأن الله يقول: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد:٣٣]، يعني هو القيوم الذي قامت به الحوادث وقام هو بنفسه،

(١) محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن احمد بن عبد الله الحاتمي الطائي الأندلسي، ويلقب «محيي الدين» و « سلطان العارفين». ولد رضي الله عنه في ليلة الإثنين السابع عشر من رمضان سنة ستين وخمسمائة هـ في مرسيه في شرق الأندلس.

كانت نشأة الشيخ ابن عربي نشأة صالحة فقد دأب الشيخ منذ الصغر على تعلم العلم، وطاعة الله تعالى منذ نعومة أظفاره، فما كاد يبلغ الحلم حتى ذاع صيته، وانتشر خبره، وما ذاك إلا لنبوغه وبكارة تحققه بالعلوم وتمكنه منها، علومه رضي الله عنه فيوضات إلهية وفتوحات ربانية حباه بها مولاه جزاء تفرغه الكامل وخلوه الشامل مما سواه، وهذا أساس فتوح أهل الله الصادقين في إرادة وجهه الكريم التاركين لما عداه، توفي رضي الله عنه بدمشق ودفن بسفح قاسيون بالصالحية منها في ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٦٣٨ هـ وشيد على ضريحه مقام ومسجد كبير.

فافتقرت اليه العوالم ولم يفتقر هو لشيء، هذا هو المعنى الذي يقصده محي الدين بن عربي رحمه الله، لأنه لا يوجد شيء معه ليحل فيه، بل كل شيء موجود به، فالمخلوق لا وجود له بذاته أصلاً، وما لا وجود له بذاته فهو عدم في وقت وجوده، وكما قلنا لولا توالي الإمداد من الله ما ظهر مخلوق ولو تأخر الإمداد لحظة أو أقل لم يكن شيء إلا الله لذلك قال :﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ٢٦﴾[الرحمن:٢٦].

ولم يقل (يفنى) لأنه لم يُثبت له وجود فقال (فان) أي كل من عليها معدوم، ولو قال (كل من عليها يفنى) أي أثبت وجوده وسوف يفنى.

إذن ما هو الباقي ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ٢٧﴾[الرحمن:٢٧]، الذي هو وجه الإمداد ووجه القيومية، فلولا وجه الإمداد لوجدته فانٍ في الحال كما هو فانٍ في الماضي وفانٍ في المآل. وجاء بكلمة (يبقى) بالمضارع لبيان توالي تجدد الإمداد.

(وجه ربك) أي وجه التجلي الذي تدل عليه آية ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾[الرعد:٣٣]. وليس كما فهم المجسمة أنَّ له (وجه جارحة) فإنهم لم يفهموا هذه المعاني الدقيقة لأن الله منزه عن الجوارح. والمعنى الصحيح أن يبقى وجه تجلي الإمداد لمن يفتقر للإمداد، لأنه قائم بذاته وغيره قائم به.

وقول المصنف: (من واجبات الواحد المعبود) أي من الواجبات العقلية التي نعتقدها بأن الله ﷻ موجود (إذ فاقد الشيء لا يعطيه)، فطالما أرى وجوداً إذن هذا الوجود ليس موجوداً بذاته. لأن أعقل ما في الوجود هو الإنسان لا يدعي أنه اوجد نفسه فما بالك بالحيوان والنبات والجماد. فطالما أنت موجود

وقد مُنحت الوجود فلا بد أن يكون مانح الوجود موجودا (لأن فاقد الشيء لا يعطيه)، فمن خلال وجودك تستنتج وجوده﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات:٢١].

مثال ذلك: أنت إذا أكلت اللقمة ودخلت إلى معدتك، فأنت لا تدبر أمرها في المعدة (فهضم وعصارات هاضمة، ثم تقسم إلى عناصرها الاولية فيمتصها الدم وتذهب إلى العضلات لتنمو العضلات، وتذهب إلى الكبد فينمو ويتغذى، وتذهب إلى العظام فتنمو العظام وهكذا إلى جميع أعضاء الجسم). من الذي فعل كل هذا؟ وكذلك القلب فأنت لا تأمره ولا تدبره، فهناك من يفعل كل هذا وهو الذي يدبرك في باطنك وظاهرك.

قول المصنف: (اذ ظاهر بأن كل أثر... يهدي إلى مؤثر فاعتبر)

إذا سرت في الصحراء ورأيت خف جمل، فالعقل يقول إنَّ هنا جمل مشى في هذا الطريق ولو لم تر الجمل، فأدركت الغائب بالأثر. فلما رأيت فعل الله في الأكوان، وأن الأكوان ليست فاعلة بذاتها، أدركت أنَّ هناك فاعل مختار مدبر لها، قائم بها كما قال النبي ﷺ في دعائه (أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن).

مثال ذلك: إذا تركت بيتك غير مرتب وتركت ملابسك متسخة وذهبت إلى العمل، وبعد عودتك إلى البيت، وجدت البيت نظيفاً وملابسك مغسولة، ووجدت الطعام مُعداً على السفرة، فمن الجنون أن تقول إن هذا حصل بنفسه، ومن قال كذلك فهو (مجنون). لأنك لما وجدت الآثار التي دلت على أنَّ هناك فاعل مختار دخل البيت ورتب كل هذا، أدركت الفاعل دون أن تراه ودون أن يكون موجوداً ظاهرا أمام عينيك، فأدركت الغائب من خلال الحس.

فأنت لما جئت للأكوان وجدت هذا الكون البديع، ووجدت أشجاراً ذات ثمار كثيرة متنوعة وأرضـًا وأنهاراً وطيوراً وكواكبا، وكل ذلك دليل على وجود الفاعل المختار الذي خلق ونّوع ورتب الأكوان، لذلك قال تعالى: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرعد:٤].

فقال سبحانه (لقوم يعقلون) لأن العقل يحيل بعد كل ذلك عدم وجود الفاعل المختار.

قول المصنف: (فاعتبر): (فاعتبروا يا أولي الأبصار)، والاعتبار: استنباط الحكمة من المقدمات، وهو يدلك على الهداية، لأنه نهاية ثمرة الفكر والتدبر.

قول المصنف: (وذي تسمى صفة نفسية...... ثم تليها خمسة سلبية)

وذي هي صفة (الوجود) وهي تسمى صفة نفسية أي ذاتية، ثم الصفات الآتية هي صفات سلب: فلو سلبتها أثبتَّ نقصًا، ولو أثبتها سلبت نقصـًا.

قول المصنف: (وهي القدم بالذات فاعلم والبقا....... قيامه بنفسه نلت التقى)

القدم: الله قديم لأن كل ما سواه حادث، والحادث متغير والذي يقابل الحدوث القدم، ولو لم يثبت له القدم أثبت له الحدوث، والحدوث نقص؛ لأنه يدل على أنَّ هناك من أحدثه.

والقدم: هو الأولية بلا بداية. و(البقا): الباقي الآخر بلا نهاية.

إذن هو أول بلا بداية آخر بلا نهاية (دائم باقي) ولو لم تصفه بالدوام لكانت له نهاية، ومن كانت له نهاية يكون مقهوراً ومحدوداً والله خارج الحد.

والباقي: هو الدائم السرمدي الأبدي، فالقدم ينفي الحدوث والبقاء ينفي الفناء.

فالله ﷻ خارج عن دائرة الزمان فلا بداية لوجوده ولا نهاية؛ لذلك قلنا في الصلاة اليسرية (الذي قهر الزمان بالأولية وقهر الفناء بالآخرية) وهو سبحانه خارج عن دائرة المكان فهو موجود ولا مكان ولا زمان بخلاف المخلوق فهو محصور في المكان والزمان، وطالما يمر عليه الزمان ويتغير عليه المكان فإنه يتغير ويتبدل حاله ومظهره والله على خلاف ذلك دائم باقي لا يتغير ولا يتصور غيابه.

مثال ذلك: لا يوجد في الجنة حركة للأفلاك، فلا يوجد فيها ليل ولا نهار، فهناك دوام بلا تغير، فتدخل الجنة وعمرك ثلاث وثلاثين سنة وتبقى على الدوام ثلاثا وثلاثين سنة لأنك خارج الزمان.

مثال ذلك: سيدنا عيسى عليه السلام رُفع إلى السماء بجسده الأرضي من قبل أكثر من ألفي سنة وعندما ينزل سينزل وعمره ثلاث وثلاثون سنة؛ لأنه في السماء الثانية حيث لا أبراج ولا حركة الفلك ولا زمن، وفي هذه المدة لم يشعر بجوع ولا عطش ولم يحتج إلى ما نحتاج اليه؛ لأنه خارج دائرة الزمن، وعندما ينزل يكون في نفس عمره الذي رفع فيه، ثم سيعيش معنا اربعين سنة وفي هذه الفترة صار في دائرة الزمن وسيتغير وسيتزوج ويكبر ويموت.

مثال آخر: أهل الكهف لما ناموا أخرجهم الله عن دائرة الزمن وهم داخل الزمن من باب إظهار القدرة، ودليلنا أنهم لو طرأ عليهم الزمن وناموا ثلاثمائة وتسع سنين لوجدوا أنفسهم قد شابوا وطالت شعورهم وأظفارهم، ولكنهم لم يطرأ عليهم التغير بدليل قولهم ﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾[الكهف:١٩]، فلما قاموا رأوا أنفسهم على حالتهم فلم يشعروا بالزمن. ولما استيقظوا ورجعوا للزمن طرئت عليهم الأحوال البشرية فجاعوا وطلبوا من أحدهم أن يأتي لهم بطعام. فهذا معنى (دائم) أي خارج عن دائرة الزمن، فلا يتغير.

قول المصنف: (قيامه بنفسه نلت التقى)

أي (قيوم): قائم بنفسه ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾[البقرة:٢٥٥]، فلا يفتقر لطعام ولا شراب ولا أعضاء ولا جوارح تحركه؛ لأن الفقر صفة نقص والله غني مغني. ولو لم تصفه بصفة (القيوم) لأثبتَّ صفة سلبية وهي الافتقار للغير لذلك (القيومية) تسلب الافتقار للغير. وقد يكون الغير جارحة فلا نستطيع أن نصف الله بأن له جوارح كالجسم مثلا ولا يفتقر للحيز والمكان؛ لأنه خالق كل شيء فلا يحده زمان ولا مكان ولي كمثله شيء.

الكلام: فالإنسان يحتاج لكي يتكلم إلى (لسان، وشفتان، وسقف الحلق، وحنجرة، ونفس، وحيز زمني، ويحتاج إلى عقل حتى يرتب الحروف التي ستخرج بصورة هواء) فانظر إلى احتياجك لكل هذه الأشياء كي تتكلم فقط. لكنَّ الله متكلم بلا آلة، لأن صفته قائمة بذاته فلا يحتاج لآلة أو جارحة.

البصر: فأنت تحتاج إلى عينين والى جسم مقابل والى نور متوسط بين العين والجسم حتى تنتقل الصورة إلى الشبكية فتنتقل إلى المخ فيرتبها

فيترجمها لك فتراها على ما هي عليه، فانظر إلى هذه الوسائط حتى نقول عنك بصيرا، ولكن الله بصير بلا آلة، لأنه قيوم بذاته لا يفتقر إلى أعضاء ولا أجزاء.

والسمع: جعل لك أذنا، وصوانا، وأعصابا، وأذنا داخلية ووسطى وخارجية، وحبلا سمعيًا يصل إلى المخ فيحول موجات الصوت إلى إشارات كيمياوية فيحولها المخ ويترجمها من صوت إلى لغة فيفهم منها معنى الصوت، لكن الله لا يحتاج لهذا لأنه يسمع بذاته بغير آلة فيسمع المبصر ويبصر المسموع؛ لأن صفاته سبحانه قائمة بذاته لا بالآت ووسائط. فالقدم والبقاء والقيومية هذه ثلاث صفات من السلبية وسيذكر الباقي من الخمسة في البيت اللاحق.

ملاحظة مهمة جداً: عندما نقول الصفات خمسة ليس على باب الحصر، فصفات الله ﷻ ليس لها حصر ولا عد، فهو موصوف بكل صفات الكمال، بل كماله فوق تنزيه المنزه، ولكنه أتى في علم التوحيد بهذه الخمسة على سبيل المثال وهي القريبة من الذهن والعقل لنفي التشبيه والمثل والكيفية.

قول المصنف: (مخالف للغير وحدانية... في الذات أو صافته العلية)

(مخالف للغير) الصفة الرابعة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، فكل ما خطر ببالك فالله على خلاف ذلك. **(وحدانية)** هذه الصفة الخامسة فهو واحد لا شريك له في صفاته وفي ذاته لا يشاركه أحد في صفاته. فالقدم والبقاء والقيومية ومخالف للحوادث والوحدانية هذه هي الخمسة صفات السلبية.

ثم ينتقل المصنف إلى مسألة أخرى وهي مسألة الفعل في التأثير للأشياء للواحد، أي التأثير الذي يكون ناتجًا عن الأسباب إلا من خلق الله، وليس

من فعل الفاعل؛ لأنه ما من فاعل إلا وهو قائم بالله. فإذا فعلت فالفاعل هو الله، فعل من خلال جوارحك فكأن الربوبية وقدرة الربوبية تنقبت في صورة العبودية في عالم الحكمة حتى يدرك فعل الله من يؤمن بالغيب ويُفتن بفعل الغير من يؤمن بالغير والمحجوب عنه بالسوى.

ونقّبها يعني أخفاها فجعلها تفعل في السبب لا بالسبب، وجعلها تتكرر حتى صار الناس يرونه حكماً عادياً، فيُحجب أهل الإلحاد بالأسباب، ويُدرك أهل الإيمان بالغيب فعل الله في الأسباب من خلال الأسباب، يدركونها ببصائر إيمانهم لا ببصر أجسادهم. وذلك ليتم الاختبار وحتى يعلم الله علم حجة وبرهان من يؤمن بالغيب ومن لا يؤمن، ولو لم يُرد اختبارنا لخلقنا في عالم القدرة كما في الجنة. فأراد الله أن يختبر الخلق فأعطاهم العقل وأعطاهم الاختيار وأعطاهم الخيرية وأرسل عليهم الرسل فأقام الحجة على العباد.

والفِعْلُ في التأثيرِ لَيسَ إلا ... للواحِدِ القَهَّارِ جَلَّ وعَلا
ومَنْ يقُلْ بالطَّبعِ أو بالعِلَّهْ ... فَذاكَ كُفْرٌ عِنْدَ أَهْلِ المِلَّهْ
ومَنْ يَقُلْ بالقُوَةِ المُودَعَةِ ... فَذاكَ بِدْعِيٌّ فلا تَلْتَفِتِ
لَوْ لم يَكُنْ مُتَّصِفاً بها لَزِمْ ... حُدوثُهُ وَهْوَ مُحالٌ فاسْتَقِمْ
لأنَّهُ يُفْضِي الى التَسَلْسُلِ ... والدَّوْرِ وهْوَ المُستَحيلُ المُنْجَلِي
فَهْوُ الجليلُ والقَديرُ والوَلِي ... والظَّاهِرُ القدُّوسُ والرَّبُّ العَلِي
مُنَزَّهٌ عنِ الحُلولِ والجِهَهْ ... والاتِّصالِ والانْفِصالِ والسَّفَهْ

لذلك قال المصنف: (والفعل في التأثير ليسَ إلا... للواحد القهار جل وعلا)

لأنه لو أثبت أنَّ هناك فاعل معه لأثبت أنَّ هناك خالق معه، وهو صفته

الوحدانية فهو واحد، فكيف تقول واحدا وتثبت الفعل لغيره. لذلك قال سيدنا محمد ﷺ (لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة)[1]، لأنك تدرك بها المعنى، فلا حركة ولا سكون ولا تحول إلا بالله، فهو المحول وهو المقوي وهو الفاعل ولا فاعل معه، فصارت كنزاً من كنوز الجنة، جنة المعارف قبل جنة الزخارف، فهي في الدنيا كنز من كنوز جنة المعارف؛ لأنك تدرك بها وجود ربك فتكون سبباً لدخول جنة الزخارف. لذلك قال: ﷻ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الصافات:٩٦]، وقال: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾، ففي كل لحظة هناك خلق جديد بتجلٍ جديد.

قال المصنف: (ومن يقل بالطبع أو بالعلة... فذاك كفرٌ عند أهل الملة)

الطبع يعني الطبيعة، وهذا الفكر الكافر نشأ في أوربا، وهو ينسب الأشياء والخلق إلى الطبيعة. وكلامهم يخالف العقل؛ لأن الطبيعة لا عقل لها، ولا تدبير لها وأدواتها محدودة وانواعها لا حصر لها، والطبيعة لا تعرف التنويع حتى وإن كان لها تدبير، فما بالك أنها لا تدبير لها ولا عقل لها والكون منوع بأنواع شتى. إذن الطبيعة مظهر من مظاهر فعل الله ومن ينسب الفعل للطبع والطبيعة فقد كفر؛ لأنه نسب الفعل لغير فاعله.

مثال محسوس: لدينا جهاز اسمه (المطبعة) تضع عليه صورة معينة وتسحب منها ألف صورة من غير تنويع، فالطبيعة هكذا لا تستطيع أن تنوع هذه الألوان والأشكال والأصناف والأحجام، بل بالنوع الواحد آلاف الأنواع (التمر مثلاً) قالوا يوجد في بغداد أربعمائة وخمسون صنفا من التمر

(١) البخاري (٤٢٠٥)، مسلم (٢٧٠٤)، أبو داود (١٥٢٦).

وفي المدينة أكثر من مائتين وخمسن صنفا فهل يعقل أنَّ الطبيعة تفعل هذا. قال تعالى ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد:٤].

مثال آخر: الإنسان حيوان ناطق متحرك بالإرادة، ولا يوجد أبداً إنسان يشبه إنسانـًا، حتى الولد يختلف عن أبيه، فالله ﷻ جعلنا أصنافًا وألوانـًا، وجميعنا من ماء واحد وأم واحدة وأب واحد. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٧-٢٨].

فانظر إلى عظمة القرآن ففيه شفاء لكل شك، فعندما تتدبر في هذه الآية ستعرف أنَّ الطبيعة ليست فاعلة لوجود التنويع والإبداع في الكون لذلك قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨].

لذلك قال المصنف (أو بالعلة): لأن بعض الفلاسفة قالوا بافتقار العلة لمعلولها، أي يعتمد وجود الشيء على وجود غيره، وغيره يعتمد على وجود الشيء الأول كأنها دائرة وبينها علاقة لا تنفك.

مثال ذلك: الأبوة والبنوة علاقة علة ومعلول، فلا تستطيع أن تكون أبـًا إلا أن يكون لك ابنـًا، ولا تستطيع أن تكون ابنـًا إلا أن يكون لك والداً، فلا يجوز أن يقول إنسان أنا أب وليس له أبناء، ولا يجوز أيضـًا أن يقول أنا ابن وليس له اب. إذن الأبوة والبنوة لا ينفكان.

قال الفلاسفة: عرفنا أنَّ الله خالق لكن (وهنا وقعوا بالمحظور) طالما أنّ هناك خالق من القدم فلا بد أن يكون هناك معه مخلوق من القدم؛ لأنه لا يتصور وجود خالق دون مخلوق، فلا نصف الخالقية إلا أن يكون هناك مخلوق، كما لا يوصف بالأبوة إلا من كان له ابن، فجعلوا أثر الصفات قديمة بقدم الذات وإلا انتفت الصفات؛ لذلك قالوا: إنَّ العالم (قديم بالنوع) لأنهم قالوا (بالعلة) ولما قالوا بالعلة أثبتوا قدم العوالم. فالفلاسفة بعدما آمنوا وقالوا إنَّ الله هو الخالق القديم كفروا بقولهم بقدم العوالم، لأنهم أثبتوا مع الله موجودا وجعلوا علاقة الخالق بالمخلوق علاقة قهرية، والله قاهر ولكنهم جعلوه مقهورا؛ لأنه اذ كان هناك خالق فلابد أن يكون هناك مخلوق وإذا أنتفى وجود المخلوق أنتفى الخالق، فجعلوه مقهوراً فكفروا؛ لأن الله هو القاهر. وذهب إلى هذا الرأي بعض علماء المعتزلة ونسب هذا القول الى ابن تيمية، والله تعالى رد عليهم بسورة القصص ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ﴾[القصص:٦٨].

فالعلاقة بين الله وخلقه علاقة اختيار لا علاقة إجبار وعلة ومعلول، بل هو يخلق وقت ما يريد، وعندما يكون خالقاً ولم يكن هناك مخلوق فهو (تعلق صلوحي قديم) وليس تنجيزي حادث، أي صالحاً للخلق ولكن لم ينجزه بعد. أي خالقاً في القدم ولم يكن له مخلوق، فهو صالح أن يوجد المخلوق عندما يريد أن يخلق، فلما خلق صارت العلاقة علاقة تنجيزية حادثة أي نجّز الخلق فأظهره. إذن هو صالح في القدم أن ينجز مراده في الخلق قبل خلق الخلق، فلما قَّدر ظهور الخلق صارت العلاقة تنجيزية حادثة، فأثر الصفات القديمة في الأكوان حادث ويسمى تجلي، فالتجليات حادثة متعددة لا نهاية لها والمتجلي قديم واحد لا يتعدد.

مثال ذلك: أنت الآن عمرك خمس وعشرون سنة ولم تتزوج فنقول لك تزوج كي تصبح أبـًا. فأنت الآن لست بأب لكن إذا تزوجت ورزقت بأبن أصبحت أبـًا. أما الآن قبل أن تتزوج فأنت (أب باعتبار الصلوح) أي صالح أن تكون أبـًا، إذن علاقتك بالأبوة صلوحية قديمة فيك قبل أن تتزوج وتظهر، فإذا أردت أن تكون أبـًا تبحث عن الزوجة فتنجب لك الولد فتصير علاقة تنجيزية حادثة ولله المثل الأعلى. فقدرات الله عز وجل كلها صلوحية قبل وجود العوالم، فلما تعلقت الإرادة بالمعلوم والمعدوم المراد إيجاده لإخراجه من العدم واتجهت الإرادة إلى القدرة فخصصتها فأظهرت المعدوم على وفق المراد، فكانت العلاقة بالمعدوم صلوحية قديمة للعلم به فإذا شاء الله ﷻالخلق توجهت الإرادة للقدرة فخصصتها لإخراج المعدوم المعلوم إلى الوجود فتصير تنجيزية حادثة.

لذلك: المسلمون لا يقولون بالعلة لأننا أثبتنا الصلوحية ونفينا وجود شيء معه حيث إنَّ الشيء الذي أراد أن يخلقهُ لا يكون علة لقدرته بل مظهراً لقدرته.

قول المصنف: (ومن يقل بالقوة المودعة... فذاك بدعي فلا تلتفت)

القوة المودعة: إنَّ الله خلق فينا قوة ثم تركنا نتصرف بها دون أن يخلق فينا شيء (وهذا اعتقاد بعض مؤمني الفلاسفة) فهم يقولون إن الله خلق الخلق وترك فيهم قوة مودعة بها يتحركون ويتفاعلون ثم غفل عنهم إلى أمر آخر لا نعرفه، فأنكروا تدبيره للأكوان وصارت عندهم مدبرة لنفسها بالقوة المودعة فيها.

لكنَّ المسلمين لم يقولوا بهذا؛ لأن النبي ﷺ يقول:«يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا لأحد من خلقك»[1] أي كأن الإنسان العارف بربه وهو سيدنا محمد ﷺ أكمل الخلق وأعرفهم بالله يقول: (أنا لا أستغني عنك وعن إمدادك لي طرفة عين، ولا أستغني عنك لأحد من خلقك؛ لأن الكل مفتقر اليك ويستمد منك ولا يستغني عنك).

إذن: لا يوجد شيء اسمه (قوة مودعة) لأنه لو كان هناك قوة مودعة لقال النبي ﷺ اللهم بارك لي فيما وضعته فيّ من هذه القوة حتى أستخدمها في طاعتك. ولكنه لم يقل ذلك ولم يقله رسول ولا نبي ولا ولي. فهذا القول باطل، ووقعوا في الغلط لأنهم لم يستدلوا بنور الوحي وأرادوا معرفة الله بالعقل فقط فوقعوا في المحظور. أما نحن فيجب أن نعرف الله بالعقل والوحي.

فالفلاسفة الذين اعتمدوا على العقل أقروا بوجود الله ولكنهم اعتبروا أثار صفاته علة لوجودها، فجعلوا مع الله عوالم. وذلك لأنهم لم يضبطوها مع ما جاء به الوحي.

لذلك دائماً ما نكرر ونقول (إنَّ النفس والتي محلها داخل القلب هي شهوات ورغبات وإرادات ويأتي العقل يختار من بين هذه الإرادات ما يبرزه في الخارج). إذن العقل هو قائد للنفس.

(١) النسائي في السنن الكبرى (١٠٣٣٠)

مثال ذلك: إذا جاءت النفس وأرادت أن تأكل يمنعها العقل إذا كان الأكل في مكان فيه خدش للحياء، ويختار العقل أن يكون الأكل حلالاً والشراب حلالاً. فالعقل يضبط ما في النفس من شهوات.

والعقل يضبطه: (الوحي) فالعقل يختار من رغبات النفس على مقتضى الوحي، إذن العقل مناط للتكليف، والوحي سقف العقل والعقل سقف النفس. والنفس كالبهيمة تُقاد بالعقال، لذلك سمي العقل عقلاً، لأنه يعقل النفس البهيمية ويقودها بعقال الوحي ويلجمها بلجام الشرع.

فالعقل الغير منضبط بالشرع قال إنَّ الله موجود وهو قول الفلاسفة وغيرهم، لكنه رأى أنَّ النار تحرق بذاتها، وأن السكين تذبح بذاتها، والماء يغرق بذاته، والدواء يشفي بذاته، كلٌّ بقوة مودعة فيه تفعل بغير تدخل الإله، فأثبت فاعلية الأكوان بعدد ما في الأكوان، أي أثبت ملايين الفاعليات وأن الكون يخلق أفعاله بالقوة المودعة دون تدبير من خالق.

أما عقيدة المسلمين فالفاعل واحد وهو الله ﷻ. وعرفوا هذا من الوحي بأن الفاعل واحد فقالوا (لا آله إلا الله محمد رسول الله) فلا آله إلا الله تعني الفاعل والمدبر واحد، ومحمد رسول الله الذي جاء بالوحي وعلمنا أنَّ الفاعل واحد، وهو الذي ضبط العقل بضابط الشرع والوحي.

لذلك قال ﷺ (لا حول ولا قوة إلا بالله) والله ﷻ يقول: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات:٩٦]، ويقول: ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق:١٥]، فعلِمنا من خلال ذلك أنَّ النار لا تحرق بقوة مودعة فيها؛ ولكنّ الله يخلق الإحراق عند ملامسة المحروق، فالنار لا تحرق بذاتها لأنها لا

تملك قوة، لكن الله ربط بين مماسة النار في المحروق خلق الحرق، وربط بين مماسة السكين للمذبوح خلق الذبح أو القطع.

إذن: فالله ﷻ هو الذي يخلق الحرق والقطع بارتباط عادي مستمر مكرر حتى يكون الحجاب لأهل الحجاب، فيأتي الكافر فيظن أنَّ الأشياء والأسباب فاعلة فيعتمد عليها إلى درجة العبادة. وهذا سبب رؤيتنا لمن يعبد الماء والحجر والحيوان والجماد.

مثال ذلك: فمن يرى أنَّ الماء هو سبب الحياة، عَبَدَ الماء وهذا موجود في الهند وغيرها، لأنهم اعتقدوا أنَّ هناك قوة مودعة في الماء تأتي بالحياة، والذي يجلب الحياة هو الحي الذي قامت به الحياة وهذا كله لأنهم قالوا بالقوة المودعة.

مثال آخر: عُباد الأصنام نظروا بعقل غير منضبط بالوحي والشرع فدلهم على عبادة الأصنام؛ لأنهم اعتقدوا أن الجماد وهو أصل الكون، فيأتي عليه الماء فينبت العشب ويأتي الحيوان فيعيش عليه ويأكل من نباته، فلولا الجماد ما كانت حياة فعبدوا الأحجار وصوروا منها أصناما وعبدوها.

مثال آخر: هناك من نظر أنَّ النبات هو الأصل، ولولا النبات ما كان حيوان ولا إنسان فعبد الأشجار.

مثال آخر: هناك من نظر أنَّ الحيوان هو الأصل الذي يستفيد من النبات والماء، وكأن الماء والنبات خلقا له فهو رئيس الكل فعبدوا البقر.

مثال آخر: عُباد النار لما رأوا أنَّ النار تحرق ووجدوا فيها قوة القهر فعبدوها وحصروا الواحد المختار في وجه واحد من وجوه التجلي. لكنَّ

المؤمن: مهما تعددت التجليات لا تُطفئ نور بصيرة قلب المؤمن من إدراك الأحدية مهما تعددت تجليات الواحدية لذلك يقول ﴿قل هو الله أحد﴾ لبيان بطون الأحدية في تجليات ظهور الواحدية. فالأحدية لا تقبل التجزؤ ولا تقبل الظهور أما الواحدية فتقبل الظهور والتجلي.

مثال آخر: وهناك من اغتر بنفسه ووجد أنَّ كل شيء يخدمه وهو يستطيع قتل كل شيء فقال (أنا ربكم الأعلى) كفرعون والنمرود.

لذلك يوم القيامة يحلفون أنهم لم يكونوا مشركين ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٢٣]، ويوم القيامة يوم الحق لا يستطيع أحد أن يحلف كاذباً، ووجهة نظره أنه عبد الله فيما عبده من صنم أو نار أو أي شيء، فهو يظن انه صادق في نفسه، وأنه وصل إلى هذا الاعتقاد الذي وصل اليه بالعقل ولم يعترف بالوحي فضل ضلالاً مبيناً، فالعقل قد يُضل الإنسان ضلالاً مبينا.

لذلك قال تعالى محاجًّا لمن عبد شيئًا من دونه ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام:٢٢-٢٣].

فيقول الله ﷻ: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنعام:٢٤]، أي انظر كيف أخطأوا (كذبوا) يعني أخطأوا بلغة قريش لأن القرآن نزل بلغة قريش؛ لأنه لما قال سعد بن عبادة في فتح مكة (اليوم يوم الملحمة) فقال النبي ﷺ كذب سعد (اليوم يوم المرحمة)[١] فكذب يعني أخطأ.

(١) فتح الباري ج١٢ ص٩٥

إذن تفسير الآية: انهم أخطأوا لأن عقلهم أوصلهم إلى غير الواحد المختار، فعبدوا سواه في صورة من صور التجلي، وأنكروا تجلياته في سائر الصور. لأن الله تجلى في سائر صور الأكوان، فمن رأى صورة واحدة من صور التجلي وحصرها في صورة وعبد هذه الصورة فقد أنكر وجود الله وعبد التجلي ولم يعبد المتجلي.

لذلك يقول الله ﷻ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]، فمهما تعددت التجليات فالمتجلي واحد فأينما تولوا فثَمَّ وجه الله، والتعدد لا يشغل المسلم لأنها مظاهر فضل الله في الأكوان﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء:٢٣].

لذلك نحن لم نقل بالقوة المودعة، لأن الفاعل واحد مختار، فمهما تعددت الأفعال فالفاعل واحد، ومهما تعددت المظاهر فالظاهر واحد.

واختصر الصوفية هذا المعنى فقالوا (وحدة الشهود) مقام وحدة الشهود للملك المعبود، فالصوفية عندهم وحدة الوجود وقد ذكرناه آنفًا، والآن نتكلم عن (وحدة الشهود).

فمصطلح الصوفية مبني على اعتقاد جازم بان كل تجلٍ للأكوان مصدره واحد وهو الله ﷻ، لذلك تحققوا بقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[البقرة:١١٥]، أي وجه التجلي، ولذلك قلنا في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[الرحمن:٢٦-٢٧]، أي كل من عليها فانٍ في الحال والاستقبال، ولولا امدادات وجه التجلي ما كانت الأكوان؛ لأن كل ما سوى الله موجود به أي بمدده، فلولا وجه التجلي لعاد

لما كان عليه من العدم. وأتى بها بصيغة (اسم الفاعل) ليدلك على أنه غير مرتبط بزمن، اذ هو فانٍ بالفعل ولكن الذي جعله موجوداً هو مدد الله له فعبر عنه بالفعل المضارع بقوله ويبقى وجه ربك لبيان التجدد والاستمرار، فلا تستغن عنه طرفة عين ولا تستغن بأحد من خلقه، لأنك إذا استغنيت بمخلوق فإنك استغنيت بفقير مثلك لا يملك لنفسه ضر ولا نفع.

إذن: الأشياء ليست فاعلة بذاتها بل الفاعل واحد مختار وليس هناك علاقة علة ومعلول، وكثرة التنوع دل على أنَّ الطبيعة ليست فاعلة بل مفعول بها. فلا نقول بالطبع لا نقول بالعلة، ولا نقول بالقوة المودعة.

فخلق الله هذه التجليات المتعددة في الأكوان ليختبر من أراد أن يختبره، ويختبر من يوحده مع تعدد التجليات والصور، فيوحده وينسب هذا التعدد إلى الواحد، أو يجعل لله نداً وهو خلقه لذلك قال (من يقل بالقوة المودعة... فذاك بدعي فلا تلتفت) لأنه كلما رأى في الأشياء قوة مودعة اعتمد عليها فعبدها. لذلك العقل الذي لا يفكر من خلال الشرع يضل ويزل ويصل الى الكفر بعد الإيمان بوجود الله ﷻ.

المعتزلة: طائفة من المسلمين تأثروا بالفلاسفة، فقالوا إنَّ فعل الله يجب أن يكون على مقتضى الحكمة؛ لأنه حكيم والحكيم لا يفعل عبثًا، ومن ينظر إلى ظاهر قولهم يجده جميلاً وحكيما، والحقيقة أنه يؤدي إلى الضلال وسنوضح ذلك. لأن المعتزلة لما قالوا إنَّ الله لا يفعل إلا بمقتضى الحكمة وأفعاله لا تخرج عن نطاق الحكمة، فالحكمة هي غاية مراده في إظهاره لأفعاله.

ونرد عليهم: بقولكم هذا جعلتم الحكمة قائدة لله في أفعاله ومتحكمة في أفعاله والحكمة التي تُسيره، فقد جعلتم الله في قولكم هذا يسير خلف الحكمة.

أما أهل السنة يقولون: إنَّ الحكمة تقارن فعل الله وليست مقتضية لفعل الله، أي أنَّ الله إذا فعل فعلاً تجد الحكمة موازية للفعل مقارنة له ولا تسوقه، وإذا قلنا إن الحكمة هي الدافعة لجعلناها مهيمنة على الله وحاشاه سبحانه. لكن الله ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء:٢٣]، ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ ﴿يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾. هذا هو الوحي الذي يضبط العقل، فبعدما كنت ترى أنَّ كلام المعتزلة والفلاسفة معقول وجدته غير معقول؛ لأن الفلاسفة والمعتزلة قالوا هذا القول بمحض العقل وليس الوحي. إذن فنحن نقول إنَّ الحكمة تلازم فعل الله ولا تكون دافعًا لفعل الله، بل حيثما أراد الله وفعل وجدت الحكمة، فالحكمة هي التي تسير خلف فعل الله، وفعل الله لا يسير خلف الحكمة، فالمسلم يعبد الحكيم ولا يعبد الحكمة.

فلا بد أن تعرف هذه الأمور حتى تعرف من تعبد ولمن تتقرب لترتقي بالعبادة، ولن ترتقي بالعبادة إلا بالعلم، وكثرة العبادة من غير علم لا فائدة منها، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]، لأن العالِم يداوم على العمل ويُحسنه وإن قل، ولا يُفتن بالمظاهر وان تعددت عليه المظاهر، لكن العابد الجاهل قد يُفتن من قبل الشيطان، كمن فتنهم الشيطان بقوله (أنا ربك رفعت عنك التكليف) أو يأتيه بصورة نور ويقول له (أنا ربك فاسجد لي) يكلمه من خلال شجرة فيسجد للشجرة، فلا بد أن تكون عالمـًا عابدا.

وهذا سيدنا لقمان (نفعنا الله بعلومه في الدارين) لما نصح ابنه ماذا قال له: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان:١٧]، فقد علَّمه بأن الله فاعل لكل شيء، خبير بكل شيء، مهيمن على كل شيء ثم أمره بالعبادة، أسس له العقائد ثم أمره بالعبادة والتكاليف؛ لأن الذي يعمل قبل أن يفكر ويتفكر فقد اتصف بصفة البهائم، فالبهائم تهرب إذا رأت حيوانـًا أقوى منها دون تفكير وقد تجري لهلاكها.

أما الإنسان العاقل إذا ما رأى حيوانـًا أقوى منه فينظر حوله حتى يختار الطريق الذي يسير فيه ولا يكون سبب هلاكه، فالإنسان يفكر قبل أن يعمل.

لذلك: نقول يجب أن يسبق الفكر العمل؛ لأن الفكر محله القلب وهو محل الاعتقاد، فالاعتقاد مقدم على العمل، فإذا اعتقدت الاعتقاد الصحيح ثم عبدت أثمرت العبادة أنواراً ومعارفـًا فتنتقل من عالم إلى عارف، لأنك عرفت الله أولاً وتعرفت اليه بالدليل، ثم لما مارست العبادة استغنيت عن الدليل؛ لإشراق أنوار المعارف على القلب. فبعدما كان الدليل يدلك على الله صار الله يدلك على الدليل، لذلك قال الله ﷻ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢].

قول المصنف: (لو لم يكن متصفـًا بها لزم.... حدوثه وهو محال فاستقم)

أي لو لم يكن بالصفات السابقة السلبية التي تسلب النقص للزم حدوثه وهو محال.

فلو لم يكن قديمـًا يلزم أن يكون حادثـًا. ولو لم يكن قائمـًا بذاته لافتقر لما يقوم به، ولافتقر إلى الأعضاء والحواس وهذا مستحيل في حقه تعالى؛ لأنه واحد أحد فالأحدية لا تتجزأ، والواحدية تقبل التجلي وتعدد المظاهر، والأحدية لا تقبل الظهور. فالواحدية تمنع الشركة ولا تمنع تعدد المظاهر في صور التجليات، فالمظاهر متعددة والظاهر وواحد.

إذن: لا تقل أنَّ الله له جسم وأعضاء، ونرد على الذين يقولون أنَّ له جارحة مستدلين بقوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠]، نقول له اصرفها عن حقيقتها ثم فوضها لربك، أو حولها إلى المعنى المجازي وقل اليد بمعنى القوة والعطاء.

ولا يجوز القول بالجارحة؛ لأنه يقتضي الجسمية فيكون له حد، ويقتضي التبعيض وهذا يقتضي الإفتقار وهذا محال لأنه ينافي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١] و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾[الإخلاص:١]. فكل هذه اللوازم العقلية من الوحي الشريف تصرف العقل عن تصوير الله بالجسمية، إذا فمع هذه الألفاظ ظهرت لنا مدرستان.

التفويض: تصرف الأمر عن حقيقته بدليل القرآن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، مع دليل العقل أنَّ الله يستحيل أن يشبهه شيء، وبعد أن صرفته عن حقيقته فإذا سُألت عن معناه فقل أفوض الأمر لله هو أعلم به، واسكت عن القول بالجوارح، وهذه عقيدة السلف الصالح.

التأويل: مذهب الخلف لمَّا جاء أناس وقالوا إنَّ له جارحة ولكن بلا كيف، وله نزول في قوله (ينزل إلى السماء الدنيا) وقالوا نزول مع الحركة.

فنرد عليهم ونقول: إنَّ هذا القول مردود لأن النزول مع الحركة معناه أنه متحيز، والحركة معناها انه صار تحت تأثير الزمن والمسافة والله خارج عن الزمان والمكان.

إذن: اصرف ذهنك عن النزول الحقيقي وقل إنهُ تنزل رحماني لسرعة قبول الدعاء، فجاء الخلف فأولوا وقالوا إنَّ اللغة العربية لغة المجاز فيجب أن نصرفها عن معناها الحقيقي و(اليد) لها معانٍ كثيرة كالقوة والعطاء والمنة والفضل، و(العين) و ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه:٣٩]، ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[الطور:٤٨] أي بحفظي، كقولك عندما يطلب أحد منك شيء (في عيني: أي في حفظي)، فالذي لا يستطيع التفويض يجب عليه صرفها من معناها الحقيقي إلى المجازي، (النزول بمعنى التنزل) (العلو بمعنى التعالي في المرتبة لا بالمكان).

ولا تقل بقول من قالوا أنه في جهة السماء، أما نحن فنقول :﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ [النساء:١٢٦]، فكيف يكون في الجهة أو في السماء، والله يقول: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]، فالله ﷻ موجود لا في مكان لأنه خالق المكان.

قول المصنف: (لأنه يفضي إلى التسلسل... والدور وهو المستحيل المنجلي)

لو لم تكن هذه الصفة ولو لم يكن قديماً بلا أول فانه يؤدي إلى التسلسل الذي لا نهاية له، والعقل يحيل التسلسل، كقولك من خلق الخالق؟ فيقال لك خالق آخر، ثم تقول من خلق الخالق الآخر؟ يقال خالق ثالث وهكذا إلى مالا نهاية، وهذا يحيله العقل. لا بد أن يكون هناك خالق غير مخلوق صدر منه الخلق فيكون أولاً بلا ابتداء وآخراً بلا انتهاء.

(والدور) أي أن وجوده يعتمد على شيء، وهذا الشيء يعتمد على وجود الخالق فتصير كالحلقة المفرغة التي هي العلة، ولا وجود للعلة إلا مع وجود المعلول كما قلنا، الخالق لا بد أن يكون معه مخلوق فقالوا بقدم العوالم، وهذا محال لأنك لو جعلت العلة سببًا لمعلولها لجعلت المخلوق سببًا للخالق وهذا مستحيل.

قول المصنف: (فهو الجليل والجميل والولي... والظاهر القدوس والرب العلي)

(**الجليل**) الذي يجلُ عن كل وصف وعن كل تصور سبحانه وتعالى و(**الجميل**) الذي يتصف بكل صفات الجمال، وإذا اتصف بكل صفات الجمال والجلال كان عين الكمال ولا يتصور فيه نقص. و(**الولي**) الذي تولى الأكوان بالإيجاد والإمداد والهداية، قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه:٥٠]، في كلام سيدنا موسى عليه السلام وجوابه على فرعون كلام كافٍ شافٍ فالله يعلم الجزئيات والكليات والبواطن والأسرار وكل شيء ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء. (**والطاهر**) المنزه من الأدناس و(**القدوس**) المنزَه عن تنزيه المنزِه، أي فوق إدراك العقول، أي تقدس عن تنزيه المنزه وتصوير المتصور، لأنه في مرتبة الاطلاق والاطلاق لا يقبل القيود، والعقل لا يتصور إلا المقيد، والله في مرتبة المطلق، لذلك سلم تسلم، والعجز عن الإدراك هو عين الإدراك. و(**الرب**) الذي قام بربوبية الأكوان كلها، فهو رب العالمين خلقها ورباها وأعانها واعتنى بها وأمدها ولا يغفل عنها، و(**العلي**) المتعالي عن كل وصف لا يليق به، فهو العلي مرتبة

ومقاماً لا مكاناً وتحيزاً. فهم قالوا (الطاهر أو الظاهر) فهو ظاهر فوق كل شيء كما أنه باطن دون كل شيء بغير اتصال أو انفصال أو جهات.

قول المصنف: **(منزه عن الحلول والجهة... والاتصال والانفصال والسفه)**

منزه عن الحلول؛ لأنه لو حل كان جسما عرضًا، ولو كان عرضًا لاحتاج لشيء يظهر فيه ولو كان جسما لاحتاج لحيز يحل فيه، وهذا محال في حقه تعالى، كـ(المحبة) فالمحبة عرض تحتاج لقلب لتحل فيه. لذلك نقول (الله رحيم) ولا نقول (الله رحمة) لأن الرحمة عرض، وأهل السنة يقولون (الله ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض) ليس بجوهر لأن الجوهر يفتقر للحيز، ولا جسم لأن الجسم يفتقر للحيز ولأعضائه وأجزاءه، ولا عرض لأن العرض يفتقر لمكان يحل فيه (كالألوان وغيرها). والنصارى قالوا: إن الله حل في مريم وظهر في صورة عيسى وهذا كفر، ومن قال أن الله في السماء فقد جعله في مكان وهذا أيضا كفر، فالله ﷻ لا يحل في شيء إذ ليس معه شيء بل كل شيء به وليس معه.

(الجهة) لأن الجهة حيز والحيز مكان والمكان مخلوق والله كان قبل المكان ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]، ولذلك قالوا: إنَّ معراج سيدنا يونس عليه السلام كان في بطن الحوت، ومعراج نبينا كان عند سدرة المنتهى. يعني أنَّ سيدنا يونس عليه السلام عندما أراد الله ﷻ أن يبين له قربه ومكانته وعنايته به تجلى عليه بصفة القرب وهو في بطن الحوت وفي ظلمات البحار،

فكان أقرب ما يكون لربه من حيث المكانة، لذلك استجاب له: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾[الأنبياء:٨٧-٨٨]. ومعراج رسول الله ﷺ ما بعد سدرة المنتهى وقرب الله ﷻ لسيدنا يونس ﵇ وهو في بطن الحوت كقربه من سيدنا محمد ﷺ في مقام قاب قوسين أو أدنى.

فالله سبحانه من حيث القرب منهما سواء؛ لأنه لا جهة له، وإلا لقلنا إذا أردت أن يستجاب لك فاصعد إلى جبل أو برج عالٍ ولكن الأمر ليس ذلك، فتدعوا الله وأنت نائم وأنت في الكهف وفي الخندق فتقول يا رب يسمعك ويستجيب لك. لذلك قال سيدنا محمد ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»[1] ولو كان جهة لوجب أن يدعو وهو قائم فالمسألة لم تكن مسألة جهة.

إذن: فهو قرب مكانة وقرب قبول وقرب تجلٍ وهو ساجد، لأنك كلما تحققت بالعبودية تقربت من مقام الربوبية، فإذا تحققت بالعجز أقدرك، واذا تحققت بالجهل علَّمك، واذا تحققت بالفقر أغناك وهكذا. إذا اتصفت بوصفك يغطيك بوصفه.

قول المصنف: (والاتصال والانفصال) فهو عز وجل أقرب اليك منك، وأقرب اليك من حبل الوريد ولا تستطيع أن تقول اتصل أو انفصل، لأن الاتصال والانفصال حقيقة الأجسام.

مثال ذلك: الله خلق لك الروح فلا تستطيع أن تعرف أين هي في جسمك، فأنت تشعر بألم في إصبع قدمك إذا خُدش، وتشعر بألم رأسك إذا ضُرب، أين

(١) مسلم (٤٨٢)، أبو داود (٨٧٥)، النسائي (١١٣٧)، احمد (٩٤٦١).

الروح إذن؟ في قدمك أو رأسك أو ذراعك وهكذا، ولا تستطيع أن تقول إنها متلبسة في الجسم كله؛ لأنه لو قطعت رجل المريض لا يشعر بنقص في روحه، وهناك دليل أنها لم تكن حالّة بالأجزاء التي قُطعت؛ لأنها لو كانت حالّة لشعر بالنقص عند قطع العضو. **إذن**: الروح لا توصف بأنها متصلة ولا منفصلة وهذه مخلوقة، وفي نفس الوقت لا تستطيع أن تنفي وجودها وهي مخلوقة. وكذلك الله ﷻ مع الأكوان لا يوصف باتصال ولا انفصال، ولا تستطيع نفي وجوده، ولذا دلنا سبحانه على هذا فقال: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات:٢١]، ولذا قالوا: «من عرف نفسه عرف ربه».

مثال آخر: صورتك وأنت أمام المرآة إذا سُئلت من هذا الذي ظهر في المرآة تقول أنا، يقولون أهذا أنت؟ تقول لا ليس أنا حقيقة بل هذه صورتي بغير اتصال بالمرآة ولا انفصال، يعني (أنا وليس أنا) فلا تثبت ولا تنفي، فاجتمع فيها النفي والإثبات لأنه لا يوجد اتصال ولا انفصال. ولو انكسرت المرآة تتشوه صورتك ولكنك لا تتأذى، وهذا الأمر حصل معك وأنت مخلوق فما بالك بالخالق ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ [الحديد:٤]، يقبل الاتصال والانفصال.

يقول المصنف: **(والسفه)** فالحكمة تقارن فعله؛ لأنه حكيم، والحكمة تقتضي عدم السفه.

وفي طبعة أخرى (الصفة مكان السفه) والصفة يقصد بها الصورة وهو ينفي الصفة: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠﴾ [الصافات:١٨٠]، لكن الراجح أنها كلمة السفه.

فيما مضى عرفنا ست صفات (الوجود والقدم والقيام وتخالف الغير والوحدانية).

وسنأخذ الأن سبع صفات معاني:

ثُـمَّ المَعـاني سَـبْعَـةٌ للـرَّائي	أي عِلْمُهُ المُحيطُ بالأشْياءِ
حَـيـاتُـهُ وقُـــدْرَةٌ إرادَهْ	وكُــلُّ شــيءٍ كَـائِـنٌ أرَادَهْ
وإنْ يَـكُـنْ بـضِـدِّهِ قَـدْ أمَـرا	فالقَصْدُ غيرُ الأمرِ فاطْرَحِ المِرَا
فـقَد عَلِمتَ أربَعاً أقْساما	في الكائناتِ فاحْفَظِ المَقَاما
كَـلامُـهُ والـسَّـمْـعُ والإبْـصَـارُ	فهْوَ الإلـهُ الفاعِلُ المُخْتارُ

قول المصنف: (ثم المعاني سبعة للرائي... أي علمه المحيط بالأشياءِ)

والفرق بين الصفات السلبية وصفات المعاني، أنَّ السلبية تسلب ما لا يليق بالله من غير أن يدل على معنى وجودي قائم بالذات، أما صفات المعاني فهي تدل على معنى وجودي قائم بالذات وهي سبعة (الحياة والقدرة والإرادة والبصر والسمع والكلام) وينتج من صفات المعاني سبع صفات معنوية ثابتة للموصوف بها كونه (حيا عليما قديرا مريدا بصيرا سميعا متكلما).

قول المصنف:

الصفة الأولى (العلم): الذات تتصف بالعلم، والعلم صفة كشف وليست كسب؛ لأنه لو كانت صفة مكتسبة فيسبقها عدم، والعدم يعني الجهل وهذا محال. ولكنها صفة ذاتية يكشف بها كل معلوم، وعلمه يتعلق بالواجب والمستحيل والجائز لذلك ذكرها في البيت.

وتعلقات العلم بالمعلوم: إن كان هذا المعلوم متعلقاً بقدر ما، إذن له تعلق تنجيزي قديم؛ لأن العلم قديم، أي علمها تنجيزي فيعلمها قبل ظهورها. وتعلق العلم بالمخاطب غير الموجود يسمى (صلوحي قديم) أي صالح أن يخلق المخاطب الموجه اليه الأمر والنهي والتكليف، فإذا أراد أن يظهر المخاطب صار (تنجيزي حادث). والعلم صفة تشمل المراد وغير المراد، لذلك العلم يشمل كل الأحكام العقلية، (الواجب والمستحيل والجائز) سواء ممكنات موجودة أو مرادة في لحظة ايجادها أو معدومة غير مراد اظهارها، لذلك قال العلماء (يعلم ما كان وما لم يكن إذا كان كيف يكون) لأن علمه ليس فقط ما أظهره، فهو ﷻ أظهر ما يريد اظهاره من معلومه فعلمه أوسع ؛ لأنه تعلق بالمستحيل والمستحيل لا ظهور له وتعلق بالواجب وبالجائز غير المراد إيجاده.

مثال ذلك: إنه يعلم منك لو كنت سمكة ما هو عملك، ولو وضع روحك في كائن آخر كيف ستكون، ولو كانت روحك في نبات كيف ستكون، فهو يعرف كل الاحتمالات الممكنة في صور الكائنات لو لم تكن على صورتها المرادة ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

و(شيء) تطلق على الموجود والمعدوم بدليل قوله: ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾، أي معدوماً ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

وهناك من العلماء والفلاسفة قالوا إن (شيء) تطلق على الموجود فقط، ونحن مع الرأي الأول.

وقوله: (أي علمه محيط بالأشياء) قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا﴾ [النساء:١٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه:١١٠]، فكل ما سوى الله لا يحيط بالله علماً ولو كان نبيًا، لكن النبي ﷺ هو أعلم الخلق، ولكن علم بغير إحاطة لأنه لو أحاط به علماً لكان مدركًا والله لا يُدْرَك، لكن يتفاوت الناس في العلم فاذا تفاوتوا فأعلم الخلق بالله هو سيدنا رسول الله ﷺ اذ قال ﷺ: «أنا أعلمكم بالله وأخشاكم لله»[1].

قول المصنف: (حياته وقدرة إرادة... وكل شيء كائن أراده)

الصفة الثانية (الحياة): صفة ذاتية لو لم تكن موجودة ما كانت هناك حياة مرئية، فنحن أدركنا انه حي لوجود الحياة في المظاهر، وفاقد الشيء لا يعطيه، فهو الحي الذي لا يموت.

الصفة الثالثة (القدرة): هي صفة تتعلق بالجائز الممكن، لماذا؟ لأن من المستحيل أن تكون القدرة متعلقة بالواجب فتفنيه، لأن الواجب لا يقبل الانتفاء، ويستحيل أن تتعلق بالمستحيل فتوجده؛ لأن المستحيل لا يقبل الوجود، اذ لو قلنا إنَّ القدرة متعلقة بالمستحيل العقلي لقلنا عقلاً يجوز أن يخلق آله معه وهذا محال.

إذن: القدرة تتعلق بشيء يقبل الوجود والعدم، وما يقبل الوجود والعدم هو الجائز، فإذا سُألت هل الله قادر على أن يفني ذاته؟ تجيب لا؛ لأن ذاته واجبة الوجود، وواجب الوجود محال عقلاً أن ينتفي، وبالتالي القدرة لا تتعلق به.

---

(١) البخاري (٢٠)،

لذلك في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ أي على كل شيء يريده من الممكنات قدير.

فالقدرة صفة إطلاق مطلقة في كل ما هو جائز الوجود والعدم، فتأتي الإرادة وتقيدها وتخصصها، فالله لا يخرج معدوماً إلى الوجود إلا بإرادته فيخصص قدرته على وفق علمه.

فالعلم يحدد الإرادة، والإرادة تخصص القدرة. العلم كشف، والإرادة تخصيص، والقدرة إطلاق.

العلم أولاً فتأتي الإرادة على وفق العلم فتخصص القدرة لإخراج المراد إيجاده على وفق المعلوم.

إذن: الإرادة تكون على وفق العلم، والإرادة لا تتعلق إلا بالجائز، فلا تتعلق بالمحال ولا الواجب؛ لأن الإرادة مستوجبة للقدرة فتخصصها، والقدرة لا تتعلق بالواجب ولا المستحيل لذلك تقول (أنَّ الله على كل شيءٍ جائز قدير) أو (يريده قدير). وإذا انتبهت إلى كلمة (شيءٍ) تجدها منونة وهذا يسمى تنوين العوض، ويعني أنه قد حذفت كلمة أو جملة تضاف للشيء فتوضحه، والمحذوف هنا من خلال علم الكلام وعلم التوحيد والعقائد هو الجائز الممكن. لأنَّ القدرة لا تتعلق إلا بالجائز فيكون المقدر المحذوف هو (شيء جائز قدير) أو (شيء يريده قدير) والجائز كل ما سوى الله وهو يقبل الثبوت والانتفاء، وكل ذلك تقدير لمضاف وهذا من جمال اللغة العربية.

الصفة الرابعة (إرادة): ترتيب صحيح حيث أورد العلم أولاً، لأنه الكشف ثم الحياة التي هي التربة التي يسير فيها العلم والقدرة والإرادة وكل

شيء؛ لأن الحياة ضد الجمود، فلا بد من وجود الحياة حتى يكون هناك علم وسمع وبصر وبقية الصفات، فكل الصفات ناتجة عن الحياة ولو انتفت الحياة لانتفت كل الصفات. إذن: فكل ما في الأكوان تحت إرادة الله.

قول المصنف: (**وان يكن بضد ما قد أمر**) هذه نقطة مهمة حتى نعرف الفرق بين أهل السنة والمعتزلة والفلاسفة والجبرية.

فأهل السنة: يقولون بلسان الوحي: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن»[1] يفعل ما يريد بقدرته. فالقدرة هي أداة ووسيلة وآلة الإرادة، وما يريده على وفق معلومه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج:١٤] فكل الأفعال في الأكوان هي مراد الله، لكن عندما رأينا في الأكوان أفعالاً قبيحة (قتل – زنا – كذب –... الخ) والله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ ﴾ [الأعراف:٢٨]، والأكوان فيها فحشاء فحينئذ ماذا نقول؟ هل الإرادة غير الأمر أو الأمر هو عين الإرادة؟

وأما المعتزلة: قالوا إنَّ الأمر هو عين الإرادة، وما وقع من فحشاء هو من خلق أفعال المكلفين. فالمكلف يخلق أفعاله وأثبتوا خالقاً مع الله، وسموا أنفسهم (القدرية)، وقالوا إنَّ الله لا يعلم ما يختاره العبد قبل اختياره، والحمد لله فهذه المدرسة انتهت وماتت.

---

(١) أبو داود (٥٠٧٥) حدثنا أحمدُ بنُ صالِحٍ، حدثنا عبدُ اللهِ بنُ وهبٍ، قال: أخبرني عمرٌو، أن سالِمًا الفراء، حدثهُ أن عبد الحمِيدِ مولى بنِي هاشِمٍ، حدثهُ أن أُمهُ حدثتهُ وكانت تخدِمُ بعض بناتِ النبِي صلى اللهُ عليهِ وسلم، أن ابنة النبِي صلى اللهُ عليهِ وسلم حدثتها أن النبِي صلى اللهُ عليهِ وسلم كان يُعلمُها فيقُولُ: «قُولِي حِين تُصبِحِين سُبحان اللهِ، وبِحمدِهِ لا قُوة إِلا بِاللهِ ما شاء اللهُ، كان وما لم يشأ لم يكُن فإِنهُ من قالهُن حِين يُصبِحُ حُفِظ حتى يُمسِي، ومن قالهُن حِين يُمسِي حُفِظ حتى يُصبِح»

ووجه الحق في المسألة: أنَّ الله تعالى له إرادة وله أمر، والاثنان مختلفان لوجود الاختيار عند المكلف، وسبحانه فصل بينهم. فربنا أمر بالإيمان وأراد أن يكون هناك كفرا وإيمانا حتى يتم الحساب، فالأمر تكليف، والإرادة أن تفعل ما تشاء ليتم الاختبار؛ لأن الله شاء أن يختبر الخلق بعد ما خلقهم وأعطاهم إرادة ومشيئة، وركَّب فيهم العقل يختارون به بين الأشياء، ثم أرسل إليهم وحيًا حتى يكون سقفًا لهذا العقل، فلما كان هذا المخلوق على هذا الترتيب صار مسؤولاً أمام ربه ويُسأل عما يفعل؛ لأنه قادر على أن يخالف الأمر فإذا خالف الأمر وافق الإرادة الأزلية التي لا يعلمها قبل الاختيار. إذن العلاقة بين الأمر والإرادة أربع علاقات:

(أمر اراده وأمَر به – وأمرٌ ارادهُ ولم يأمر به – وأمرٌ لم يأمر به ولم يردهُ – وامرٌ لم يأمر به وأرادهُ)

مثال: أمر أراده وأمر به: كإيمان أبي بكر الصديق ﷺ أراد الله أن يؤمن أبو بكر وأمر بالإيمان فآمن، فالأمر وافق الإرادة وكإيمان أي مؤمن.

مثال: أمر لم يرده ولم يأمر به: ككفر أبي بكر ﷺ، لم يأمره بالكفر ولم يرد كفره، وككفر أي مؤمن.

مثال: أمرٌ أمَرَ به ولم يرده: كإيمان أبي جهل، فأمر ابا جهل أن يكون مؤمنًا لكنه لم يرده أن يكون مؤمنًا لأنه خُلق للنار، وكإيمان أي كافر. لقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام:١١١].

مثال: أمر لم يأمر به وأراده: ككفر الكافر، لم يأمر الكافر بالكفر لكنه أراد أن يكون هناك كفار ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن:٢].

سؤال: هل الإرادة هي المشيئة؟

عند الأشاعرة المشيئة والإرادة شيء واحد، فهي مرادفة للإرادة. وعند الماتريدية: هناك فرق دقيق بين المشيئة والإرادة (وأنا أميل لهذا الرأي وأتبناه) وهي أنَّ المشيئة لا تتعلق إلا بالموجود والإرادة قد تتعلق بالموجود والمعدوم، «ما شاء الله كان» يعني موجود أو مراد إيجاده، «وما لم يشأ لم يكن» والإرادة متعلقة بكل جائز (معدوم وموجود) إذن الإرادة أوسع من المشيئة لتعلقها بالمعدوم ليظل معدوما وبالمعدوم المراد إيجاده ليخرج للوجود طبقا للمشيئة، فالمشيئة تتعلق بما يريد إيجاده أي الموجود فقط.

قول المصنف: (وان يكن بضده قد أمرا... فالقصد غير الأمر فاطرح المرا)

سنشرح هذا البيت من خلال هذه القصة: كان أحد أئمة المعتزلة في بغداد يخطب فقال: (الحمد لله الذي لا يقع في ملكه إلا ما يريد) وهو يقصد أن ينفي الأمر (فجلَّ أن يعصى في ملكه بإرادته)، وكان في المجلس أحد أئمة الأشاعرة فرد عليه (فهل عُصي ربنا قهراً) فلو عصي قهراً لكان المخلوق قاهراً، فسكت المعتزلي وأقام عليه الحجة، ومن لم يدرك هذا المعنى لقال كلام المعتزلة جميل، لكن العلماء يفهمون الامور، وفي الحقيقة هذا الكلام كفر؛ لأنه أثبت أنَّ الكافر يخلق أفعاله، وأن العاصي يخلق فعله، فجعل هناك خالقا مع الخالق، وأن الله لا يعلم ما يفعله قبل فعله فنسب اليه تعالى الجهل وهذا أمر خطير. (فالقصد غير الأمر فاطرح المرا) القصد هو نفسه الإرادة فاترك الجدال مع المعتزلة، فالطائع وافق أمر الله والعاصي خالف أمره لوجود الاختيار من المكلف، والكل وافق إرادته سبحانه حيث قال سبحانه: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [النحل:٩٣].

قول المصنف: (فقد علمت أربعا أقساما... في الكائنات فاحفظ المقاما)

الأربع أقسام هي التي ذكرناها آنفًا، شيء مأمور به ومراد، وشيء غير مراد وغير مأمور به، وشيء مأمور به وغير مراد، وشيء غير مأمور به ومراد.

قول المصنف: (كلامه والسمع والإبصار... فهو الإله الفاعل المختار)

الصفة الخامسة (الكلام): الله سبحانه وتعالى متكلم ولكن ليس ككلام الحادث، فكلام الحادث بصوت وحرف ونبرة وآلة ولغة، وكل هذه قيود. وكلام الله سبحانه وتعالى مخالف لما سبق، فلا يوصف بصوت ولا بحرف ولا آلة ولا لغة، ويمكن أن يُسمعه لمن شاء ويسمى (الكلام النفسي).

فالمعتزلة: نفوا صفة الكلام عن الله ﷻ فقالوا؛ لأنه أصوات وحروف وهو منزه عن هذا.

وأهل السنة: أجابوا يوجد كلام من غير صوت ولا حرف ولا آلة ولا لغة وما إلى ذلك، فقال المعتزلة أين هذا الكلام؟، قال أهل السنة الكلام النفسي، إذا تكلم الإنسان بينه وبين نفسه من غير صوت ولا آلة ولا حروف والله خلقه فينا لذلك قال: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات:٢١]، إذن من خلال الحاضر تدرك الغائب، لذلك لا يفتقر له إذا أراد إظهار هذه الصفة وهي الكلام. فالله سبحانه وتعالى لما أراد أن يجعلنا نتكلم بكلامه القديم وهو القرآن، قال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم:٩٧]، يعني هو موجود قبل خلق اللسان، ولكن يسره بلسانه الشريف وأنزله: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء:١٩٤]، فقلب النبي ﷺ أقوى من الجبال لذلك قال الله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر:٢١]، لعلهم يتفكرون في قلب

هذا النبي المكرم، الذي تنزل عليه القرآن ولم يتزلزل، فقلبه أقوى القلوب ولسانه أزكى الألسنة، لذلك في سورة الفرقان قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾[الفرقان:٥٩]، ومن هو الخبير؟ هو سيدنا محمد ﷺ ومن سار على نهجه، وفي القرآن الكريم ألم يقل الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾[البقرة:١٨٦]، فالقريب هو سيدنا النبي ﷺ فأني قريب ممن قرب منك وأحبك واتصل بك واتبعك.

إذن: القرآن كلام الله الدال على الصفة القديمة ولكن بحروف مخلوقة ولغة مخلوقة ولسان مخلوق على قلب نبي مخلوق. وهذا سبب الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة من قبل، وفي النهاية اتضح أنَّ كل فريق يتكلم من جهة فلما انفكت الجهة اختفى الخلاف.

فالمعتزلة: قالوا مخلوق لأنهم نظروا للحروف وخارجها وصوتها وصورتها وهي مكتوبة ومنطوقة فقالوا مخلوق.

وأهل السنة: قالوا قديم ونظروا إلى الصفة الدالة على الكلام وهو قديم.

وحُل الأمر بعد ذلك: فالقرآن باعتبار أنه كلام الله فهو قديم، وباعتبار أنه متلو على لسان التالي والقارئ بلسان عربي مبين فهو حادث أي مخلوق. فاتضح أنَّ كلاهما على صواب، فالقرآن دال على مدلول، فالدال الذي يقرأهُ القارئ حادث لأنه تجلي والتجلي حادث، والمتجلي قديم ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥]، أي وجه التجلي فوجوه التجلي متعددة بتعدد الخلق والمتجلي واحد. فالظاهر واحد والمظاهر متعددة، وبالتالي كلام الله إذا تجلى على مخلوق بصفته القديمة سمعه بكله وليس بأذنه، فكل ذرة فيه

تصبح اذنـًا تسمع وتعي، فسيدنا موسى ﷺ لما سمع كلام الله ﷻ، سمعه بكله وليس بإذنه، ويكون في كمال اليقين بما يسمع فلا يختلط عليه شيء. كما أنه إذا تجلى على عبد بالرؤيا يراه بكله، أما القرآن باعتبار أنه كلام الله قديم باعتبار المصدر من الله وخلوق باعتبار فعل المكلف تلاوة وكتابة وحفظا.

الصفة السادسة (السمع): فسمعه يتعلق بكل مسموع بغير آلة.

الصفة السابعة (البصر): يُبصر كل مبصر ولو كان في عالم العدم، فيبصر معلومه وهو معدوم، كما يبصره وهو موجود، ويسمع معلومه وهو معدوم كما يسمعه وهو موجود، لأنه لا يسمع بآلة ولا يفتقر لشيء.

يقول سيدي محي الدين بن عربي ﷺ (يسمع المبصر ويبصر المسموع)، ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٨]، ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه:٧].

والخلاصة: أن صفات المعاني السبعة من حيث تعلقاتها تنقسم إلى ما يتعلق بالممكن الجائز وهما صفتي القدرة للإيجاد والإرادة للتخصيص، ومنها ما يتعلق بالواجب والمستحيل والجائز وهما صفتي العلم والكلام، ومنها ما يتعلق بالموجود وهما السمع والبصر، ومنها ما يتعلق بشيء وهي الحياة.

قول المصنف: (فهو الإله الفاعل المختار) أي يخلق ما يشاء ويختار ولا شيء يجبره على فعل شيء.

وواجِــبٌ تَعْليقُ ذِي الصّفاتِ حَتْماً دواماً ما عدا الحياةِ
فالعِلْمُ جَزماً والكلامُ السَّامِي تعَلَّقا بسائِرِ الأقْسام
وقُـــدرةٌ ارادةٌ تعَلَّقا بالممكِناتِ كلِّها أخَا التُّقَى
واجزِمْ بأنَّ سَمْعهُ والبصَرا تَعَلَّقَا بِكُلِّ موجودٍ يُرَى
وكلُّها قديمةٌ بالذَّاتِ لأنها لَيْسَتْ بغَيرِ الذَّاتِ
ثُمَّ الكلامُ لَيْس بالحُروفِ ولَيْسَ بالتَّرتيبِ كالمَألوفِ

قول المصنف: (**وواجب تعليق ذي الصفات... حقًا دوامًا ما عدا الحياة**)

أي لها تعلق (تنجيزي – صلوحي – حادث – قديم) أي أنه تعالى حال كونه سميعا فتعلقه بالمسموع قبل الوجود تعلق صلوحي قديم، وتعلقه بالمسموع بعد وقوعه تنجيزي حادث، وكذلك الابصار. (ما عدا الحياة) فالحياة ليس لها تعلقات بالغير لأنها متعلقة بالذات، صفة ذاتية.

قول المصنف: (**فالعلم جزمًا والكلام السامي... تعلقا بسائر الاقسامِ**) صفة العلم وصفة الكلام تعلقا بسائر الأقسام والحكم العقلي (الواجب والمستحيل والجائز).

قول المصنف: (**وقدرة إرادة تعلقا... بالممكنات كلها آخا التقى**) والقدرة والإرادة متعلقان بالجائز فقط ليس كالعلم والكلام، وقوله (آخا التقى) أي اتقِ يا من تقول خلاف ذلك.

قول المصنف: (**واجزم بان سمعه والبصرا... تعلقا بكل موجود يرى**) فالسمع والبصر تعلقا بالموجودات القابلة للرؤيا والسماع.

قول المصنف: (وكلها قديمة بالذات... لأنها ليست بغير الذات) أي صلوحية قديمة ولما حصل صارت تنجيزية حادثة؛ لأنها قائمة بالذات وليست قائمة بنفسها وليست زائدة على الذات.

قول المصنف: (ثم الكلام ليس بالحروف... وليس بالترتيب كالمألوف) صفة الكلام ليست حروفا ولا ترتيبا كما المألوف ومثاله (الكلام النفسي) وهذا للتصور وتقريب الصورة. كما قلنا سابقـًا بلا أتصال ولا انفصال وضربنا مثلاً بالروح لا تقل عنها متصلة ولا منفصلة، وكصورتك في المرآة بغير اتصال ولا انفصال ولا حلول.

مثال ذلك: الشخص النائم ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾ [الزمر:٤٢]، الإنسان النائم أين روحه؟ الجواب: روحه تنطلق وتسبح في السماوات والأرض، وترى الجنان والسموات وأطراف الأرض في الرؤيا المنامية، ولا يستطيع شخص أن يقول أنك تكذب، لأنه يعلم أنها رؤيا، والروح في الرؤيا منطلقة والجسد موجود، ولا تستطيع أن تقول عنها اتصلت وانفصلت وهي مخلوقة، إذن الخالق من باب أولى أن يكون أقرب اليك منك وهو غير منفصل ولا متصل ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد:٤]، بغير حلول ولا اتصال ولا انفصال. (هو القريب في بعده، البعيد في قربه، الباطن في ظهوره، الظاهر في بطونه).

وَيَسْتَحِيلُ ضِدُّ ما تَقَدَّمَا	مِنَ الصِّفاتِ الشَّامِخاتِ فاعلَما
لأنَّـه لـو لم يـكُـنْ مَوصُـوفا	بِها لَكانَ بالسِّوَى مَعْروفا
وكُلُّ مَنْ قَامَ بـِهِ سِواها	فَهْوَ الذي في الفَقْرِ قَد تَناهى
والواحِدُ المَعْبودُ لا يَفْتَقِرُ	لِغيرِهِ جَلَّ الغَنيُّ المُقْتَدِرُ

قول المصنف: (ويستحيل ضد ما تقدما........ من الصفات الشاخصات فاعلما)

نحن ذكرنا ثلاث عشرة صفة، وقلنا منها ست سلبية؛ لأنها تسلب نقصاً، ثم سبع معنوية لأنها تعطي معنىً زائدا، وما دام ضدها ثلاث عشرة صار المجموع ست وعشرون صفة، والستة:

(الوجود وضده العدم) ثم (القدم وضده الحدوث) ثم (البقاء وضده الفناء) يستحيل أن يكون له نهاية، (القيام بنفسه وضده الإفتقار) يستحيل ان يكون مفتقرا، (تخالف الغير وضده أن يكون له مثل)، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠]، فالله منزه عن الامثال، فهو مخالف عن الجوهر والجسم والعرض فلا يوصف بالجسمية ولوازمها وهو التبعيض والتحيز، ولا يوصف بالجوهر ولوازمها وهو التحيز، ولا يوصف بالعرض ولوازمه لافتقاره للمحل. إذن (ليس كمثله شيء) (العجز عن الإدراك عين الإدراك) الصفة السادسة (وحدانية وضدها التعددية) فهو واحد خلق الموت والحياة والخير والشر والإيمان والكفر فهو واحد، وفي هذا رد على اليونانيين الذين قالوا بوجود إلآهين واحد للخير وآخر للشر، وواحد للحياة وآخر للموت، وواحد للإيمان وآخر للكفر فجعلوها اثنينية إله للجلال وإله للجمال.

أما عند المسلمين فهو آله واحد خلق كل شيء ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾ [الأنعام:١٠٢]، وقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك:٢]، وهذا معنى الوحدانية. أن يكون الفاعل واحدا ويستحيل أن يكون اثنين كما قالت اليونان، أو التثليث كما

قالت النصارى، أو التكرار والتناسخ في الأجساد كما قال السيخ في الهند، قال تعالى: ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [المؤمنون:٨٨].

وقال: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢]، ولم تفسدا، فلو كان الآهين لاختلفوا وحصل الفساد والخلل، ونحن نرى الكون منذ ملايين السنين يدار بمدير لا نراه وهو واحد، فانتفاء الفساد والخلل يثبت الوحدانية. فيحال أن يتصور التعدد فيه

(التعدد في الأفراد والتعدد في الذات) فالتعدد في الذات تنفيه الأحدية، فهو غير مركب من أجزاء متعددة فالأحدية تنفي التعدد في الذات، والواحدية تنفي التعدد في الأفراد فنقول (واحد لا يتعدد، أحد لا يتجزأ) لأن التعددية قد تتصور في الاجزاء كالشيء الواحد ولكنه مكون من أجزاء متعددة مثل الإنسان مكون من رأس وجذع وذراعين وقدمين، وداخل الجذع أحشاء وقلب، فبالرغم من أنه (واحد) لكنه مكون من أجزاء، إذن الواحدية لا تنفي تعدد الأجزاء لكن تنفي تعددية الأفراد، وتعددية الذات تنفيها الأحدية، والعجيب أنَّ كلمة (أحد) لم تأتِ في القرآن إلا مرة واحدة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [الإخلاص:١]، لأنها تعني أمرا هامًا جداً جعله الرسول (ثلث القرآن) لأن ثلث القرآن الهيات، وثلثه نبوات، والثلث الثالث سمعيات فهي تعدل ثلث القرآن، كأن قوله ﷺ «الاخلاص ثلث القرآن»[1] قد قسم لك علوم الدين إلى ثلاثة أقسام.

---

(١) البخاري (٥٠١٣) عن أَبِي سعِيدٍ الخُدرِي، أن رجُلاً سمِع رجُلاً يقرأُ: قُل هُو اللهُ أحدٌ يُرددُها، فلما أصبح جاء إلى رسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم فذكر ذلِك لهُ، وكأن الرجُل يتقالها، فقال رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم: «والذِي نفسِي بِيدِهِ إِنها لتعدِلُ ثُلُث القُرآنِ»

إذن: في علم التوحيد عندما يقول (وحدانية) نفى تعدد الذات والأفراد، وعرفنا مخالفته للذات في قوله (ليس كمثله شيء) لأن كل شيء مكون من أجزاء. لذلك نرد على من يقول: له يد ليست كأيدينا، وعين ليست كأعيننا فهو مخطئ؛ لأنه جعل له أجزاء وأبعاضا فنفى الأحدية، فعَبدَ إلهـًا واحداً غير أحد وهذا كفر خطير. كذلك قولهم (الله في السماء) وهذا خطأ لأنه حيَّزَ له مكانـًا والتحييز صفة الأجسام والجواهر، ونقول لهم أين كان الله قبل خلق السماء؟ سبحان الله فهو حاضر لا يغيب، ولو كان في جهة لغاب من الجهة الأخرى، تعالى عن هذا علواً كبيراً ولكن موجود لا في مكان.

العجيب أنَّ الكفار كانوا يعتقدون أنَّ الله ﷻ في السماء، لذلك كانوا عندما يجامعون زوجاتهم يغطون أنفسهم حتى لا يراهم ربهم الذي في السماء، فعندهم حياء أن يراهم في هذه الحالة، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٥﴾[هود:٥]، أي أن ربنا معكم مطلع لا يحجبه حاجب ولا غطاء، فعقيدتهم متصورة أنَّ هذا الاله يحجبه حاجب فجاء القرآن وقال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ [الحديد:٤]، وقال: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]، وقال: ﴿يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾[طه:٧]، وقال ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾[الملك:١٤].

لذلك نربي أولادنا على ما ربى به السري السقطي الإمام الجنيد رضي الله عنهما وهو طفل صغير.

سأل الإمام الجنيد خاله الإمام السري السقطي وقال له حدد لي وردا، فقال يا ولدي إذا أويت إلى فراشك فكرر حتى تنام (الله معي، الله شاهد عليَّ،

الله قادر عليَّ) قال الجنيد (رحمه الله) ما زلت أكررها حتى فتح الله على قلبي، وصار الله لا يغيب عني لحظة.

فهي إذن **وحدانية**: في الذات وفي الصفات وفي الأفعال، فلا توجد ذات مثل ذاته ولا صفة مثل صفته ولا فعل مثل فعله تعالى.

الصفات السبعة الأخرى وعكسها:

(الحياة وضدها الموت) يستحيل الموت والعدم، (القدرة وضدها العجز) فيستحيل أن يوصف بالعجز، (إرادة وضدها قهر) يستحيل أن يكون مقهوراً مجبوراً لا إرادة له، ولا بد مع القدرة الإرادة؛ لأنه لو لم تكن لكان هناك قهرا، والإرادة هي المشيئة وقلنا إنَّ الإرادة غير الأمر عند أهل السنة، (الكلام وضده البكم) يستحيل أن يكون غير متكلم ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف:١٠٩]، فالكلام صفة يستحيل ضدها البكم (السمع وضدها الصم) يستحيل في حقه الصمم، (الإبصار وضده العمى) يستحيل في حقه العمى.

وكل صفة من صفات المعاني السبعة يلزم منها سبع صفات معنوية فيكون سبحانه حيا عليما قديرا مريدا سميعا بصيرا متكلما.

قول المصنف: (لأنه لو لم يكن موصوفًا... بها لكان بالسوى معروفًا) السوى أي إذا لم تثبت له الصفات السابقة لكان عنده شبيه.

قول المصنف: (**وكل ما قام به سواها... فهو الذي في الفقر قد تناها**) وهذه الصفات المستحيلة إذا قامت في موجود كان مخلوقا متصفا بكمال الفقر،

فأنت أيها الإنسان بغير أقدار الله لك عاجز، وبغير إمداد الله لك بالوجود تصير عدما، وبغير إمداد الله لك بآلة الكلام ما تكلمت، وبآلة السمع ما سمعت وبآلة البصر ما أبصرت، فأنت مفتقر لهذه الأشياء، وبالتالي فكل ما قام به سواها فهو الذي في الفقر قد تناهى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر:١٥].

قول المصنف: (والواحد المعبود لا يفتقر... لغيره جل الغني المقتدر)

لأنه لا وجود لغيره معه فيستمد منه، فلا بد أن يكون مستغني بذاته، لذلك تقول عنه (الغني في ذاته المغني لغيره بإمداده). انتهينا هنا من الصفات الواجبة والمستحيلة وتبقت الجائزة:

وجَـائِـزٌ في حَـقِّـهِ الايجَـادُ	والـتَّـرْكُ والاشْـقَـاءُ والاسْعَـادُ
ومَـنْ يَقُلْ فِعلُ الصَّلاحِ وَجَبا	على الالـهِ قَـدْ أَسـاءَ الأَدَبـا
واجْـزِم أخـي بـرُؤيـةِ الالـهِ	في جـنَّـةِ الخُـلْـدِ بـلا تَنَاهِـي
اذِ الـوُقُـوعُ جـائِـزٌ بالعَـقلِ	وقَـدْ أتَـى بِـهِ دَلـيلُ النَّقلِ

قول المصنف: (وجائز في حقه الإيجاد... والترك والاشقاء والاسعاد)

يجوز في حقه أن يُوجِد أي يخلق الممكن وهو الكون وما فيه أو لا يوجده، فالعلاقة بينه وبين سائر الأكوان علاقة اختيار ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ﴾ [القصص:٦٨]، له أن يخلق وله أن لا يخلق، يُوجد ويعدم، يرفع ويخفض، يميت ويحيي، يقبض ويبسط.

الإيجاد: إذا وجد بالفعل يسمى (تنجيزي حادث) وإذا وجد بالقدرة يسمى (صلوحي قديم).

إذن: الإيجاد له أوجه (وجه صلوحي قديم، ووجه حادث، ووجه متعلق بالجائز). فالتنجيزي الحادث مخلوق، والصلوحي القديم قديم، وأنا أسميه في مصطلحي (المصطلح اليسري) أسمي التنجيزي الحادث التجلي، أي: يتجلى الله على المعدوم بالظهور والخلق فيصير موجودا. فتعلق هذا التجلي بالوجود حادث (فكل تجلٍ حادث والمتجلي قديم) وكل مظهر حادث مخلوق والظاهر قديم، فتتعدد المظاهر بتعدد تجليات المتجلي، فالتجلي حادث والمتجلي قديم.

مثال على ذلك: كلام الله صفة قديمة تجلت على الحروف فظهرت مكتوبه ومقروءة ومسموعة، فالمكتوب والمقروء والمسموع حادث وهو دال على الصفة القديمة وهي الكلام، فهو من جهة الله قديم دال على صفة الكلام وهي قديمة، ومن جهة السامع والقارئ فهو حادث باعتبار أنه بلسان عربي مبين.

قاعدة احفظها (كل صفة فعل تعلقت بمخلوق ليست صفة ذات بل صفة فعل ومظهرها مخلوق دال على الصفة الذاتية قديمة) وهذا هو التجلي والظهور.

مثال على ذلك: العرش مخلوق، قال تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه:٥]، فالاستواء صفة فعل تعلقت بمخلوق، وهنا نرد على من قال إنَّ الرحمن استوى بذاته؛ لأنه جعل الاستواء صفة ذاتية قديمة وهذا ضلال، فالاستواء صفة فعل لأنها تعلقت بحادث مخلوق وهو العرش وليست صفة ذات، إذن فالاستواء تجلٍ حادث معناه كمال اكتمال الملك وكمال القهر،

فهي دالة على قاهر، ودالة على مدلول قديم لكن ظهورها حادث، وهي دالة على القهر فهو قاهر قبل أن يخلق العرش، ودالة على الكمال وهو كامل قبل أن يخلق مظاهر الكمال، ومن يجعل الذات مستقرة على العرش فهو يعبد جسماً ونعوذ بالله من ذلك.

مثال آخر: الرزق: صفة الرزق تعلقت بالمرزوق، ودالة على الرازق؛ فالرزق حادث دال على أن هناك مرزوق وهو حادث، ودال على أنَّ هناك رازق وهو قديم.

مثال آخر: الإحياء: صفة فعل دالة على أنَّ هناك حي قديم، ودال على حادث حي، ودلالته كذلك دلت على أنَّ هناك مميت قديم، وأن هناك ميت حادث.

القهر: دل على أنَّ هناك مقهور حادث وأن هناك قاهر قديم.

قول المصنف: **(الاشقاء والاسعاد)** فهو سبحانه يسعد من يشاء ويشقي من يشاء. لذلك نقول (الدال مخلوق والمدلول قديم) لأن صفة الأفعال دالة على مدلول وعلى فاعل، فالأفعال تتعدد والفاعل واحد قديم، فمهما تعددت التجليات فلا تشغلك عن أحدية الذات وواحدية المتجلي، لذلك قلنا هذا المعنى في صلوات الواحد وصلوات الاحد في الصلوات اليسرية وهي: «اللَّهُمَّ يَا وَاحِدُ فَلَا يَتَعَدَّدُ، يَا مَنْ تَجَلَّيتَ فِي الْمَظَاهِرِ، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، صَلِّ وَسَلِّمْ وبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْواحِدِ، وَعَلَى آلِهِ، عَبْدِكَ الْوَاحِدِ الَّذِي جَعَلْتَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَصَلَّيْتَ عَلَيْهِ لِتُمِدَّهُ بِمَدَدِكَ، فَيَسَعُ الْأَكْوانَ بِتَجَلِّيَاتِ وَاحِدِيَّتِكَ، صَلَاةً أَعْرِفُكَ بِهَا فِي كُلِّ شُئُونِي، وَأَرَاكَ بِهَا أَيْنَمَا تَوَلَّيْتُ، فَلَا أَجْهَلَكَ فِي شَيْءٍ، وَلَا أَنْشَغِلَ بِالْمَظَاهِرِ عَنِ الظَّاهِرِ، وَلَا بِتَعَدُّدِ التَّجَلِّيَاتِ عَنِ الوَاحِدِ.

* اللَّهُمَّ يَا **أَحَدُ** فَلَا يَتَجَزَّأُ، يَا مَنِ احْتَجَبَ بِأَحَدِيَّتِهِ فِي سُرَادِقَاتِ عِزِّهِ، وَظَهَرَ بِوَاحِدِيَّتِهِ فِي صُوَرِ تَجَلِّيَاتِهِ، صَلِّ وَسَلِّمْ وبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْأَحَدِ، وَعَلَى آلِهِ، الَّذِي حَجَبْتَ أَحْمَدِيَّتَهُ فِي ظَاهِرِ مُحَمَّدِيَّتِهِ، وَجَعَلْتَ رُوحَانِيَّتَهُ سِرًّا سَارِيًا فِي الْأَكْوَانِ، بِهَا ظَهَرَتْ، وَبِهَا رُزِقَتْ، وَبِهَا هُدِيَتْ، صَلَاةً لَا تَحْجُبُنِي بِمَظَاهِرِ وَحْدَانِيَّتِكَ عَنْ سِرِّ أَحَدِيَّتِكَ، فَلَا أَعْتَمِدَ إِلَّا عَلَيْكَ، وَلَا أَسْتَعِينَ إِلَّا بِكَ، وَلَا أَعْبُدَ شَيْئًا سِوَاكَ، مَهْمَا تَعَدَّدَتْ وَتَغَشَّتْنِي أَنْوارُ تَجَلِّيَاتِ وَحْدَانِيَّتِكَ، فَلَا كَثْرَةَ تَحْجُبُنِي عَنْ أَحَدِيَّتِكَ، وَلَا وَحْدَةَ تَحْجُبُنِي عَنْ وَحْدَانِيَّتِكَ، يَا وَاحِدُ يَا أَحَدُ يَا فَرْدُ يَا صَمَدُ يَا اللهُ)) ولذلك تجد هذا المعنى واضحًا متجليًا (في كل شيء تجد له آية تدل على أنه الواحد).

ومعنى قول القائل (**واحدٌ لا من قلة**) أي لا يفتقر لأنيس؛ لأن الإنسان لو جلس وحده يستوحش، ويحتاج إلى من يؤنسه، لكنه سبحانه لا يستوحش ولا يفتقر لأنيس.

ومعنى قول القائل (**موجود لا من علة**) أي لا توجد علة لوجوده بل هو علة الوجود، لأنه لو كان هناك علةً لوجودهِ لكانت مرجح لوجوده، ولو تصور وجود المرجح لكان مخلوقا سبحانه وتعالى عن وجود الشريك. إذن: لا علة لوجوده لأنه علة الوجود.

قول المصنف: (ومن يقل فعل الصلاح وجبا... على الاله قد اساء الأدبا).

يرد على المعتزلة والفلاسفة الذين قالوا يجب على الله ان يفعل الاصلح للمخلوق، وجوبًا عقليًا، وكأنهم جعلوا الله مقهوراً بالوجوب العقلي ومجبوراً على فعل الأصلح، والله تعالى لا يجبره شيء ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾

[الأنبياء:٢٣]، ويفعل ما يشاء، وهذه القضية هي التي جعلت الإمام (أبو الحسن الأشعري) وكان معتزلياً أن يتراجع عن اعتزاله، فكان جالساً مع إمام المعتزلة في عصره وهو شيخه (الإمام الجبائي). والشيخ يقول: وجب على الله فعل الأصلح، وبدأ يسوق الأدلة فقال الشيخ أبو الحسن الأشعري: أرأيت إن كان هناك ثلاثة أخوة أحدهما كبر ومات على الإيمان فمات وأدخله الله الجنة، والثاني كبر على الكفر فمات وأدخله الله النار، والثالث مات وهو طفل صغير فأدخله الله الجنة لأنه غير مكلف، فيقول ربنا للصغير لو كبرت لكفرت ولأدخلتك النار ولكن أمتَك صغيراً حتى أدخلك الجنة وهذا الأصلح لك، فقال له يا شيخي لمَ لم يقل الثاني الذي مات على الكفر لربه: لماذا لم تمتني وأنا صغير وجعلتني أكبر فأدخلتني النار، فلِمَ لم تفعل معي الأصلح؟. (فبهت الشيخ الجبائي من السؤال ولم يجب). فتركه أبو الحسن الأشعري وتاب من مذهب المعتزلة بعدما عاش معهم عشرين سنة، فلما تركهم قضى بقية عمره بالرد عليهم فأسس المذهب الأشعري، فالله ﷻ لا يُسأل عما يفعل؛ لأنه يتصرف في ملكه وكل ما سوى الله مملوك لله. بل الحكمة توافق فعله ولا تكون سبباً لفعله، ومن الصلاح والحكمة معاقبة الذي يستحق العقوبة واثابة الذي يستحق الثواب. فلو أراد معاقبة الطائع واثابة العاصي لا يُسأل عن ذلك لأنه هو الذي أمد وأوجد وتصرف في ملكه.

قوله (قد أساء الأدبا) مع الذات العلية؛ لأنه حكَّم عقله عليه وأوجب على الاله ما قال به عقله فجعل عقله فوق الوحي، ونحن قلنا إن الوحي فوق العقل والعقل فوق النفس. ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٩١﴾ [النمل:٩١].

قوله: (واجزم أخي برؤية الإلهِ... في جنة الخلد بلا تناهي)

رؤية الله عز وجل في الجنة والتي اختلفنا فيها مع المعتزلة الذين نفوا رؤية الله.

فالمعتزلة: قالوا إنَّ الرؤية تكون من جسم لجسم والله ليس بجسم، والرؤية تحتاج إلى حيز والله ليس متحيزاً، وإنها تكون في جهة والله ليس في جهة، وإنها تحتاج إلى شعاع ضوء والله لا يفتقر لشيء، وتحتاج إلى الإحاطة والإدراك والله لا يحاط به ولا يدرك، والذي لم يتعلم ولم يجلس إلى العلماء يرى كلامهم جميلاً ومقنعاً؛ ولكن العالم يعلم أنه مردود عليهم لأن النبي ﷺ قال: (ترون ربكم يوم القيامة لا تضامون في رؤيته)[1] مثل القمر ليلة البدر والشمس في الضحى لا سحاب معها. والله يقول في القرآن ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، إذن كيف الجواب؟

أهل السنة: قالوا نحن نثبت رؤية الله ﷻ في الجنة لكنّها غير الرؤية التي نفيتموها، والله يخلق رؤية من غير إدراك ولا إحاطة ولا جهة، فنحن نثبت رؤية خاصة فنراه بغير إدراك ولا إحاطة.

---

(١) رواه البخاري (٥٥٣) عَنْ قَيْسٍ عَنْ جَرِيرٍ قَالَ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً يَعْنِي الْبَدْرَ فَقَالَ إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا ثُمَّ قَرَأَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ قَالَ إِسْمَاعِيلُ افْعَلُوا لاَ تَفُوتَنَّكُمْ، ومسلم (١٤٦٦)، والامام احمد (١١١٢٠) عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنكم سترون ربكم عز وجل» قالوا: يا رسول الله نرى ربنا؟ قال: فقال «هل تضارون في رؤية الشمس نصف النهار؟» قالوا: لا. قال: «فتضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟» قالوا: لا. قال: «فإنكم لا تضارون في رؤيته إلا كما تضارون في ذلك»

واستدلوا على ذلك بالنقل، قال سيدنا موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[الأعراف:١٤٣]، فلا يطلب النبي المعصوم مستحيلاً وإلا وصف بالجهل، وسيدنا موسى عليه السلام يعلم الواجب والمستحيل والجائز في حق الله عز وجل، فلو كانت الرؤية محالة ما طلبها موسى عليه السلام، ثم إنَّ الله علقها على جائز، فقال: ﴿انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾[الأعراف:١٤٣]، فلما علقها على جائز وطلبها موسى، قال له لن تراني على هيئتك هذه، لكني أخلقك في صورة أخرى في البعث والنشور فتكون صالحًا لرؤيتي.

لذلك قال ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الأعراف:١٤٣]، أي المصدقين بعدم استطاعتي رؤيتك الأن، ولم يقل أول المسلمين لأن النبي ﷺ أول المسلمين. ولم يقل أحد أنا أول المسلمين غيره ﷺ، أما في آخر سورة النمل ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾[النمل:٩١]، لماذا؟ لأن الكلام هنا على لسان الظهور المحمدي البشري لقوله (رب هذه البلدة) وكان من المسلمين باعتبار الشخص المحمدي، أما باقي القرآن تكلم عن الروحانية المحمدية وأنه أول المسلمين باعتبار روحانيته.

إذن: المعتزلة أنكروا كل الأحاديث الصحيحة التي تثبت الرؤية حتى وإن كانت في صحيح البخاري، وفسروا قوله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٣] أي منتظرة الثواب كما فسره الزمخشري في الكشاف.

فهم يتلاعبون في اللغة وينكرون الحديث، وبما أنَّ القرآن حمَّال أوجه، فالسنة توضح القرآن وأهل البدع ينكرون السنة، وقال الذين ردوا على

الزمخشري أنَّ تفسيره من حيث اللغة جائز ولكنه خالف المعنى الحقيقي الذي وضّحه الحديث فتفسير هذه الآية مردود. لذلك قال سيدنا عمر رضي الله عنه: (خذوا الناس بالسنن ولا تأخذوهم بالقرآن فالقران حمّال أوجه) لأن السنن تبين المجمل.

قول المصنف: (اذ الوقوع جائز بالعقل... وقد أتى به دليل النقل)

دليل عقلي على جواز الرؤية في الآخرة: إنَّ الله موجود وكل موجود يُرى، فسيخلقهم بصورة جديدة يصلحون أن يرونه على قدرهم، فكل واحد يرى الله في الآخرة على قدر مرتبته. فرؤيانا له ليست كرؤية سيدنا محمد ﷺ فكلٌ على حساب كمال إيمانه وعلى وفق الربوبية القائم بها في كل عبد ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد:٣٣]، فالتجلي بالرؤية على قدر حال المتجلّى عليه، فهو يتجلى على قدرك لا على قدره، لأنه لو تجلى على قدره لقهرك، فأنت كالإناء تستوعب قدراً معينًا فيعطيك رؤية على قدر اناءك ومرآتك فاذا اتسع الاناء اتسعت الرؤية.

قول المصنف:

وصِفْ جَميعَ الرُسْلِ بالأَمَانَهْ	والصّدْقِ والتَّبْليغ والفَطَانَهْ
وَيَسْتَحيلُ ضِدُّها عَليهم	وجَائِزٌ كَالأَكْلِ في حَقِهم
إِرْسَالُهُم تَفَضُّلٌ ورَحمَةْ	للعالَمِينَ جَلَّ مُولى النّعِمةْ

وصف جميع الرسل (بالأمانة والصدق والتبليغ والفطانة) ومجموع هذه الاربع هي (العصمة) أي محفوظون في أفعالهم وأقوالهم وقلوبهم من فعل ما لا يليق قبل البعثة وبعدها.

الدليل العقلي لذلك: لأن الله أرسلهم لنقتدي بهم ونهتدي بأقوالهم وأفعالهم، فلو صح منهم وقوع الحرام لأمرنا باتباع هذا الحرام وهذا محال أن يضللنا الله على أيديهم وهم الرسل. والأفعال للاقتداء والأقوال للهداية، فيستحيل أن يقولوا خلاف الهداية وأن يفعلوا خلاف الطاعة.

فالأمانة: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ [الشعراء:١٠٧]، ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ [الحاقة:٤٠]، كريم على الله في النسب فهم من أعلى الأنساب، وهم من أعلى الأحساب، وهاتان الصفتان تقتضي أنهم كرماء عند الناس. وعند الله بالتقوى فهم أعلى الناس، فالأمانة ضدها الخيانة والصدق ضده الكذب. فيستحيل على النبي الخيانة والكذب؛ لأنه لو كذب النبي قبل النبوة كذبة واحدة لقالوا له عندما يقول لهم أنا رسول الله هذه كذب كما كذبت علينا من قبل في يوم كذا في حادثة كذا.

لذلك إذا أطلق الصادق الامين قبل البعثة انصرفت للنبي ﷺ. حتى أنه لما أمر أن يُنذر عشيرته الأقربين لم يأتي بالمعجزة أولاً ثم التبليغ كما هو حال بقية الأنبياء قبله.

لأن المعجزة: شيء خارق للعادة تأتي على يد النبي أمارة من الله ﷻ على صدقه، فيصدقه الناس وهي من الله الذي هو على كل شيء قدير، كما حصل مع سيدنا موسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأعراف:١٠٦-١٠٨]. لكن نبينا ﷺ في بداية تبليغه احتج عليهم (بأنه جمع قومه وقال يا معشر قريش وابتدأ ينادي بطون قريش يا بني

هاشم، يا بني عبدالمطلب، يا بني فلان، ثم قال يا فاطمة كرمز لأبنائه ثم عمته وعمه فقال: لو أخبرتكم أنَّ بهذا الوادي جيشـًا مغيراً عليكم أكنتم مصدقي وهم ينظرون أنه ليس في الوادي جيش، قالوا ما عهدنا عليك كذبـًا قط، نصدقك أكثر من أن نصدق أعيننا) أي نصدق برؤية عينيك أكثر من رؤية أعيننا فكان صدقه برهانه الأول قال لهم إني ﴿نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ [سبأ:٤٦]، وكأنه يقول لهم كما أنَّ العذاب غيبٌ وأنا أراه، وهو شبيه بالجيش الموجود الذي اخبرتكم به وهو غيبٌ لكم وأنتم صدقتموني فيه فصدقوني في هذا، وهذا يدل على الفطانة والذكاء وإقامة الحجة على الخلق؛ ويستحيل أن يكون الرسول بليداً، لأنه جاء لإقامة الحجة، وإقامة الحجة تقتضي الذكاء وقوة العبارة وإقناع المجادل، فكان صدقه ﷺ المعجزة الأولى لذلك قال: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس:١٦]، أي عشت معكم أربعين سنة وأنتم تثقون بي فلماذا تكذبوني الأن، ثم جاءت معجزة النبي ﷺ (القرآن) فأعجزهم به، فكانت رسالته هي عين معجزته، ومعظم معجزات الأنبياء حسية انقضت بموتهم، فالقرآن هو المعجزة المستمرة إلى الأبد، فأعجزهم بالقرآن وأخبرهم بالغيوب السابقة واللاحقة والقريبة والبعيدة وأعجزهم ثم تحداهم وهم أهل اللغة والفصاحة والبلاغة والبيان فقال أتوني بحديث مثله أو عشر سور أو سورة قصيرة فلم يستطيعوا. وتحدى الإنس والجن إلى قيام الساعة منفردين أو مجتمعين في كل عصر وفي كل مصر إلى يوم القيامة فعجزوا، فحاربوه ثم لم يكتفِ الله عز وجل مع هذا النبي ﷺ بهذه المعجزة العجيبة الدائمة على مر العصور، بل أعطاه معجزات حسية، ورويت بالأسانيد الصحيحة التي تصل إلى درجة التواتر المعنوي.

مثل (نبع الماء من بين أصابعه الشريفة) عند فقد الماء، فهي معجزة عجيبة رآها كل من رأى النبي ﷺ، حتى قال ابن تيمية إنها حدثت أكثر من ألف مرة، ولم تحصل لنبي قط قبله فإن سيدنا موسى عليه السلام ضرب الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، وهذه معجزة لكنها خرجت من الحجر، والماء يخرج من جنس الأرض، ومعجزة النبي ﷺ ماء خرج من بين دم ولحم على خلاف العادة، ثم (تكثير الطعام القليل) فالقليل من الطعام يأكل منه جيشٌ كبير ثم (كلم الشجرة) ودعاها فجاءت اليه على ساق بلا قدم و(كلم الضب) و(تشتكي له الغزال والجمل) ويفهم لغة الحيوان و(تسبح بيده الحصا بصوت مسموع)، و(الإسراء والمعراج في جزء من الليل) ويعرج بجسده وروحه، فهو أكثر الأنبياء معجزات على الاطلاق، و(يتفل بالبئر المر يصبح حلواً) و(يضع ماء وضوئه في بئر فيفور ويتفجر إلى يومنا هذا)، و(يخبر بالغيوب بموت النجاشي يوم وفاته وهو في الحبشة)، وأخباره بموت كسرى وقال لجنوده إنَّ ربي قتل زعيمكم الليلة وسلط عليه ابنه (أنو شروان) فأسلم بازان كسرى وعامله على اليمن، وإخباره بأخبار الأولين والأخرين وسائر الأنبياء في القرآن الكريم، وفي دلائل النبوة للأمام البيهقي في ثمان مجلدات وكتاب الشفا وألفت كتب تحدثت عن كثير من معجزاته فهي لا تعد ولا تحصى.

فالنبي: رجلٌ من بني آدم صادقٌ أمين يخبر بأنه رسولٌ ويأتي بالمعجزة ويخبر بالغيب. ويشترط فيه الذكورة وكونه بني آدم، لأن وظيفته تتطلب عليه الاختلاط بالناس وأحسانا الجهاد في سبيل الله، ولا يكون امرأة؛ لأن المرأة وظيفتها الستر والخجل من الاختلاط بالرجال وهي مشغولة بحيضها

وحملها ورضاع مواليدها، ونبينا ﷺ قال: «لا نبي بعدي»[١] والى الأن كل من ادعى النبوة كذبـًا يفضحه الله ويخزيه، فلقد أخبرنا عن كل شيء ﷺ، أخبر بالغيوب في حال حياته ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾ [الروم:٢-٤]، وبضع سنين من ثلاث إلى تسع سنوات، فأنتصر الروم على الفرس في السنة التاسعة، وقال في أصحابه كقوله في أبي بكر رضي الله عنه: «يموت الصديق وسيدنا عمر وعثمان شهداء»[٢] وعن سيدنا الحسن عليه السلام قال: «إنه سيصلح الله به طائفتين من المسلمين»[٣] ويقول لسيدنا علي عليه السلام: «أشقى الناس الذي عقر ناقة صالح والذي يضرب هذه الجبهة»[٤]، وحدث أنَّ قتل سيدنا علي عليه السلام مضروبـًا على جبهته، ويقول:

(١) البخاري (٣٤٥٥) عن فُراتٍ القزازِ، قال: سمِعتُ أبا حازِمٍ، قال: قاعدتُ أبا هُريرة خمس سِنِين، فسمِعتُهُ يُحدثُ عنِ النبِي صلى اللهُ عليهِ وسلم، قال: «كانت بنُو إِسرائِيل تسُوسُهُمُ الأنبِياءُ، كُلما هلك نبِي خلفهُ نبِي، وإِنهُ لا نبِي بعدِي، وسيكُونُ خُلفاءُ فيكثُرُون» قالُوا: فما تأمُرُنا؟ قال: «فُوا بِبيعةِ الأولِ فالأولِ، أعطُوهُم حقهُم، فإِن الله سائِلُهُم عما استرعاهُم»، مسلم (١٨٤٢)، أبو داود (٤٢٥٢)، الترمذي (٢٢١٩).

(٢) البخاري (٣٢٧٥) حدثنِي مُحمدُ بنُ بشارٍ، حدثنا يحيى، عن سعِيدٍ، عن قتادة، أن أنس بن مالِكٍ رضِي اللهُ عنهُ، حدثهُم أن النبِي صلى اللهُ عليهِ وسلم صعِد أُحُدًا، وأبُو بكرٍ، وعُمرُ، وعُثمانُ فرجف بِهِم، فقال: «اثبُت أُحُدُ فإِنما عليك نبِي، وصِديقٌ، وشهِيدانِ»، الترمذي (٤٦٥١)، الترمذي (٣٦٩٧)، احمد (٢٢٨١١).

(٣) البخاري(٣٦٢٩) عن أبِي بكرة رضِي اللهُ عنهُ، أخرج النبِي صلى اللهُ عليهِ وسلم [ص:٢٠٥] ذات يومٍ الحسن، فصعِد بِهِ على المِنبرِ، فقال: «ابنِي هذا سيدٌ، ولعل الله أن يُصلِح بِهِ بين فِئتينِ مِن المُسلِمِين»، أبو داود (٤٢٩٠)، الترمذي (٣٧٧٣)، النسائي (١٤١٠).

(٤) البزار في مسنده (١٤٢٤) حدثنا الحسنُ بنُ يحيى، قال: نا حفصُ بنُ عُمر، قال: نا بكارُ ابنُ أخِي مُوسى بنِ عُبيدة، عن مُوسى بنِ عُبيدة، عن عبدِ اللهِ بنِ عُبيدة، عن عمارٍ، أن النبِي صلى اللهُ عليهِ وسلم قال لِعلِي: «إِن أشقى الأولِين عاقِرُ الناقةِ، وإِن أشقى الآخِرِين لمن يضرِبُك ضربةً على هذِهِ»، وأومأ إلى رأسِهِ، «يُخضبُ هذِهِ»

«الخلافة الراشدة ثلاثون عاماً وبعدها ملك عضود»[1]، وحدثت ٢٩ سنة وستة أشهر في موت سيدنا علي عليه السلام ثم ستة أشهر خلافة سيدنا الحسن عليه السلام حتى تنازل لمعاوية رضي الله عنه فصارت ثلاثين عاماً كما قال. وهكذا أخبرنا ﷺ بعلامات القيامة الصغرى والكبرى، وكل هذا الذي أخبر به هو من عند الله عز وجل لذلك قال: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأحقاف:٩]، أي لا أدري بذاتي ولكن أدراني ربي من خلال ما يوحى إليَّ، فعلمت أنَّ الله قد غفر لي وأنا أول شافع، وأول مشفع، وأنا سيد ولد آدم[2]، «وعرفت كل شيء»[3]، فنفى الدراية الذاتية وأثبت الدراية والمعرفة من الله ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعراف:١٨٨]، وقد شاء الله فضر به الكافر ونفع

(١) الطبراني في المعجم الكبير (٦٤٤٣) عن سفينة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك»

(٢) مسلم (٤٦٧٣) حنا عمرو بن عثمان حدثنا الوليد عن الأوزاعي عن ابي عمار عن عبد الله بن فروخ عن ابي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (أنا سيد ولد آدم وأول من تنشق عنه الارض وأول شافع وأول مشفع). وابو داود (٤٦٧٣) والترمذي (٣١٤٨) وابن ماجة (٤٣٠٨) واحمد (١٠٩٧٢).

(٣) الترمذي رقم (٣٢٣٣) حدثنا سلمة بن شبيب وعبدُ بن حميد قالا: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن ابن عباس قال: قال رسول الله: (أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة فقال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا. فوضع يده على كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السماوات وما في الأرض: فقال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم. في الكفارات والدرجات والكفارات المكن في المسجد بعد الصلوات والمشي على الأقدام إلى الجماعات واسباغ الوضوء في المكاره. قال صدقت ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان خطيئته كيوم ولدته أمه. وقال: يا محمد إذا صليت فقل: اللهم اني اسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفر لي وترحمني وتتوب علي واذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني اليك غير مفتون والدرجات: افشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام) الترمذي بلفظ (فتجلى لي كل شيء فعرفت) برقم (٣٢٣٥) و أحمد (٣٤٤٨).

المؤمن، ففريق في الجنة وفريق في السعير، حيث قال ﷺ :«كل الناس يدخل الجنة إلا من أبى قالوا ومن يأبى يا رسول الله قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»[1] فقد ضر ونفع، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[الكهف:١١٠]، ويقف عندها المعترض ولا يكمل قوله: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف:١١٠]، فليس كل بشر يوحى إليه. فتأتي بكمال الآيات حتى تفهم العبارة، فلا تقف في قراءتك على مكان يعطيك وصفا باطلا، ولا تصل في مكان يعطيك معنى باطلا، لذلك هناك علم اسمه (علم الوقف والوصل في التلاوة)، ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس:٦٤]، فلو قرأناها بهذا الشكل فهم منها معنى باطل وهو حزن النبي ﷺ لسماعه أنَّ العزة لله جميعاً وحاشاه، فنأتي بالوقف ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ﴾ أي الكفر ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ تقرير معنى جديد.

إذن: فيها رد على من يقول إنه بشر مثلنا، ولم يكملوا قوله تعالى ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[الكهف:١١٠]، أي: متصل بالله ﷻ ومتصل (بالحق المطلق) لذلك وصفه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم:٣-٤]، ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم:١٧]، وهو القائل ﷺ :«ما يخرج من فمي إلا حقـًا»[2] في الفرح والحزن والغضب والرضا والرخاء والشدة، معصوم

---

(١) البخاري (٧٢٨٠) عن أَبِي هُرَيرة أن رسُول اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم، قال: «كُل أُمتِي يدخُلُون الجنة إِلا من أبى»، قالُوا: يا رسُول اللهِ، ومن يأبى؟ قال: «من أطاعنِي دخل الجنة [ص:٩٣]، ومن عصانِي فقد أبى».

(٢) ابو داود (٣٦٤٦) « حدثنا مسعود وابو بكر بن أبي شيبة قالا: حدثنا يحيى عن عبدالله بن الاخنس عن الوليد بن عبدالله بن ابي مغيث عن يوسف بن ماحك عن عبدالله بن عمرو قال: كنت اكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ اريد حفظه فنهتني قريش وقالوا: أتكتب كل شيء سمعته ورسول

في أحواله وأقواله وأحكامه وتصرفاته وسلوكه فأعجز الخلق بلوغ مداه. ويكفيك أن لواء الحمد بيده تحته آدم ومن عداه. والأنبياء مقامهم عالٍ وأن المعجزة جاءت تصدق ما جاؤوا به.

هناك بعض الآيات في ظاهرها أنَّ الأنبياء خالفوا مخالفات يجب أن نفهم تأويلها من علماء أهل السنة بأمثلة.

مثال ذلك: في سورة النمل: ﴿ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا ﴾، [النمل: ١٠-١١].

إذا قلنا إن (إلا) أداة استثناء متصل صار المعنى إلا من ظلم من الرسل وأثبتنا الظلم للرسل، فلا بد أن نؤولها (إلا من ظلم من أتباعهم) وتكون (إلا) استثناء منقطع. وفي اللغة العربية هناك استثناء متصل، واستثناء منقطع، فالمتصل يُستثنى من السابق، والمنقطع يعطيك معنى جديد.

مثال آخر: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢]، ونسب الذنب له، كيف وهو معصوم ولا ذنب له، فهل يغفر له شيئ غير موجود فهذا (تحصيل حاصل) وتحصيل الحاصل من المحالات العقلية والقرآن منزه عن هذا الأمر، فلا بد من تأويل لهذه الآية (فكاف الخطاب) معناها الذنب الذي وقع في حقك لا الذي وقع منك، الذنب الذي وقع عليك ممن كذبوك فغفرته لهم، فدخلوا في دين الله أفواجاً. لأن دعاء النبي ﷺ لهم: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» فغفر الله ذنوبهم ببركة هذه الدعوة، فامتن الله على

الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضى فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بإصبعه إلى فيه فقال: (اكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه الا حق). الطبراني (١٤٢٦٤) أبو شيبة (٢٦٤٢٨).

نبيه في إجابة دعوته في الكفار، فما بالك بإجابة دعوته بأمته. فجاءت من باب المنة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:١-٢]، أي الذنب الذي وقع في حقك من قبل الكفار قبل الهجرة فهجَّروك ومن بعد الهجرة حاربوك وقاتلوك، وهذا هو الفتح المبين أن يجعل أعداءه هم جنده الذين يقاتلون معه.

إذن (الكاف) مفعول به وليس فاعلا من إضافة المصدر إلى مفعوله، (ذنبك) أي الذنب الواقع في حقك؛ لأنه يجوز في اللغة أن يضاف المصدر إلى مفعوله كما يضاف إلى فاعله.

ولذلك أمثلة في القرآن الكريم في سورة الشورى ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾[الشورى:٤١]، أي الظلم الواقع في حقه فالضمير المتصل (الهاء) مفعول به، فيجوز اضافة المصدر إلى مفعوله، وفي سورة المائدة

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ﴾ [المائدة:٣٩]، أي الظلم الذي ارتكبه، فهنا أضاف المصدر إلى فاعله. إذن فقد جاء في القرآن اضافة المصدر إلى مفعوله واضافة المصدر إلى فاعله.

مثال آخر: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد:١٩]، أي الذنب الواقع في حقك من الذين كفروا بك، واستغفر أيضًا للمؤمنين والمؤمنات الذين آمنوا بك، لذلك كان يقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». والامثلة كثيرة في القرآن.

مثال آخر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾[الأحزاب:١]، وهو ﷺ إمام المتقين، ولم يطع الكافرين والمنافقين فيما دعوه اليه، فمعنى

الآية: استمر على ما أنت عليه من التقوى، واستمر على ما أنت عليه من عدم طاعتهم ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ [القلم:٩]، فلم يدهن ولم يقترب.

مثال آخر: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۖ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ۝٧٣ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۝٧٤﴾ [الإسراء:٧٣-٧٤].

كاد: فعل منفٍ بغير أداة نفي، كقولك (كدت أقع) يعني لم أقع (كدت أموت) يعني لم أمت فيصير المعنى (أي لم يفتنوك عن الذي أوحينا اليك) و (لم تركن إليهم شيئًا قليلاً) فهو أبعد ما يكون عن الركون. فكاد: منفي في حال اثباته. لولا أن ثبتناك (عصمناك) من فعل ما لا نريد.

مثال آخر: قول موسى ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء:٢٠]، وقوله لسيدنا محمد ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب:٣٧]، وقوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى:٧]، وقوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١﴾ [عبس:١]، وما جاء في آدم ولوط ونوح وإبراهيم وداود وسليمان وهكذا، وكل الآيات المتعلقة بالأنبياء.

فمن كانت عقيدته سليمة بالأنبياء سيفهم الفهم الصحيح فيما يتعلق بالأنبياء.

مثال آخر: **سيدنا أيوب**: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص:٤١]، الشيطان ليس له سلطان على الأنبياء والصالحين، والله يقول: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر:٤٢]، فيجب أن تعرف المعنى الصحيح الذي يليق بمقام النبوة ومرافقة أهل الترقي حتى تترقى بترقيتهم، فإذا رافقتهم

ترقيت معهم وبهم لأنهم معراج الترقي. وإن شاء الله سوف سنفرد ذلك في مؤلف خاص لبيان الآيات المتشابهات في حق الأنبياء.

فالأمر الخارق للعادة يكون معجزة تأتي على يد النبي مع التحدي، وإن جاءت قبل بعثة النبي تسمى (ارهاصـًا) واذا جاءت على يد عبد صالح تسمى (كرامة)، فالنبي مبلغ عن ربه مباشرة، والولي مبلغ عن ربه بواسطة النبي، وقد يأتي الأمر الخارق على يد إنسان مستور الحال خلط عملاً صالحـًا وآخر سيئا فيسمى (معونة)، وقد تأتي على يد الكافر الفاجر وتسمى (استدراج) ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ [القلم:٤٥]، كما سيحصل مع الدجال الذي يعمل أشياء خارقة وهو كافر. وقد تأتي على خلاف المتوقع وتسمى (إهانة) كما حصل لمسيلمة الكذاب عندما قالوا له إنَّ محمداً ﷺ تفل في البئر فصار عذبـًا، فتفل مسيلمة الكذاب في البئر فصار أشد مرارة فهي (إهانة).

قول المصنف: (ويستحيل ضدها عليهم... وجائزٌ كالأكل في حقهم)

(الأمانة وضدها الخيانة) (الصدق وضده الكذب) (التبليغ وضده الكتمان)، فيستحيل الكتمان لما أُمر أن يبلغ به لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة:١٥٩].

ولا يكتمون لأن الله تعالى قال لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة:٦٧]، أي لو كتمت شيئـًا واحداً فما بلغت رسالته؛ لذلك بلَّغ أموراً كان يستحي منها ولولا أنه أومر بتبليغها ما بلغها لشدة حياءه وتواضعه، كقوله (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) أي لا أفخر

به على الناس تباهيا ولكنه محض تبليغ لما أراد الله أن يظهره واعترافا بفضل الله عليه ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ١١﴾ [الضحى:١١]، (الفطانة وضدها البلادة والغباء) يستحيل في حقهم وإلا اتصفوا بالبلادة وعدم الحكمة.

ومن لوازم الفطانة والفصاحة وحسن البيان وما ورد عن سيدنا موسى عليه السلام أنه أصيب وهو صغير بلدغة في لسانه؛ لأنه احترق لسانه بسبب القصة المعروفة، وهي أنَّه شدَّ لحية فرعون وهو صغير، فقال الكهنة مادام شد لحيتك سيزول ملكك على يده، فقال فرعون إذن أقتله، فقالت آسيا رضي الله عنها وكانت تحب سيدنا موسى عليه السلام لا تصدق الكهنة، وهذا طفلٌ صغير لا يعرف ما يفعل، فأجرى له اختبار ووضع (جمرة وتمرة) فلمس بلسانه الجمرة فاحترق لسانه فأصيب بلدغة، فلما أرسله الله إلى فرعون قال: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ٢٧﴾ [طه:٢٧]، فأجابه ربه ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦﴾ [طه:٣٦]، فلما ذهب لفرعون كان في منتهى الفصاحة، والمتتبع لآيات القرآن يجد أن كل الحديث صار بين موسى عليه السلام وفرعون.

قول المصنف: (جائزٌ كالأكل في حقهم) الجائز في حقهم مقتضيات البشرية، فيمرض ويجوع ويتعب وينام ويأكل ويشرب ويفرح ويحزن ويتزوج وينجب ويُجرح ويموت، ويمرض مرضا غير منفر وغير معدي وغير مزري والذي لا يترك عاهة، وموتهم هو انتقال إلى حياة أوسع من هذه الحياة ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾ [البقرة:١٥٤]، لا تقل بلسانك أنه مات، ولا تحسبن بعقلك أنه مات ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ١٦٩﴾ [آل عمران:١٦٩]، أي: لا تتصورها بعقلك ولا

تقلها بلسانك، وهذه للشهداء فكيف بالأنبياء. والموت: الانتقال، والميت: المنتقل، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر:٣٠]، أي لن يبقى معهم في مدة الدنيا، فسيحجب عنهم بالانتقال إلى برزخه لذلك قال (اخترت الرفيق الأعلى) ولم يقل اخترت الموت، ففي الظاهر موت وفي الحقيقة ترقٍ وحياة أكمل، والله قال لا تنظر للظاهر ولا تقل مات، وقال الله: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾[آل عمران:١٤٤]، ألم يعرف ربنا أنه سيموت أو يقتل؟؟ أم يقول هذا من باب الإخفاء؟ أم يقول هذا من باب الإعجاز؟ يموت في الظاهر مقتول في الحقيقة بسبب أكل سم أكلة خيبر وتكون (أو) بمعنى (بل) لتشكيك، فلأنبياء بشر كُمَّل مخصوصون في حياتهم الدنيا، وينتقلون بالموت إلى حياة أكمل تليق بمقامهم؛ لأنهم أفضل من الشهداء بداهة، والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، فحياة الأنبياء في قبورهم لا يشك فيها إلا جاهل بليد الطبع، بل قد ورد عنه ﷺ أنه قال (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون)[1].

قول المصنف: (ارسالهم تفضل ورحمة... للعالمين جل مولى النعمة)

أي ليس واجب على الله أن يرسل الرسل كما ذهبت اليه المعتزلة، الذين أوجبوا على الله فعل الأصلح، وقد أخطأوا، فإرسال الرسل تفضل ومنة ورحمة، وليس واجبا على الله، فهو تعالى أنعم علينا نعمـًا كثيرة فجعل لنا عقلاً وأرسل إلينا الوحي ليكون قائداً للعقل حتى لا يضل العقل. وبذلك يكون انتهينا من قسم النبوات بعد قسم الألوهيات ويبقى بعد ذلك قسم السمعيات.

(١) أخرجه ابن ابي يعلى (٣٤٢٥) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ» إسناده صحيح، والبزار (٦٨٨٨)، وحديث أنس أيضـًا عند مسلم (٢٣٧٥) وغيره مرفوعـًا: «مررت على موسى ليلةَ أُسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره».

قصة: حكي أنَّ القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي قاضي قزوين دخل عند ابن عباد وزير المعز وكان عنده أبو اسحاق الإسفراييني إمام أهل السنة في زمانه وهو من المجددين في المذهب الشافعي فقال عبد الجبار (سبحان من تنزه عن الفحشاء) ففهم الاسفراييني قصده فقال (سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يريد) فقال المعتزلي أيريد ربك أن يعصى؟ فقال السني أيعصى ربنا قهراً!!!!، فقال المعتزلي أرأيت إن منعني الهدى وقضى عليَّ في الردى أحسن الي أم أساء؟ فقال السني إن منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له فالمالك يفعل في ملكه ما يشاء، فانصرف الحاضرون وقالوا ليس بعد هذا جواب والله كأنه ألقم حجراً.

قصة أخرى: بين أهل السنة (الإمام الغزالي) والمعتزلة (الزمخشري) قال الزمخشري الاستواء صفة ذاتية وأنه حقيقي واستوى بذاته على عرشه وجلس.

فرد الإمام الغزالي عليه شعراً:

قل لمن يفهم عني ما أقول	قَصُرَ القول فذا شرحٌ يطول
ثَّم سرٌ غامضٌ من دونه	ضربت والله أعناق الفحول
أنت لا تعرف إياك ولا تدري	من أنت ولا كيف الوصول
لا ولا تدري صفات ركبت	فيك حارت من خفاياها العقول
أين منك الروح في جوهرها	هل تراها وترى كيف تجول
وكذا الأنفاس هل تحصرها	لا ولا تدري متى عنك تزول
أين منك العقل والفهم إذا	غلب النوم فقل لي يا جهول

أنــت أكــل الخـبـز لا تعرفه كيف يجري منك أم كيف تبول

فــإذا كـانـت طـوايـاك الـتي بـين جنبيك كـذا فيها ضلول

كيف تدري من على العرش استوى لا تقل كيف استوى كيف النزول

كيف يحكي الرب أم كيف يرى فلعمري ليس ذا إلا فضول

فـهـو لا أيــن ولا كـيـف له وهو رب الكيف والكيف يحول

وهــو فـوق الـفـوق لا فـوق له وهـو في كل النواحـي لا يـزول

جــلَّ ذاتــاً وصـفـاتـاً وسما وتـعـالى قــدره عـمـا نـقـول

هذه أبيات وجب على كل طالب علم أن يحفظها، لذلك فإن علماء الصوفية يقولون (انظر إلى نفسك من نقص، تعلم ما في الله من كمال) فتنظر لنفسك من جهل تعلم بأنه ﷻ عالم، وتنظر لنفسك من نقص فتعلم بأنه كامل، ومن العجز تعلم بأنه قدير، ومن الإرادة تعلم بأنه مريد، ومن الحياة تعلم بأنه حي، ومن الكلام تعلم بأنه متكلم، ومن السمع والبصر تعلم بأنه سميع بصير.

قبل أن ننتهي من النبوات هناك نقطة مهمة نوضحها في النبوات:

أولاً: الأنبياء منهم من قصهم الله علينا، ومنهم من لم يقصصهم علينا ونؤمن بهم جميعًا، أما من حيث التفاضل عند الله فقد فضل بعضهم على بعض ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٥٣]، فالتفاضل من حيث الخصائص لا من حيث صفات الأنبياء، فكلهم في الصدق والتبليغ والأمانة والفطانة سواء، أما هم متفاضلون فيما بينهم، وأن مذهب أهل السنة أنَّ سيدنا محمد ﷺ أفضل الخلق على الإطلاق والأدلة كثيرة. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وكل ما

سوى الله عالم، والنبي أرسل اليهم، فافتقرت العوالم إلى النبي ونبينا لم يفتقر إلا إلى الله. ثم أنَّ الله خلق خلقًا كثيراً ولم يصل على أحد إلا نبينا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾[الأحزاب:٥٦]، فهذه الآية تبين أنَّ نبينا أفضل العالمين.

وفي هذا رد على المعتزلة الذين يقولون أنَّ جبريل أفضل من سيدنا محمد ﷺ، فجبريل عليه السلام من العوالم وسيدنا محمد ﷺ رحمة للعالمين، وهو يصلي مع الملائكة على سيدنا رسول الله حتى يستمد منه. وابن حزم الظاهري توقف في أفضلية نبينا وجبريل، قال: هما أفضل الخلق ولم يرجح أحدهما على الأخر، لذلك رد صاحب جوهرة التوحيد فقال: (نبينا أفضل الخلق على الإطلاق فمل عن الشقاق) رداً على ابن حزم والزمخشري. ولك أن تنظر أنه في المعراج جاوز مقام سيدنا جبريل عليه السلام، ولقد أمَّ الأنبياء كلهم فظهرت أفضليته، لذلك قال الشيخ خطاب السبكي:

نبينا لو لم يكن أفضل الورى ما أمَّ في أرض ولا أمَّ في سما

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات:١٣]، وسيدنا محمد يقول (أنا أتقاكم لله) إذن هو أكرم الخلق عند الله.

قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ١٦٦﴾[النساء:١٦٦]، ولم يشهد الله برسالة نبي بنفسه إلا برسالة نبينا ﷺ فهو أفضل الخلق على الإطلاق عقيدة جازمة.

ومن الأفضل بعد نبينا؟ استقر الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة (الأشاعرة والماتريدية)، يليه سيدنا إبراهيم ثم سيدنا موسى ثم سيدنا عيسى ثم سيدنا نوح (عليهم السلام)، وهم أولوا العزم من الرسل، ثم باقي الرسل ثم الأنبياء الذين ليسوا برسل ثم جبريل ثم إسرافيل وميكائيل وعزرائيل ثم خواص الملائكة ثم خواص المؤمنين ثم عوام المؤمنين ثم عوام الملائكة.

وخواص المؤمنين: أفضلهم سيدنا ابو بكر ثم سيدنا عمر ثم سيدنا عثمان ثم سيدنا علي ثم باقي العشرة ثم أهل بدر ثم أهل البيعة ثم باقي الصحابة (رضي الله عنهم) السابقين المهاجرين والأنصار أفضل من مسلمي فتح مكة وما بعد ذلك.

والأنبياء الذين نعرفهم بالاسم خمسة وعشرون نبيًا، ثمانية عشر منهم في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام:٨٦]، والسبعة الباقون (أسيادنا محمد وآدم وصالح وهود وشعيب وإدريس وذو الكفل) صلى الله عليهم أجمعين. وأربعة مختلف في نبوتهم (لقمان وذو القرنين والخضر وعزير) فلقمان الراجح فيه أنه عبد صالح وليس نبيًا أما عزير والخضر الراجح أنها نبيان بدليل قتله للغلام والقتل لا يكون بالإلهام بل يكون بالوحي، والوحي أمر من الله لنبي أما الإلهام فللولي، ولا يفعل به المحرم وهو القتل لكن النبي يفعل لأن الله

أمره بالوحي كما أمر سيدنا إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه سيدنا إسماعيل عليه السلام. أما ذو القرنين فعبد صالح وقائد حربي تابع لنبي وهو ليس الاسكندر المقدوني لأن المقدوني كان كافراً والراجح أنه (قورش الفارسي) قبل الاسكندر بمئتي سنة وهو فتح البلاد وعمل العملة المعدنية لذلك سميت قرش وكان يلبس خوذة فيها قرنان، قرن يشير للمشرق وقرن يشير للمغرب.

ومن المهم لكل مسلم أن يدرس فضائل سيدنا محمد ﷺ وأنصحكم بكتاب الشفا للقاضي عياض، ولنا عليه شرح مسموع على شبكة الأنترنت، وكتاب الشمائل المحمدية للإمام الترمذي، وأيضًا الخصائص الكبرى والمواهب اللدنية للقسطلاني وشرحه للأمام الزرقاني وأيضًا دلائل النبوة للبيهقي.

فعليك أن تتعرف على نبيك في زمان الفتن؛ لأن أهل الفتن يكثرون الشبهات حول النبي فلا بد أن تتعرف عليه ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المؤمنون:٦٩]، فعدم معرفتك للنبي تؤدي إلى إنكاره. والنبي ﷺ أرسل للعالمين، والإمام السيوطي صنف رسالة في إرسال النبي للملائكة أيضًا، كما أُرسل للإنس والجن. ولا نبي بعده، وأنَّ سيدنا عيسى عليه السلام لا ينزل آخر الزمان بشرع جديد بل تابعًا لنبيناﷺ. وأن نبينا هو الذي أرسل إلى العالمين أصالة، أما سيدنا نوح عليه السلام فأُرسل إلى العالمين اتفاقًا، حيث إنه غرق كل من على الأرض ولم يبق إلا قوم نوح عليه السلام، ونبينا أُرسل للعالمين في زمانه وسائر الأزمان. ونسبه الشريف من جهة أبيه هو سيدنا محمد ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب واسمه (شيبةُ الحمد) ابن هاشم واسمه (عمرو دفينُ غزَّة) ابن عبد مناف واسمه (المغيرة) ابن قصي واسمه (زيد)، ونسبه من جهة أمه فهو ﷺ ابن السيدة أمنة بنت وهب ابن عبد مناف ابن زهرة، وقصي وزهره ابني كلاب واسمه (حكيم) ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر

وهو (قريش) بن مالك بن النضر (لنضارة وجهه) ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسمه (عامر) ابن إلياس بن مضر بن معد بن عدنان وينتسب عدنان إلى سينا إسماعيل بن سيدنا إبراهيم (عيهما السلام) وهو معاصر لسينا عيسى ابن مريم (عليهما السلام)، وصفته ﷺ فقد روى الأمام الترمذي عن إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ (ابن الحنفية) ابن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ كَانَ عَلِيٌّ رضى الله عنه إِذَا وَصَفَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَمْ يَكُنْ بِالطَّوِيلِ الْمُمَغَّطِ وَلاَ بِالْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ وَكَانَ رَبْعَةً مِنَ الْقَوْمِ وَلَمْ يَكُنْ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ وَلاَ بِالسَّبِطِ كَانَ جَعْدًا رَجِلاً وَلَمْ يَكُنْ بِالْمُطَهَّمِ وَلاَ بِالْمُكَلْثَمِ وَكَانَ فِي الْوَجْهِ تَدْوِيرٌ أَبْيَضُ مُشْرَبٌ أَدْعَجُ الْعَيْنَيْنِ أَهْدَبُ الأَشْفَارِ جَلِيلُ الْمُشَاشِ وَالْكَتِدِ أَجْرَدُ ذُو مَسْرُبَةٍ شَثْنُ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ إِذَا مَشَى تَقَلَّعَ كَأَنَّمَا يَمْشِي فِي صَبَبٍ وَإِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ مَعًا بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ أَجْوَدُ النَّاسِ كَفًّا وَأَشْرَحُهُمْ صَدْرًا وَأَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً وَأَلْيَنُهُمْ عَرِيكَةً وَأَكْرَمُهُمْ عِشْرَةً مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ يَقُولُ نَاعِتُهُ لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ)[1] المكي مولداً المدني مقاماً ودفناً.

قول المصنف:

وَيَــلْــزَمُ الايمــانُ بـالحِسـابِ ... والحَشْـرِ والعِقَابِ والثَّوابِ

والنَّشْـرِ والـصِّـراطِ والمِيـزانِ ... والحَــوضِ والـنـيرانِ والجِنَـانِ

والجِــنِّ والأمـــلاكِ ثـم الأنبيا ... والحُــوْرِ والـولـدانِ ثـم الأوليا

وكُــلِّ مـا جَــاءَ مِــنَ البَـشـيرِ ... مِنْ كُلِّ حُكْمٍ صارَ كالضَّرُورِي

وَيَـنْـطَـوِي فِي كِلْمَـةِ الإِسْــلام ... ما قَدْ مَضَى مِنْ سائِرِ الأَحْكَامِ

فَـأَكْـثِـرَنْ مِـن ذِكْـرِهَـا بـالأَدَبِ ... تَرقى بِهذا الذِكرِ أَعلى الرُّتَبِ

---

(١) الترمذي (٣٩٩٩).

قول المصنف: (يلزم الإيمان بالحساب) وجب الإيمان بالحساب والقيامة، وهو أمر سماعي أخذناه عن طريق الوحي ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء:١٠٤]، وقال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة:٤]، وهو يوم الحساب ويوم القيامة. والحساب: يكون بعرض الأعمال على العبد منذ أن بلغ التكليف إلى أن مات، إلا أن يكون مجنونـًا أو أبلهـًا أو مات طفلاً فلا حساب عليه، لقوله ﷺ: «رُفع القلم عن ثلاث عن الطفل حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يُفيق»[١]. فكل المكلفين من الإنس والجن يحاسبون، ما عدا من ذكرنا ومن لم تصل اليه الدعوة لا يحاسب ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]، والحساب قد يكون بعرض الاعمال فقط، وقد يكون بعرض الأعمال ومناقشتها والنبي ﷺ يقول: «من نوقش الحساب عُذب»[٢] وعرض الأإعمال هو أن ترى ذنوبك ومعاصيك فيقول لك سترتها لك في الدنيا وأغفرها لك في الآخرة فهذا يسمى دخول الفائزين. ونعرف أيضـًا أنَّ سبعين ألفا من أمة سيدنا محمد ﷺ يدخلون الجنة من غير عرض حساب[٣] وأولهم أبو بكر الصديق ومنهم عكاشة بن محصن وكل واحد من السبعين ألف يشفع في سبعين ألف يأخذهم معه وكل ذلك ببركة الحبيب المصطفى ﷺ.

(١) النسائي (٣٤٣٢)، احمد (٢٤٦٩٤).

(٢) البخاري (٦٥٣٦) عن عائِشة، عنِ النبِي صلى اللهُ عليهِ وسلم قال: «من نُوقِش الحِساب عُذب» قالت: قُلتُ: أليس يقُولُ اللهُ تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: ٨] قال: «ذلِكِ العرضُ» أبو داود (٣٠٩٣)، احمد (٢٤٩٥٨)

(٣) البخاري (٥٧٠٥)، مسلم (٢١٦) عن أبِي هُريرة، أن النبِي صلى اللهُ عليهِ وسلم قال: «يدخُلُ مِن أُمتِي الجنة سبعُون ألفًا بِغيرِ حِسابٍ»، فقال رجُلٌ: يا رسُول اللهِ، ادعُ اللهِ أن يجعلنِي مِنهُم، قال: «اللهُم اجعلهُ مِنهُم»، ثُم قام آخرُ، فقال: يا رسُول اللهِ، ادعُ اللهِ أن يجعلنِي مِنهُم قال: «سبقك بِها عُكاشةُ»، احمد (٢٩٥٢).

قول المصنف: (**الحشر**) وهو حشر الأجساد إلى المحشر بعد أن تبعث من القبور، إذن هناك ثلاثة أحداث متعلقة بيوم القيامة البعث والحشر والنشر.

البعث: هو بعث الأجساد من القبور. **الحشر**: سوقها للمحشر. **النشر**: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾ [الإسراء:١٤]، أي نشر الصحف. كل ذلك سمعيات أخذناها من الأنبياء عن ربهم.

قول المصنف: (**العقاب والثواب**) طالما هناك حساب فهناك عقاب وثواب – جنة ونار – وأن الحشر جسماني روحاني خلافاً للفلاسفة الذين قالوا إنَّ الحشر روحاني وليس جسماني فكفروا. فاعتقادنا أنَّ الحشر جسماني روحاني، حيث يُنبت ربنا الأجساد من عجب الذنب، وهو العظمة الأخيرة الصغيرة التي في آخر العمود الفقري فهي البذرة التي تنبت الجسم لقوله ﷺ (إنَّ الله حرم على الأرض أن تأكل من ابن آدم عجب الذنب)[1] كما حرم على النار (أي نار عصاة المؤمنين) أن تحرق مواضع السجود. والأرض لا تأكل اجساد الأنبياء والأولياء والشهداء والصادقين وأهل القرآن الصادقين والمحبين وقيل كثيري الذكر لله. وفي الحشر تحشر الوحوش غير المكلفة ﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥﴾ [التكوير:٥]، حتى يقتص الله للشاة العجماء من الشاة القرناء. ثم بعد أن يقام العدل يقال لجميع غير المكلفين كونوا تراباً فيقول الكافر حينئذ ﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠﴾ [النبأ:٤٠].

قول المصنف: (**والنشر والصراط والميزان**)

---

(١) البخاري (٤٩٣٥) عن أبي هُريرة رضِي اللهُ عنهُ، قال: قال رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم: «ما بين النفختينِ أربعُون» قال: أربعُون يومًا؟ قال: أبيتُ، قال: أربعُون شهرًا؟ قال: أبيتُ، قال: أربعُون سنةً؟ قال: أبيتُ، قال: «ثُم يُنزِلُ اللهُ مِن السماءِ ماءً فينبُتُون كما ينبُتُ البقلُ، ليس مِن الإنسانِ شيءٌ إلا يبلى، إلا عظمًا واحِدًا وهُو عجبُ الذنبِ، ومِنهُ يُركبُ الخلقُ يوم القِيامةِ»

النشر: نشر الصحف ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ١٠﴾ [التكوير:١٠]، وهي ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾ [الإسراء:١٤]، ولقوله تعالى ﴿فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا ٧١﴾ [الإسراء:٧١]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧﴾ [الحاقة:٢٥-٢٧].

فأهل الأيمان يُؤتون كتابهم بإيمانهم ولو كانوا عصاة، فمنهم من يدخل الجنة دخول الفائزين ومنهم من يحاسب ويدخل النار للتنقية ثم يخرج منها إلى الجنة ومنهم من يدخل الجنة بشفاعة الحبيب المصطفى ﷺ بعد استحقاقه للنار ومنهم من يخرج من النار بشفاعة النبي ﷺ وصالح المؤمنين والملائكة وشفاعة رب العالمين ومنهم من يرتقي في الجنة بعد دخولها بشفاعة النبي ﷺ.

الصراط: وهو طريق على ظهر جهنم يؤدي إلى الجنة، وأهل النار المخلدين فيها لا يعبرون الصراط، أما المؤمنون فيعبرون الصراط، ويسقط أهل المعاصي من المسلمين في نار التطهير ثم يخرجون منها إلى الجنة، ويتفاوت الناس على الصراط وتتفاوت أعمالهم الصالحة؛ فكلما كنت مسارعـاً لأعمال الخير في الدنيا كلما كنت سريعـاً على الصراط، لذلك وجب عليك المداومة على العمل الصالح دون تقطيع حتى يدوم نورك على الصراط دون تقطع، لذلك قال سيدنا محمد ﷺ: «إنَّ أحب الأعمال إلى الله أدومها وان قل»[1]. (الصراط للناجي متسع وسهل، وللذي كتب عليه السقوط أحد من السيف وأدق من الشعرة ضحل مزلة) أي يزلق صاحبه عليه. فالصراط

(١) البخاري (٦٤٦٤) عن عائِشة: أن رسُول اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم قال: «سددُوا وقارِبُوا، واعلمُوا أن لن يُدخِل أحدكُم عملُهُ الجنة، وأن أحب الأعمالِ إلى اللهِ أدومُها وإِن قل»

مخلوق يتكيف لكل إنسان على حسب إيمانه وعمله في الدنيا، فمنهم من يسير كالبرق ومنهم كالريح ومنهم كأجاويد الخيل، ومنهم كأشد الرجال، ومنهم من يكبو، ومنهم من يحبو، فأنواع السائرين على الصراط (ناجٍ مسلم، مخدوش مسلم، مكدوس في نار جهنم) لذلك قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم:٧١].

قوله **(الميزان)** الميزان له كفتان كفة على يمين العرش وكفة على يسار العرش، والتي على يمين العرش توضع فيها الحسنات، والتي على يسار العرش توضع فيها السيئات.

قول المصنف: (والحوض والنيران والجنان)

الحوض: لكل نبي حوض يشرب منه أتباعه وأوسعها وأفضلها حوض سيدنا محمد ﷺ حيث ذكره فقال «منبري على حوضي»[(١)]، والحوض زواياه سواء -يعني أضلاعه متساوية على شكل مربع- طول الضلع مثل صنعاء اليمن إلى إيلات، كيزانه كعدد نجوم السماء، وحوضه ﷺ خاص بأمته، والحوض قبل الصراط في أرض المحشر، وقيل إنه بعد العبور وقبل دخول الجنة، وقبل الحساب. فيبعث الناس عطاشًا، وحر شديد وزحام وأمة سيدنا محمد ﷺ على الحوض. ماؤه أحلى من العسل، من شرب منه لا يظمأ بعده أبداً، والصحابة يسقون الناس، وكل ولي من الأولياء يسقي أتباعه، ففي الوقت الذي يكون الناس فيه في كرب عظيم تكون أمة سيدنا محمد ﷺ في نشوة وفرح، ولا يشعرون بتلك الأهوال.

---

(١) البخاري (٧٣٣٥) عن أبِي هُريرة، قال: قال رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم: «ما بين بيتِي ومِنبرِي روضةٌ مِن رِياضِ الجنةِ، ومِنبرِي على حوضِي»

وماء الحوض من الكوثر، والكوثر نهر من الجنة أوتيه نبينا ﷺ، ينبع من سدرة المنتهى ويصب ماءه في الحوض [(١)] وفي الجنة.

النار: مخلوقة عمقها سبعون خريفا، ولو ألقيت من فوقها حجراً فسيستغرق سبعين سنة حتى يصل إلى قعرها وهي دركات، لذلك قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥]. أعلى طبقة من النار هي النار التي تطهر المؤمنين، فإذا خرج منها كل المؤمنين فنت وباقي النار لا تفنى، والنار مخلوقة خلافًا للمعتزلة؛ لأن النبي ﷺ رآها وحدثنا عنها وعن من يعذب فيها، فالمعتزلة أهل بدعة ولكنهم ليسوا كفاراً بل هم من أمة النبي ﷺ ولكن خالفوا الإجماع.

وكلٌ يُعذب في النار على قدر عمله، والخلود لا يكون إلا للكفار ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ۝٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩﴾ [الهمزة:٧-٩]، فإنها تطَّلع على أفئدة العباد فتعذب كل واحدٍ على قدر كفره وعمله وذنوبه ومعاصيه، وهي ليست كنار الدنيا وهي أشد من نار الدنيا بمئة ضعف، وإن وقودها الناس والحجارة، ونار عصاة المؤمنين تأكل كل من يدخلها من العصاة فيصيرون فحما إلا مواضع السجود حتى يحين وقت خروجهم بشفاعة الشافعين فيخرجون وقد امتحشوا كالفحم ويُبقون على حافة نهر الحياة بالجنة فينبتون تدريجيا حتى تعود إليهم أجسادهم وحواسهم ليستمتعوا بالجنة وما فيها من النعيم .

(١) مسلم (٢٤٧) عن أَبِي هُريرة أن رسُول اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم قال: «إِن حوضِي أبعدُ مِن أيلة مِن عدنٍ لهُو أشد بياضًا مِن الثلجِ، وأحلى مِن العسلِ بِاللبنِ، ولآنِيتُهُ أكثرُ مِن عددِ النجُومِ وإِني لأَصُد الناس عنهُ، كما يصُد الرجُلُ إِبِل الناسِ عن حوضِهِ» قالُوا: يا رسُول اللهِ أتعرِفُنا يومئِذٍ؟ قال: «نعم لكُم سِيما ليست لِأحدٍ مِن الأُممِ ترِدُون علي غُرا، مُحجلِين مِن أثرِ الوُضُوءِ»

أما الجنة: فهي درجات وأعلاها الفردوس الأعلى، وأعلى الفردوس الوسيلة وهو مقام النبي ﷺ وكما كان النبي ﷺ أعلى الناس في الجنة فهو أعلى الخلق على الإطلاق، وإن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وإن أقل أهل الجنة له مثل عشرة أضعاف الدنيا ويزيد، ولهم ما يشاؤون عند ربهم، فلا تحتاج إلى التعامل مع الأسباب، لأنك في دار القدرة فكلما شئت شيئاً وجدته ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [الشورى:٢٢].

قول المصنف: (والجن والأملاك ثم الأنبيا... والحور والولدان ثم الأوليا)

الجن: وهم كائنات لطيفة خلقهم الله ﷻ من نار، توصف بالذكورة والأنوثة، وهم مكلفون عقلاء يتناسلون ويتوالدون ومكلفون بالشرع الشريف فمنهم كافر ومنهم مؤمن، يروننا من حيث لا نراهم.

والعفريت: نوع من الجن كثير الذكاء والحركة والقوة ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾[النمل:٣٩]، وهم يعيشون معنا على الأرض من حيث لا نراهم ﴿يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ﴾ [الأعراف:٢٧]، ومن ادعى أنه يرى الجن على صورتها فهو مخالف لما قاله القرآن، والجن قادر على التشكل على الأشكال الشريفة وغير الشريفة، وغالباً ما يتشكل بصورة الكلب الأسود والحية، وبعد نزول القرآن والذكر والأذان يخافون أن يتشكلوا مخافة أن يحبسوا في الصورة التي تشكلوا فيها فلو قُتل فيها مات، ولهم أعمار وأعمارهم طويلة تصل إلى مئات السنين، وهم يحتاجون للماء في حياتهم لذلك قال ﷺ (أستأذن الجن لي أن يردوا الماء ليلاً، فأنهاكم أن تردوا الماء ليلاً) وسماهم النبي ﷺ إخوانكم من الجن، لذلك نهانا أن نستنجي بالرجيع الذي هو (روث بهائم الإنس) قال

لأنه طعام بهائم الجن، فلديهم بهائم من نوعهم لا نراهم، وقال لا نستنجي بعظم فإنه طعام إخوانكم الجن[١]، ونهانا عن البول في الثقب؛ لأنه من بيوت الجن[٢]، كل تلك الآداب يعلمها المسلم من الوحي.

الملائكة[٣]: مخلوقات لطيفة خلقت من نور، وهم معصومون من المعاصي والذنوب لذلك فإن التفاسير التي تذكر (هاروت وماروت) أنهم ملكان وعصوا وزنوا تفاسير غير صحيحة وإسرائيليات تخالف عقائد المسلمين، لأن الله قال: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر:١]، فلهم ما للرسل من الواجب والمستحيل العصمة والكمال والطاعة وعدم المخالفة. وهم قادرون على التشكل في الأشكال الشريفة فقط ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم:١٧]، وجاء سيدنا جبريل عليه السلام بصورة دحية الكلبي رضي الله عنه، وجاء بصورة رجل جميل في حديث السؤال عن الإسلام والإيمان والإحسان، وجاؤوا لسيدنا إبراهيم عليه السلام بالبشرى وقدم لهم عجلاً مشوياً فلم يأكلوا؛ واعلم أنَّ الملائكة إذا تشكلت لا تأخذ حكم الصورة بخلاف الجن إذا تشكل يأخذ

---

(١) الترمذي (١٨) عن عبدِ اللهِ بنِ مسعُودٍ، قال: قال رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم: «لا تستنجُوا بِالروثِ، ولا بِالعِظامِ، فإنهُ زادُ إخوانِكُم مِن الجِن».

(٢) احمد (٢٠٧٧٥) حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، عن عبد الله بن سرجس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يبولن أحدكم في الجحر، وإذا نمتم فأطفئوا السراج، فإن الفأرة تأخذ الفتيلة فتحرق أهل البيت، وأوكئوا الأسقية، وخمروا الشراب، وغلقوا الأبواب بالليل» [ص:٣٧٣]، قالوا لقتادة: ما يكره من البول في الجحر؟ قال: «يقال إنها مساكن الجن».

(٣) الملائكة: خلق من خلق الله تعالى، خلقهم الله عز وجل من نور، عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة، لا يأكلون ولا يشربون، ولا يملون ولا يتعبون ولا يتناكحون ولا يعلم عددهم إلا الله، وقد عرفها بعضهم بأنها: (أجسام نورانية، أعطيت قدرة على التشكل والظهور بأشكال مختلفة بإذن الله تعالى)

حكم الصورة، ولا توصف بالذكورة والانوثة بخلاف الجن فمن قال إنَّ الملائكة إناث كفر ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الزخرف:١٩]، ومن قال أنهم ذكور يقصد التكريم خرج عن الإجماع. لهم هيئات ووظائف كثيرة منهم من يكون في الأرض ومنهم من يكون في السماء الدنيا... الخ، حتى أنَّ هناك ملائكة مُهيّمُون عالون لا يدرون بشيء سوى ذكر الله وطاعته، وأفضل الملائكة سيدنا جبريل ثم سيدنا ميكائيل ثم سيدنا إسرافيل ثم سيدنا عزرائيل (عليهم السلام) ثم سائر الملائكة. وكل إنسان له رقيب وعتيد من الملائكة يقيدون أعماله ولا يفارقونه إلا عند الجماع وقضاء الحاجة والغسل والتعري لأن الملائكة تستحي. ومنهم حفظة يحفظونه من أمر الله بأمر الله ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد:١١]، أي يحفظونه من السوء بأمر الله، وهناك ملائكة تحضر الصلوات مع المسلمين ومجالس الذكر ومجالس العلم وتقاتل مع المسلمين فهم كثير ولا يعلم جنود ربك إلا هو قال النبي ﷺ : «أطت السماء وحق لها أن تأط ما من موضع أربع أصابع إلا فيه ملك راكع أو ساجد»[١]. ومن الملائكة منكر ونكير وهم الموكلون بسؤال القبر.

قوله (ثم الانبيا) ورد حديث أبي ذر رضي الله عنه بأنَّ عددهم (١٢٤،٠٠٠)[٢] ونستأنس بهذا العدد، وعدد الرسل (٣١٣) بعدد أهل بدر، وأولو العزم (٥).

(١) الترمذي (٢٣١٢) عن أبِي ذر، قال: قال رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم: «إِني أرى ما لا ترون، وأسمعُ ما لا تسمعُون أطتِ السماءُ، وحُق لها أن تئِط ما فِيها موضِعُ أربعِ أصابع إِلا وملكٌ واضِعٌ جبهتهُ ساجِدًا لِلهِ، واللهِ لو تعلمُون ما أعلمُ لضحِكتُم قلِيلًا ولبكيتُم كثِيرًا، وما تلذذتُم بِالنساءِ على الفُرُشِ ولخرجتُم إِلى الصعُداتِ تجأرُون إِلى اللهِ، لوددتُ أني كُنتُ شجرةً تُعضدُ».

(٢) ابن حبان (٣٦١).

قوله: (**والحور**) نساء أهل الجنة، وإن المرأة من الدنيا إذا دخلت الجنة فخدمها من الحور العين، ولا تغار منهم، وتكون أجمل من الحور العين، فلا غيرة في الجنة، ومن كانت من أهل الدنيا ولم تتزوج يزوجها ربنا رجلا من أهل الجنة مات ولم يتزوج، وإن كانت متزوجة من أكثر من زوج في الدنيا تلتحق بأعلاهم درجة أو تُخير (ومن الطبيعي أن تختار أعلاهم درجة) وهذه رحمةٌ عظيمة.

(**الولدان**) مخلوقون لخدمة أهل الجنة، وذلك لكمال العناية بأهل الجنة من باب التنعيم.

(**الأوليا**) وهم خواص المؤمنين الذين تولوا الله بالعبادة والطاعة فتولاهم بالحفظ والعناية والرعاية، وقد يجري على أيديهم الكرامة. (واثبتن للأوليا كرامة).

قول المصنف: (وكل ما جاء من البشير... من كل حكم صار كالضروري)

فكل ما جاء به البشير ﷺ نصدق به؛ لأنه الصادق المصدوق.

قول المصنف: (وينطوي في كلمة الإسلام... ما قد مضى من سائر الاحكام)

يعني إن قلت أشهد أن لا آله إلا الله فيها علم الإلهيات، وان قلت أشهد أنَّ محمداً رسول الله فيها علم النبوات والسمعيات، فهذا معنى قوله (كلمة الإسلام) ينطوي تحتها كل ما مضى من الاحكام.

قول المصنف: (فأكثرن من ذكرها بالأدب... ترقى بهذا الذكر أعلى الرتب) أي أكثر من ذكر (شهادة التوحيد).

والأدب: هو التصوف وهو علم السلوك المطابق للعقيدة. فبعد الاعتقاد الصحيح لا بد من العمل المصاحب للأدب والتزكية، فتلتزم بأحكام الشريعة في ظاهرك، وتسلك سلوك الأدب حتى تتحقق بالحقيقة وسلوك الأدب بالتخلق بأخلاق الحبيب المصطفى ﷺ مع النفس والخلق والحق. فالطريقة هي السلوك، والشريعة هي الأحكام الشرعية، والحقيقة ما بطن في الشريعة من أسرار وحكم، فلا تنفتح لك الحقيقة إلا بالتزام الشريعة سلوكـًا وأدبـًا، ومن زادك أدبـًا زادك تصوفـًا.

والآداب كثيرة مع الله في الخلوة والجلوة، بمراقبته وكثرة ذكره والتزام شريعته مخلصـًا له الدين راجيـًا من أن يقبلك وأن تداوم التوبة كلما وقعت بالزلل، ولا تمل من تكرار التوبة مع تكرار الذنب ولا تيأس من رحمة الله ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء:١٧-١٨]، وتسارع إلى التوبة.

قول المصنف: **(ترقى بهذا الذكر أعلى الرتب)**

والذي يجعلك مواظبـًا على الادب هو خوفك ورجاءك

لذلك قال المصنف:

وغَلِّبِ الخَـوْفَ على الرَّجَاءِ   وسِــرْ لِـمـولاكَ بـلا تَـنـاءِ

أي حال الدنيا، أما على فراش الموت فغلَّب الرجاء على الخوف، وفي الحياة غلب الخوف من الله، لأن من خاف الله لن يعصيه فيكون حالك في المعصية الرجاء، فيجعلك تقلع عنها والرجاء بأنه سيغفر لك. أما في حال الطاعة فيغلب عليك الخوف أن لا تقبل حتى لا يكون لك اعتماد على العمل لذلك قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون:٦٠].

أي حال فعلهم للأعمال الصالحة ويشعرون بالخوف مع الاعمال الصالحة حتى لا يركنوا للعمل.

(ومن علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل) كما قال صاحب الحكم، أي عندما تُقصر يقل رجاءك ويكثر خوفك وعند الطاعة يزيد رجاءك ويقل خوفك؛ لأنك تقابل ربك بعملك، أما لو زاد رجاءك عند التقصير وزاد خوفك عند الطاعة فأنت معتمد على الله، فعليك أن تعمل العمل ولا تلتفت له فملتفت لا يصل، فإن سألك الله بم قابلتني تقول بثقتي فيك ورجائي فيك، فتنسى عملك بالكامل؛ لأن الله ﷻ هو الذي وفقك وأعانك على العمل، وعلى الحقيقة هو الذي عمل وليس أنت ولذا لا بد عند المعصية أن تغلب الرجاء ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:٥٣].

قول المصنف: (وسر لمولاك بلا تناء) بلا تأجيل، فلا تؤجل عمل اليوم إلى الغد، يقول الإمام الشافعي صحبت الصوفية فتعلمت منهم أنَّ الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، إن لم تقطعه بالطاعة قطعك بالمعصية، إذن

يجب أن تسير إلى مولاك بلا تأجيل ولا كسل، لأن المنافق يقوم بكسل وتأجيل ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء:١٤٢]، وأثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر لأنه يعبد الله للناس فيذهب للصلاة في النهار كي يراه الناس، (سارعوا بالأعمال قطعاً كقطع الليل المظلم) لذلك قال الصوفية: (قصر الأمل يمنع من التسويف) عندما تستشعر أن عمرك جائز أن ينتهي في أي لحظة فلا تسوف، والذي يولد قصر الأمل كثرة ذكر الموت وزيارة الموتى لذلك قال ﷺ :«أكثروا من ذكر هادم اللذات»[1] هذه هي (الطريقة) فالنبي ﷺ جاء بالشريعة والطريقة والحقيقة، فالشريعة أن تعبده والطريقة أن تقصده والحقيقة أن تشهده.

قول المصنف:

وجَـــدّدِ الـتَّـوْبَـةَ لــلأوزارِ لا تَيْـأَسَـنْ مِـنْ رَحمَـةِ الغَفَّارِ

أي كلما وقعت بذنبٍ استغفر وتب منه، والنبي ﷺ يقول (إني لأستغفر الله وأتوب اليه في اليوم اكثر من مائة مرة)[2] وهو المعصوم واستغفاره لذنوب أمته؛ لأنه أمر بذلك ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد:١٩]، فاستغفاره للذنب الواقع في حقه من الكفار فيقول اغفر لقومي فانهم لا يعلمون، واستغفاره للمؤمنين باستغفار الله عنهم في اليوم أكثر من مائة مرة.

(لا تيأسن من رحمة الغفار) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٥٣]، ﴿لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧].

---

(١) ابن ماجة (٤٢٥٨).

(٢) البخاري (٦٣٠٧)

قول المصنف:

وكُــنْ علـى آلائِـــهِ شَـكُورا وكُــنْ علـى بَـلائِـهِ صَـبُـورا

لأنك مع الله بين عطاء ومنع، وقبض وبسط وبين جمال وجلال، فأن كنت من أهل النعمة فلا تعصِ الله بالنعمة، فمن أول شكر النعمة أن تنسبها الى الله ﷻ وتقنع بها وتطيع الله بها ولا تعصيه بها فلا تنفقها إلا في طاعة الله، ومن شكر النعمة أن تشكر الناس الذين ساق الله النعمة إليك على أيديهم لذلك قال النبي ﷺ :«من لا يشكر الناس لا يشكر الله»[1]. لذلك يجب أن تبرَّ بوالديك لأنهم السبب في أول نعمة عليك وهي نعمة الوجود، ﴿أَشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [لقمان:١٤]، واشكر لي لأنه هو أصل الوجود، ووالديك لأنهم السبب الظهر لوجودك، فوجب عليك أن تشكر النبي ﷺ لأن كل نعمة وهداية فمنه وبسببه ﷺ، فما من نعمة تساق إليك إلا من يديه؛ لأنه عين الرحمة وواسطة الرحمة. ومن شكره محبة آله وصحبه وأمته وكل مسلم أنتسب له، ومن شكره أن نكون رحمة للعالمين، لأنه هو رحمة للعالمين لذلك قال ﷺ: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، والراحمون يرحمهم الله»[2]. وتشكر شيخك وتشكر أستاذك وتشكر الذي علمك الصنعة وهكذا تكون معترفاً بالجميل وليس ناكرا للجميل. فالمسلم يعرف الفضل لأهل الفضل.

---

(١) أبو داود (٤٨١١)، الترمذي (١٩٥٤)، احمد (٧٩٣٩).

(٢) الترمذي (١٩٢٤) عن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو قال: قال رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم: «الراحِمُون يرحمُهُمُ الرحمنُ، ارحمُوا من فِي الأرضِ يرحمكُم من فِي السماءِ، الرحِمُ شُجنةٌ مِن الرحمنِ، فمن وصلها وصلهُ اللهُ ومن قطعها قطعهُ اللهُ»: هذا حدِيثٌ حسنٌ صحِيحٌ

(**وكن على بلائه صبوراً**) الذي هو القضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره، فلا تجزع ولا تكثر الشكوى لغير مولاك.

قول المصنف:

وكُـلُّ أمـرٍ بـالـقَـضـاءِ والـقـدَرْ　　　وكُـلُّ مَـقـدورٍ فَما عَنْـهُ مَفَـرْ

فالقضاء: هو المقضي، والقدر: هو وقت ظهور المقضي، فلا تتعجل ما أراد الله تأخيره ولا تستأخر ما أراد الله تعجيله، بل سلم الأمر لله يظهر ما أراد وقتما أراد، فلا يكن تأخر الله لك بالعطاء مع إلحاحك بالدعاء موجبًا ليأسك؛ لأنه ضمن لك الإجابة على ما يريد لا على ما تريد في الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد.

(**وكل مقدور فما عنه مفر**) فالعوام يقولون (المكتوب ليس منه مهروب) وهذه أمثلة عامية فيها حكمة، ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد:٢٢]، وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن:١١]، أي ومن يؤمن بالقضاء والقدر يهد قلبه ويرزقه الرضا فكل هذا مستمد من القرآن والمهم أن يكون سلوكًا في حياتك.

قول المصنف:

فكُنْ لَـهُ مُسَلِماً كَي تَسْلَما　　　واتْبَعْ سَبيلَ النَّاسِكينَ العُلَما

فما سُميت مسَلمًا إلا لأنك سلّمت أمرك لله، فكن له مسلمًا منقاداً مستسلما، ولقضائه مفوضًا حتى تسلم من الاعتراض الذي يؤدي إلى الحجاب.

(واتبع سبيل الناسكين العلما) أي اعبد الله على علم؛ لأن أخطر الناس على الناس عالم فاجر وعابد جاهل، فالعالم الفاجر: صد الناس عن العلم بفجره، والعابد الجاهل: صد الناس عن العبادة بجهله، فاجمع بين الاثنين التنسك والعلم فتعلم واعمل، وواظب حتى تلقى الله ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[الحجر:٩٩]، واتباع الناسكين العلماء قال عنه سيدنا لقمان: ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ﴾[لقمان:١٥]، اي اسلك الطريق الموصل اليه، أي خذ الطريقة من الشيخ فأختر الصاحب قبل الطريق.

قول المصنف:

وخَلِصِ القَلْبَ مِنَ الأغْيارِ   بالجِدِّ والقِيامِ بالأسْحَارِ

في الطريق إلى الله ﷻ تجد عقبات ومطبات (الحقد، الحسد، الطمع، التعلق بالشهوات،، عجب...الخ) فوجب عليك تنقية القلب من علائق وعوائق الطريق، فالطريق معنوي تسلك فيه بقلبك فكلما كان القلب سليماً كان الطريق سهلاً ميسراً.

و(الأغيار) كل ما سوى الله.

(بالجد) بدوام المراقبة مع مخالفة النفس على مقتضى العلم والعزيمة، ولا تكن من أهل الرخص؛ لأن طريق التصوف طريق أهل العزائم فجاهد نفسك على الدوام، فلو أطعتها في المباح قويت فطلبت منك المكروه وإن أطعتها في المكروه، قويت فطلبت منك الحرام فأفطمها من بعض المكروه حتى لا تقوى وتطلب منك فعل الحرام ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩].

(**والقيام**) وقت السحر وقت قبول الدعاء، وأن تطلب من الله أن يعينك ويخلص قلبك من الأغيار، فتكثر من الاستغفار والقيام بين يديه وهذا حال الأنبياء الأتقياء والأولياء.

قول المصنف:

والفِكْرِ والـذِّكْرِ على الـدَّوامِ   مُجـتَنِـبـاً لِـسـائِـرِ الآثـامِ

التفكر للاتعاظ، والذكر للبعد عن الغفلة، حتى تتخلص من كل معصية ومن كل ما فيه إساءة أدب، كي ترتقي من النفس الأمارة إلى اللوامة ثم إلى الملهمة ثم إلى الراضية ثم إلى المرضية ثم إلى الكاملة، فلا بد أن تسلك هذا الطريق وأقوى ذكر للنفس الأمارة واللوامة هو (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فهذا الذكر يحرقها حرقًا، فتجلس متوجهًا للقبلة وأنت متوضئ مغمض عينيك وتستغفر الله ثم تصلي على النبي ﷺ ثم تشرع بـ(لا إله إلا الله) تبدأ باليمين (لا إله) ثم إلى القلب (إلا الله) مع إغماض العين، كأنك تملأ قلبك بالله، وإغماض العينين يؤدي إلى سرعة تنوير القلب وعدم اشتغال العين بالأكوان و(لا آله إلا الله) من أوراد طريقتنا نقولها صباحًا من (١٠٠ إلى ١٠٠٠) ونقولها مساءً من (١٠٠ إلى ١٠٠٠)، ولا بد أن تملأ قلبك رجاءً لله وخوفًا من الله ومحبة لله، ثم تختمها بـ(سيدنا محمد رسول الله) فإذا ختمت ذكرك فامكث في مكانك لحظةً فأنتظر الوارد ولا تشرب الماء بعده مباشرةً حتى لا تطفئ حرارة الذكر، وكل هذه آداب، فإذا ارتقيت إلى النفس الراضية فذكرها (الله، الله)، فإذا ارتقيت إلى النفس المرضية فذكرها (هو، هو) ذكر هوية الذات، والمطمئنة ذكرها (حي، حي، حي)، والمرضية (قيوم، قيوم،

قيوم) يممكن أن تكون النفس في مقام في لحظة ثم تنتقل إلى آخر في لحظة أخرى، فتكون أمارة بالسوء وقت المعصية ثم لوامة وقت التوبة ثم مطمئنة عند دوام الاستغفار ثم كاملة عند استقبال الواردات.

لذلك يصل العبد إلى مقام من مقامات التجلي والترقي ونفسه لا تحدثه بمعصية أبداً، هناك يقال له: أي في الهاتف الرباني (افعل ما شئت فقد غفرنا لك) أي افعل ما شئت من الطاعات لأنك لن تفعل المعصية بتوفيقي، والذي يسميه بعض أهل التصوف ولا تفهم الناس معناه (رفع التكليف)، أي يعمل بلا كلفة، فأصبحت الطاعة سجية، ولا تطلب نفسه إلا الطاعات ولا تخطر عليه المعصية، وهذا يحصل لبعض النفوس الكاملة المرضية لذلك قال بعض الأولياء (قيل لي افعل ما شئت فلا حرج عليك) فيفهمها الناس غلطًا، ويتهمون الصوفية بترك العبادات، ومعناها افعل ما شئت من الطاعات؛ لأن نفسك حفظها الله فلا تأمرك إلا بالطاعة، كما قال سيدنا رسول الله ﷺ لأهل بدر (كأن الله اطلع على أهل بدر فقال لهم افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم)[١] أي حفظتكم من أن تعصوني إلى أن تلقوني.

قول المصنف:

مُـراقِـبـاً للهِ في الأَحْــــوالِ لِـتَـرْتَـقـي مَـعَـالِـمَ الـكَـمـالِ

أي مقامات النفس حتى تصل إلى الكاملة.

قول المصنف:

وقُـل بِــذُلٍ رَبِّ لا تَقْطَعْني عَـنْـكَ بِـقـاطِـعٍ ولا تَـحْـرِمْـني

(١) البخاري (٣٠٨١)، مسلم (١٦١)، أبو داود (٢٦٥٠)، الترمذي (٣٣٠٥).

أي داوم الطلب من الله أن يوفقك إلى المواظبة على طاعته لأنك في كمال الفقر إلى الله.

قول المصنف:

مِنْ سـرِّكَ الأبهَى المُزيلِ للعَمى   واخْتِـمْ بخَيرٍ يا رَحيمَ الرُّحَما

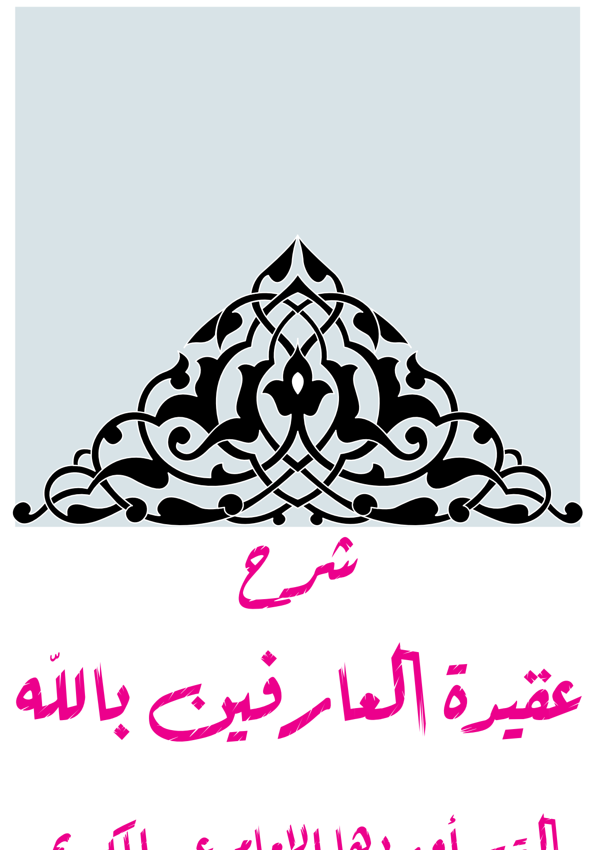
حسن الختام فيبقى كل رجاءك أن يختم لك بخاتمة السعادة، وهي أن تموت على كمال الحال من الإسلام والإيمان بغير تخليط.

قول المصنف:

والحَـمْـدُ للهِ عـلى الإتْـمـام   وأَفْـضَـلُ الـصَّـلاةِ والـسَـلام

على النَّـبِيِّ الهـاشِـميِّ الخاتِـم   وآلِــهِ وَصَـحْـبِـه الأَكَــارِمِ

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا ببركاتها وكاتبها وبأصل سلوكه وطريقه وبأولياء الله الصالحين، وأن يحققنا بحقائق أهل القرب ويسلك بنا مسالك أهل الجذب، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

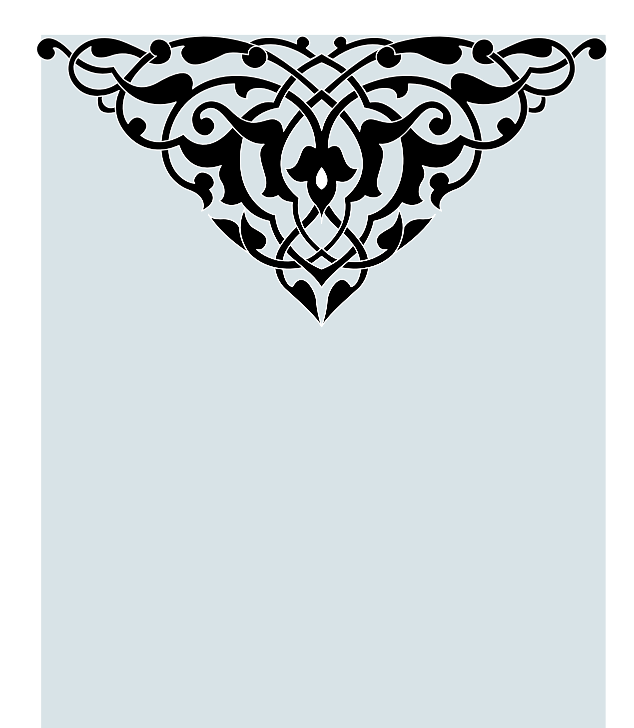


شرح

عقيدة العارفين بالله

التي أوردها الإمام عبد الكريم

القشيري في الرسالة القشيرية



الإمام عبد الكريم القشيري[١]

هو الإمام، الزاهد، القدوة، الأستاذ، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري، الخراساني، النيسابوري، الشافعي، الصوفي، المفسر، صاحب الرسالة.

ولد: سنة خمس وسبعين وثلاثمائة.

وتعلم الفروسية والعمل بالسلاح حتى برع في ذلك، ثم تعلم الكتابة والعربية.

مشايخه:

مات أبوه وهو طفل، فدفع إلى الأديب أبي القاسم اليمني، فقرأ عليه الآداب، وتعلم طرفا من الحساب، وعمل قليلا ديوانا، ثم دخل نيسابور من قريته، فاتفق حضوره مجلس أبي علي الدقاق، فوقع في شبكته، وقصر أمله، وطلب القبا، فوجد العبا، فأقبل عليه أبو علي، وأشار عليه بطلب العلم، فمضى إلى حلقة الطوسي، وعلق التعليقة وبرع، وأنتقل إلى ابن فورك، فتقدم في الكلام، ولازم أيضا أبا إسحاق، ونظر في تصانيف الباقلاني، ولما توفي حموه أبو علي تردد إلى السلمي، وعاشره، وكتب المنسوب، وصار شيخ خراسان في التصوف، ولزم المجاهدات، وتخرج به المريدون.

سمع الحديث من: أبي الحسين أحمد بن محمد الخفاف؛ صاحب أبا العباس الثقفي، وأبا نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفراييني، وأبا الحسن

---

(١) سير اعلام النبلاء للأمام الذهبي ج١٨ ص٢٢٧

العلوي، وعبد الرحمن بن إبراهيم المزكي، وعبد الله بن يوسف، وأبا بكر بن فورك، وأبا نعيم أحمد بن محمد، وأبا بكر بن عبدوس، والسلمي، وابن باكويه، وغيرهم كثير.

وتقدم في الأصول والفروع، وصحب العارف أبا علي الدقاق، وتزوج بابنته، وجاءه منها أولاد نجباء.

أقوال العلماء فيه:

قال القاضي ابن خلكان: كان أبو القاسم علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة.

قال عنه: أبو الحسن الباخرزي في كتاب دمية القصر وقال: لو قرع الصخر بسوط تحذيره لذاب، ولو ربط إبليس في مجلسه لتاب.

وكان عديم النظير في السلوك والتذكير، لطيف العبارة، طيب الأخلاق، غواصا على المعاني.

قال أبو سعد السمعاني: لم ير مثله في كماله وبراعته، جمع بين الشريعة والحقيقة، أصله من ناحية استواءه، وهو قشيري الأب، سلمي الأم.

وقال أبو بكر الخطيب: كتبنا عنه، وكان ثقة، وكان حسن الوعظ، مليح الإشارة، يعرف الأصول على مذهب الأشعري، والفروع على مذهب الشافعي.

قال لي: ولدت في ربيع الأول سنة ست وسبعين وثلاثمائة.

سمعت أبا عبد الرحمن السلمي، سمعت الحسين بن يحيى، سمعت جعفر بن محمد بن نصير، سمعت الجنيد يقول: قال أبو سليمان الداراني:

ربما تقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياما، فلا أقبل منها إلا شاهدين عدلين من الكتاب والسنة.

قال أبو الحسن الباخرزي: كان ماهرا في التكلم على مذهب أبي الحسن الأشعري، خارجا في إحاطته بالعلوم عن الحد البشري، كلماته للمستفيدين فرائد، وعتبات منبره للعارفين وسائد، وله نظم تتوج به رؤوس معاليه إذا ختمت به أذناب أماليه.

قال عبد الغافر بن إسماعيل: ومن جملة أحوال أبي القاسم ما خص به من المحنة في الدين، وظهور التعصب بين الفريقين في سنة أربعين وأربع مائة إلى سنة خمس وخمسين، وميل بعض الولاة إلى الأهواء، وسعي بعض الرؤساء إليه بالتخليط، حتى أدى ذلك إلى رفع المجالس، وتفرق شمل الأصحاب، وكان هو المقصود من بينهم حسدا، حتى اضطر إلى مفارقة الوطن، وامتد في أثناء ذلك إلى بغداد، فورد على القائم بأمر الله، ولقي قبولا، وعقد له المجلس في مجالسه المختصة به، وكان ذلك بمحضر ومرأى منه، وخرج الأمر بإعزازه وإكرامه، فعاد إلى نيسابور، وكان يختلف منها إلى طوس بأهله، حتى طلع صبح دولة السلطان الب ارسلان فبقي عشر سنين محترما مطاعا معظما.

ومن نظمه:

سقى الله وقتا كنت أخلو بوجهكم ... وثغر الهوى في روضة الأنس ضاحك

أقمت زمانا والعيون قريرة ... وأصبحت يوما والجفون سوافك

وقال أبو القاسم القشيري لنفسه:

البدر من وجهك مخلوق ... والسحر من طرفك مسروق
يا سيدا تيمني حبه ... عبدك من صَدّك مرزوق

ولأبي القاسم أربعون حديثا من تخريجه سمعناها عالية.

صنف التفسير الكبير وهو من أجود التفاسير، وصنف الرسالة في رجال الطريقة، وصنف كتاب (نحو القلوب)، وكتاب لطائف الإشارات، وكتاب الجواهر، وكتاب أحكام السماع، وكتاب عيون الأجوبة في فنون الأسئلة، وكتاب المناجاة.

وحج مع الإمام أبي محمد الجويني، والحافظ أبي بكر البيهقي.

قلت: حدث عنه: أولاده؛ عبد الله، وعبد الواحد، وأبو نصر في نكت أولي النهى.

وفاته:

قال عبد الغافر: توفي الأستاذ أبو القاسم صبيحة يوم الأحد السادس والعشرين من ربيع الآخر، سنة خمس وستين وأربعمائة.

قلت: عاش تسعين سنة، وقال المؤيد في تاريخه: أهدي للشيخ أبي القاسم فرس، فركبه نحوا من عشرين سنة، فلما مات الشيخ لم يأكل الفرس شيئا، ومات بعد أسبوع.

شرح عقيدة العارفين بالله

التي أوردها الإمام القشيري في الرسالة القشيرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا آله إلا الله، وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا رسول الله، صلى الله عليه وسلَّم وشرَّف وكرَّم وبارك وعظَّم، وعلى آله وصحابته والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعلينا معهم في كل لمحة ونَفَسٍ عدد ما وسعه علم الله.

أما بعد:

فبداية الدخول في التصوف هو تصحيح الاعتقاد أولًا، ثم تصحيح العمل ثانيًا، ومع ذلك كله تكون في كمال التوجه إلى الله، فإذا فعلت ذلك فأنت في البداية الصحيحة، ومن صحَّت بدايته نجحت نهايته وحقق غايته، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾[لقمان:١٣]، ابتدأ النصائح بتصحيح العقائد ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[لقمان:١٣]، ثم بعد تصحيح العقيدة أمره ببر الوالدين ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾[الأحقاف:١٥]، ثم بعد ذلك يعود إلى تصحيح العقيدة مرة أخرى ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾[لقمان:١٦]، وبعدما صحح عقيدته قال له: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[لقمان:١٧]، وقال له: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾[لقمان:١٧]، القضاء والقدر، وهذا هو نفس ترتيب طريق التصوف: تصحيح الاعتقاد

ثم تصحيح العمل ثم الإحسان للخلق جميعًا، ثم حسن التوجه إلى الله، والمثابرة والصبر على ذلك مع المداومة مع تغير أحوال الأقدار في العبد، من فقر لغنى، ومن صحة إلى مرض، ومن ارتفاع لانخفاض، ففي بعض الأحيان يرفعك ربك، وأحيانًا يخفضك، وأحيانًا يقبضك، وأحيانًا يبسطك، وأحيانًا يُعطيك، وأحيانًا يمنعك، فلا بد أن تكون عبداً لله في كل الأحوال، فإذا صح حالك على هذه الحال صح توجهك إلى مولاك، وصحة التوجه تؤدي إلى ثمرة المعارف في القلب والأنوار والتثبيت والبشارات، ثم الوصول ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم:٤٢]، لذلك بدا كتاب الرسالة القشيرية بتصحيح الاعتقاد:

(فصلٌ في بيان اعتقاد هذه الطائفة في مسائل الأصول)

ومسائل الأصول متعلقة بالإلهيات، فلا بد أن تعرف ربك قبل أن تتوجه إليه، فكيف تتوجه لمن تجهله؟ ولذا بدأ وقال:

قال المصنف: **(اعلموا رحمكم الله أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد صانوا بها عقائدهم عن البدع).**

أي اعلموا معاشر الصوفية، لأن الكتاب موجه لطائفة معينة من الأمة وهي طائفة الصوفية ومن أراد أن ينتسب إليها، **(اعلموا)** أيها الصوفية والسالكين **(رحمكم الله)** وجه الكلام ثم أتبعه بالدعاء وهذا من حُسْن خطاب الناس. وهذه عادة المسلمين في خطاباتهم لبعضهم البعض، تبدأ بالدعاء ثم بعد ذلك التكاليف والمواضيع الهامة.

قال المصنف: **(اعلموا رحمكم الله أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد)** والشيوخ هم القائمون على التربية، **(بنوا قواعد أمرهم)** وقواعد الأمر: ما أسس عليه وقعد عليه وثبت به، **(على أصول صحيحة في التوحيد)** أي: قواعد صحيحة في التوحيد وفي معرفة مولاهم، بحيث إنهم إذا وحَّدوا الله وحَّدوا الجهة، وإذا وحدوا الجهة صدقوا في العزيمة، وإذا صدقوا في العزيمة صحت النية، وإذا صحت النية صح العمل. **(صانوا بها عقائدهم عن البدع)** والبدع جمع بدعة، والبدعة: هي كل ما لا أصل له في الدين ويخالف مقاصدهم. أما ما كان مستحدثاً وله أصل في الدين ويُحقق مقاصد الشرع فهو سُنة حسنة، فكل ما كان مستحدثًا إن كان له أصل

لا يخالف في الدين فحكمه حكم ما وافق أصله، إن كان أصله واجبًا فهو بدعة واجبة مثل بدعة جمع القرآن في عصر الصحابة، فلم يجمعه النبيﷺ في عصره، لكن الله أمرنا بحفظ القرآن فوافقت أصلا في الدين، فصارت بدعة واجبة.

وبدعة تحسين بناء المساجد وتوسعة المساجد، وبناء ملحقات بالمساجد، مثل الميضأة؛ لأنها ضرورية للوضوء وللاستعداد للصلاة، ولم تكن أيام النبي ﷺ في المسجد ميضأة، ولم يكن المسجد متسعًا ولم يكن مزخرفًا ولم يكن مشيدًا، لكنَّ هذه البدع من تحسين المساجد وتوسيعها وتطهيرها وفرشها بالسجاد والحصر وغيرها، كل هذه بدع لكنها تحقق مقصود الشرع الشريف، فهي تدور بين (حسنة أو واجبة) على حسب الحال، وبالتالي ليس كل شيء مستحدثـًا يكون منبوذًا، إلا إذا كان مخالفـًا لأصول الدين أو لشرع الله. ونحن توسعنا في هذا الموضوع؛ لأن الوهابية شوَّشوا على الناس فجعلوا كل ما لم يفعله النبي ﷺ بدعة، ولذلك لا بد أن تكون البدع في العقائد أشد وأخطر من البدع في الأعمال وفي الفروع ولذا يقول هنا: **(صانوا بها عقائدهم)** صانوا أي حفظوا واحتاطوا ونقوا، فالصيانة تكون بالحفظ والرعاية والعناية.

(عقائدهم) والعقيدة: ما استقر في القلب وعقد عليه، فأول الدخول في الإسلام بتصحيح العقيدة يقول: أشهد، ولا يقول أعلم؛ لأن ما شهدته يكون اعتقادك فيه أشد مما علمته، لأن الشهادة لا تفتقر لدليل، أما الشيء الغائب فهو الذي يفتقر لدليل، فأنت تدخل في الإسلام من أعلى الدرجات، لأن الشهادة أعلى من العلم، فالعلم يفتقر لدليل والشهادة مستغنية عن الدليل

لكمال المعاينة. فلما شهدت الأمر عقدته في قلبك فصار عقيدة في قلبك أنه لا آله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

قال المصنف: (**صانوا بها عقائدهم عن البدع، ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل**) دانوا: أي تدينوا وتخلَّقوا، والدين له معنيان: الملة، والأخلاق والعادات والسلوكيات.

(**ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة**) أي من حُسْن الاعتقاد وصحة العمل، وهذا ما كان عليه سلف الأمة: حُسْن اعتقاد، وصحة في العمل ومداومة عليه حتى ماتوا.

(**من توحيد ليس فيه تمثيل**) لا بد أن توحد الله بتوحيد ليس فيه تمثيل أي تشبيه، ولا تظن أنَّ الله له مِثل أو مثيل، لأن المثيل ولو كان في الخيال فالخيال مخلوق، ويستحيل أن يُدرك المخلوق الخالق، مهما سبحت في دائرة الخيال والوهم فالله فوق ذلك، والله على خلاف ذلك، لماذا؟ لأن الخيال مخلوق، والمتصور في عقلك مخلوق، فالله لا يتصور، والله لا يُتخيل، وطالما لا يُتخيل ولا يُتصور إذا لا مثل له، وكل ما خطر ببالك فلله على خلاف ذل.

(**لا تمثيل ولا تعطيل**) أي ولا تعطيل للصفات وهنا يرد على بعض الفلاسفة الذين عطلوا الصفات وقالوا إنَّ الله لا يوصف؛ لأن الصفة تدل على تعدد الموصوف، فهو يرد على الفلاسفة، فنحن لا نعطل الصفات بل نجعلها صفات متعددة لذات واحدة، فتعدد الصفات لا يدل على تعدد الموصوف، ولا منع الصفة يدل على عدم الاتصاف. أما الفلاسفة فقد منعوا الوصف، قالوا: هي ذات غير موصوفة، لأن الصفة عندهم إذا تعددت تعددت الذوات

أو تقيدت بها الذات، أما مذهب أهل السنة ففيه الاعتدال، أولًا: نحن لا نمثل الله بشيء، لأن أول سورة يحفظها المسلمون وهم أطفال هي: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:١-٤]، نتربى على هذه السورة، ونتربى على أنَّ الله سبحانه وتعالى مُطلع علينا، الله معنا، الله قادر علينا، الله ناظر إلينا. وهذه عقيدة المسلم التي يتربى عليها ويرضعها مع لبن أمه.

وبالتالي ينشأ المسلم على هذا الاعتقاد السليم الذي لا يحتاج إلى كثير مناقشة أو جدال.

إذن: توحيد ليس فيه تمثيل حتى لا تُشبه الله بالمخلوق، ولا تعطيل حتى لا تكون الذات غير موصوفة، بل ذات موصوفة، ولها صفات عديدة، لأنه على كل شيء قدير، فطالما على كل شيء قدير فهو حكيم، معطي، رزَّاق، محيي، مميت، سميع، بصير، متكلم، عالم، حكيم... وهكذا إلى صفات الله الكثيرة التي عرَّف نفسه بها في قرآننا.

قال المصنف: (وعرفوا ما هو حق القِدم)

القِدم، قِدَم حقيقي أي لا بداية له وليس متولِّدًا من شيء، وهذا هو القِدَم الحقيقي، وهناك قِدَم ذاتي أي لا تسبقه ذات، وقِدَم زماني لا يسبقه زمان، وقِدَم إضافي أي صفاته مهما تعددت فهي أكبر من صفات من اتصف بها من خلقه، فإذا قلت أنت كريم والله كريم والنبي كريم، فهي صفة واحدة وصفت بها الله ﷻ ووصفت بها النبي ﷺ ووصفت بها نفسك، ولكن هذه الصفة تختلف بحسب إضافتها للمضاف إليه، وإن كان في ظاهرها واحد، فمرتبة الكرم إذا

وُصِفَ بها الله فمرتبة تليق بالله ومقامه، وإذا وصف بها النبي ﷺ تليق بمقام المخلوق الكامل، وإذا وصف بها غير الكامل تليق بمرتبة المخلوق غير الكامل وهو أنا وأنت.

فهناك قِدَم إضافي، وقِدَم ذاتي، وقِدَم مكاني، يتحقق ذلك كله في الله، فالله قَدِيم قِدَم ذاتي أي لم يسبقه ذات، لأنه لو سبقته ذات لأدَّى إلى التسلسل، ومن هذه الذات التي سَبَقت الله؟ ومَن الذي أوجدها؟ ومن أوجد الذات التي قبلها؟ ومن الذي أوجد الذات التي قبل التي قبلها؟، وهكذا يسمى التسلسل، والتسلسل محال عقلي، لأن كل شيء لا بد أن يكون له بداية، وهذه البداية تكون بداية البدايات ولا بداية لها، وإلا احتار العقل ووقف عن الفكر وتوقفت طريقة الإدراك، والله خلق العقل لنصل به إليه، وبالتالي التسلسل محال عقلي، فلا بد أن يكون هناك قديم بذاته لا ذات قبله، وهذا هو القِدَم، وهو الأول الذي ليس قبله شيء، كما أنه هو الآخر الذي ليس بعده شيء، لذا قال لك: **(وعرفوا ما هو حق القِدَم)** بعض الفلاسفة وبعض علماء المسلمين انخدعوا بكثرة اطلاعهم على كتب الفلاسفة وقالوا بقِدَم العوالم، أي كان الله منذ الأزل موجود، والعوالم موجودة منذ الأزل معه، وهذا خطأ؛ لأنهم جعلوا العوالم لا بداية لها، فجعلوا معه غيره وهذا لا يقبله العقل لأنه يؤدي إلى تعدد القدماء، ولا بد أن يكون هناك موجودا صدر منه كل هذه الأشياء الحادثة.

وقِدَم العوالم محال عقلي، وضد عقيدة المسلمين، ولكن إن قلنا بقِدَم العوالم من حيث العلم بها فهي قديمة، فهي معلومة في علم الله قبل وجودها، فلها وجه قديم إذا ربطناها بعلم الله، ولها وجه حادث إذا ربطناها بالوجود والتعيُّن، فمن قال بقِدَم العوالم لو كان يقصد أن العوالم موجودة في علم الله

قبل نشوئها وقبل ظهورها، فلها وجه صحيح. ولكن لو قالوا بِقِدَم العوالم من حيث الوجود والنشأة، فهذا خطأ، لأن من حيث الوجود فأول موجود هو الله، الذي صدر عنه كل موجود بعد ذلك، **(وعرفوا ما هو حق القِدَم)** يرد على العقائد الزائفة الموجودة عند المتقدمين.

قال المصنف: (وتحققوا بما هو نعت الموجود عن العدم)

نعت الموجود أي صفته، ونعت الموجود بحق هو الذي وجد لا من عدم، لأن من سبقه العدم فهو حادث، مثلنا أنا وأنت، والسموات والأرض، والأكوان﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١﴾ [الإنسان:١]، وهل بمعنى (قد) للتحقيق أي قد أتى على الإنسان حين من الدهر كان عدما، وكل ما كان له أصل في العدم فهو حادث، وكل من ليس له وجه في العدم فهو قديم، والقديم هو الله وحده الذي ليس له وجه في العدم، فلا يُتصور عدمه، ولا يُتصور اعتقاد عدم وجوده.

قال المصنف:(ولذلك قال سيد هذه الطريقة الجُنَيد[1] رحمه الله: التوحيد إفراد القِدَم من الحَدَث)

إن أردت علم واعتقاد السلف فإن سيد هذه الطائفة الإمام الجنيد رحمه الله نشأ في وقت السلف في الثلاث القرون الأولى، فالذي يقول إنَّ التصوف أمر

(١) سيد الطائفتين هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي القواريري، أصله من نهاوند ومولده في العراق، ولد سنة نيف وعشرين ومائتين، صحب خاله السري السقطي والحارث المحاسبي، وتفقه على مذهب الإمام الشافعي حتى صار يفتي الناس على مذهب ابي ثور صاحب الإمام الشافعي. قال ابن المنادي عنه: لم يُر في زمانه مثله عفة وعزوف عن الدنيا، كان له دكان في السوق يصلي فيه كل يوم وقت الضحى ثلاث مائة ركعة. كان يقول: علمنا مضبوط بالكتاب والسنة ومن لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به. توفي رضي الله عنه سنة سبع وتسعين ومائتين ودفن في بغداد وله مقام يزار.

حادث وليس من علوم السلف فقوله مردود، لأن التصوف هو السلوك إلى الله باعتقاد سليم، وعمل مطابق لعمل النبي ﷺ، والمداومة على ذلك مع مراقبة النفس وقطع العلائق والعوالق مع حسن الخلق، فقد نشأ مع بعثة النبي ﷺ، بل قبل بعثة النبي، فالنبي كان معروفًا بمكارم الأخلاق حتى قبل بعثته ﷺ.

قال: (سيد هذه الطريقة الجُنَيْد رحمه الله: التوحيد إفراد القِدَم من الحَدَث)

يقصد بالحدث هنا الحدوث، وإفراد القِدم من الحدث، أي أنَّ الله لا يسبقه شيء فهو قديم، أما الحادث فهو الذي سَبَقه العدم، وكل ما سبقه العدم اسمه حادث، وكل ما لم يسبقه العدم اسمه القديم، والذي يتصف بهذه الصفة واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.

قال المصنف: (وأحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل ولائح الشواهد)

(أحكموا) اي شيوخ هذه الطائفة وأتباعهم، **(أصول العقائد بواضح الدلائل)** أي عندهم الدلائل العقلية والمعارف القلبية، الدلائل العقلية التي تدلهم على أنَّ الله واحد، وأنه لا يشبه الحوادث **(ولائح الشواهد)**، والشواهد علوم قلبية، فعندهم أدلة عقلية ومعارف قلبية تدل على أنَّ الله لا يشبهه شيء، ولم يكن له كفوًا أحد، وأنه كان لا من عِلَّة، **(وأحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل، ولائح الشواهد)**. إذن تعرف ربك بأمرين: بدلائل عقلية ومعارف قلبية. والمعارف القلبية قد تسبق الدلائل العقلية عند بعض الناس، وهم أهل الخصوص، كما سألوا سيدنا عليا ﷺ: كيف عرفت ربك؟ لم يجب بدلائل عقلية، بل قال: عرفت ربي بربي، ولولا ربي ما عرفت ربي. لماذا؟ لأن

الدلائل العقلية مخلوقة، فهل يكون لها من الظهور ما ليس لله الظاهر حتى تدل عليه، وهذه الدلائل ما استمدت ظهورها إلا من ظهور الظاهر فيها، فهذه الدلائل مفتقرة والله غير مفتقر، فهناك من أهل الإيمان يبدأ إيمانه قلبيًا قبل أن يكون عقليا، وهناك من أهل الإيمان من يبدأ إيمانه عقليًا ثم بعد ذلك يرتقي إلى إيمان القلب.

فالدلائل العقلية أن تصل إلى الله بأثر العوالم، قال لنا في القرآن ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢]، لنعلم من خلال هذه الدلائل أنَّ الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، وأهل الإيمان عرفوا الله ولم ينظروا لغيره ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام:٩١]، لأن الدلائل قد تُخطئ المدلول إذا كان هناك خلل في العقل بسبب الهوى، أما المعارف القلبية فلا تُخطئ، فهناك من يعرف ربه بربه، وهناك من يعرف ربه بعقله ثم يرتقي فيصير يعرفه بقلبه. والمعرفة القلبية هي التي عليها المدار والتي عليها حُسْن الخاتمة. ولذلك راعى المرتبتين (**بواضح الدلائل**) مثل الأعرابي الذي قيل له: كيف عرفت ربك؟ قال: ((البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، وسماء ذات ابراج، وصحاري ذات فجاج، أفلا يدل ذلك على ذات العليم الخبير)). أي وصل بالدلائل العقلية على أنَّ هناك محرك لهذه المتحركات، وموجد لهذه الموجودات، وفاعل لهذه المفعولات بالدلائل العقلية (**بواضح الدلائل**) و(**لوائح الشواهد**) عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي. فيكون مفطورا على معرفة الله، بحيث إنه لا يتصور أنَّ الله يحتاج لدليل حتى يدل عليه.

قال المصنف:(كما قال أبو محمد الجريري رحمه الله) [(١)]

المتوفى سنة ٣١١ هجري، نتكلم في علوم وإشارات نشأت في العصور الأولى عصور السلف، حتى لا يقول قائل أنَّ التصوف أمر مبتدع في الدين، فالتصوف هو السلوك الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ لأنه هو الذي علَّمنا السلوك الحق والتوجه الحق وأن النية تكون لله وحده.

قال المصنف:(كما قال أبو محمد الجريري رحمه الله: (من لم يقف على علم التوحيد بشاهد من شواهده زلَّت به قدم الغرور في مهواة من التلف)

أي إن كنت عرفت الله بغير دليل قلبي أو عقلي فأنت على خطر عظيم، فقد تزل قدمك في يوم من الأيام إذا ما واجهت شبهة ما، أو تحيد عن المعرفة فتصل إلى درجة سوء الخاتمة، فلا بد أن يكون لديك شواهد ودلائل تمنعك من الوقوع في هذه الزلات، ولو من الأدلة العامة والبسيطة، لأنه غير مطلوب من كل عوام المسلمين أن يعرفوا أدلة المتكلمين، لكن يكفيهم الدليل الإجمالي، كدليل الأعرابي البسيط، وربنا ﷻقال لنا دليل الأعرابي البسيط ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور:٣٥-٣٦]، فهل خُلقت السماوات والأرض من غير شيء؟ وهل ادعت السماوات والأرض أنها خلقت نفسها، فمن أوجدها وأوجدك؟ وهذا دليل يكفي، فكل مسلم يقرأ القرآن لديه دليل إجمالي وتفصيلي من خلال الآيات الدالة على القدرة والإحياء والإقامة تدل على أنَّ

(١) هو احمد بن محمد بن الحسين الجريري، لقي السري السقطي وصحب الجنيد والتستري رضي الله عنهم وهو من مشايخ الصوفية، اقعد بعد الجنيد في مجلسه لتمام حاله، توفي سنه ٣١١ هجري وقد ناهز التسعين من العمر.

الله موجود، لكن التقليد في العقائد دون دليل ولو إجمالي يؤدي إلى سهولة دخول الشبهة في القلب، وسمعنا عن كثير من المسلمين دخلوا في هذا الدين بغير علم. أو دخلوا بعاطفة أو هوى وماتوا على غير الإسلام، حتى أنَّ بعض الناس حفظوا القرآن وماتوا على غير الإسلام، لأنه لم يوطد معرفته من خلال هذه الآيات بمعرفة الله، بل حفظ الآيات على صورة ترانيم صوتية أكثر منها معاني ذوقية. لذلك قال لك: (من لم يقف على علم التوحيد بشاهد) أي بدليل (من شواهده) أي من أدلته، سواء كانت أدلة قلبية وهي معارف وأنوار في القلب، أو أدلة عقلية تؤدي إلى المدلول (زلَّت به قَدَم الغرور في مهواة من التلف) والمهواة من هوى أي سقط من ارتفاع، لأن الإيمان مقامه عالي، فإن تركه كأنما سقط إلى الحضيض، (في مهواة من التلف) وهو الكفر.

قال المصنف: (يريد بذلك: أنَّ من ركن إلى التقليد ولم يتأمل دلائل التوحيد سقط عن سنن النجاة ووقع في أسر الهلاك)

فالتقليد في الفروع لا بأس به، كالتقليد في فروع الفقه كالصلاة، والوضوء، وحدود العورة، وتفاصيل الأعمال في البيوع وفي الشراء وفي الأحكام الفرعية، لكن يصيبك ضرر التقليد إذا كان في العقائد، فلا بد أن تكون لديك ادلة في العقائد، كقولك: إن سيدنا محمد رسول الله، فما دليلك إنه رسول؟ تقول: دليلي على أنه رسول لأنه صادق أمين، جاء بالمعجزة وأخبر بالغيوب. ومعرفة معجزات النبي ﷺ مهم لتصحيح العقائد، فنحن عندما نحتفل بالمولد النبوي ونجمع الناس ونكلمهم عن سيرة النبي ﷺ وخصائصه فهذا يصحح عقائد الناس، فيعرفون خصائصه وفضائله وفواضله وشمائله.

قوله (**أنَّ من ركن إلى التقليد**) في العقائد، (**ولم يتأمل دلائل التوحيد**) ولو إجمالًا، (**سقط عن سنن النجاة**) النجاة في الدنيا والآخرة (**ووقع في أسر الهلاك**) وهو الغفلة والكفر والمعصية والبعد عن الله سبحانه وتعالى. فإذا سألت شخصا بسيط: ما دليلك على أنَّ الله موجود؟ يقول هو الذي خلقني، فهل أنا أوجدت نفسي؟ فهذا عنده دليل إجمالي يكفيه ويعيش به مطمئنا.

قال المصنف: (ومن تأمل ألفاظهم وتصفح كلامهم وجد في مجموع أقاويلهم ومتفرقاتها ما يثق بتأمله بأن القوم لم يقصروا في التحقيق عن شأو ولم يعرجوا في الطلب على تقصير)

(**ومن تأمل ألفاظهم**) أي أقوالهم (**وتصفح كلامهم**) أي كلام شيوخ هذه الطائفة (**وجد في مجموع أقاويلهم ومتفرقاتها ما يثق بتأمله بأن القوم لم يقصروا في التحقيق**) أي في التحقق بمقامات التوحيد ومعرفة الله ﷻ و(**لم يقصروا في التحقيق عن شأو**) شأو أي عن غاية، أي بذلوا كل جهدهم لتصحيح عقائدهم قبل أن يشرعوا في العمل وهو العبادة (**ولم يعرجوا في الطلب على تقصير**) أي لم يقصروا أبدًا في أمر من هذا، لأن طريق القوم طريق قائم على العزيمة وعدم الإفراط ولا التفريط، اجتهاد بلا إجهاد وبلا تفريط.

قال المصنف: (ونحن نذكر في هذا الفصل جملا من متفرقات كلامهم فيما يتعلق بمسائل الأصول)

والأصول التي هي علم العقائد ثم نحرر على الترتيب بعدها ما يشتمل على ما يحتاج إليه في الاعتقاد على وجه الإيجاز والاختصار.

فيوجد لدينا أصناف من العلماء، كعلماء الأصول وعلماء الفقه، وعلماء التصوف، إسلام وإيمان وإحسان، الإسلام يمثله علماء الفقه، والإيمان يمثله علماء الأصول والاعتقاد، والإحسان يمثله علماء التصوف وشيوخ التربية. فعلماء الفقه في مقام الإسلام وغاية ما يبحثون عنه صحة الأعمال أسباب بطلانها، وعلماء الأصول يبحثون في تصحيح العقائد. اما مبحث أهل الإحسان فكيف يكون عملك صحيحًا فقها ويكون مقبولا عند الله بمراعاة الأدب وصحة الاعتقاد، فليس كل عمل صحيح مقبول، فالفقه يُعلمك العمل الصحيح، والإيمان يعلمك الأدب لقبول العمل الاعتقاد السليم، والإحسان يعلمك العمل المقبول. فهل كل مصلٍ صلاته صحيحة مقبولة؟ كم من مصلٍ صلاته صحيحة، محسن للوضوء، وساتر للعورة، ويقوم بالركوع والسجود على الوجه الأكمل، فصلاته صحيحة فقهًا، ولكن لا يوجد في قلبه تواضع لله ولا رحمة للخلق، وفي قلبه حرص وغل وحقد وحسد وقسوة، وربنا قد لا يقبل صلاته بالرغم من إنها صحيحة فقهـًا، فربنا ﷻ يقول في الحديث القدسي: «إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطل على خلقي، ورحم الأرملة والمسكين وابن السبيل، وقطع النهار في ذكري»(١) وشيوخ الصوفية يبحثون عن كيفية قبول العمل؟ والفقهاء يبحثون: كيف يؤدى العمل؟ وعلماء الأصول عن كيف يُصحح الاعتقاد في القلب؟ كل له مجاله، وأنت محتاج للكل. وربنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢﴾ [المؤمنون:١-٢]، إذا نظرت في كتب الفقه فلن تجد فيها باب الخشوع، ولا تجد، باب الإخبات، وربناﷻ يقول:

(١) مسند البزاز (٤٨٥٥)

﴿ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾ [الحج:٣٤] وقال ﷻ: ﴿مُّشۡفِقُونَ﴾ [المؤمنون:٥٧]، وقال: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾ [آل عمران:١٠٣]، فكيف أكون معتصمًا، ﴿وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ [الشورى:١٥]، وكيف أكون مستقيمًا، باب الاستقامة من الأبواب القلبية، ولا تجد ذلك كله لا في كتب الأصول ولا في كتب الفقه، وتجده في كتب القوم، فنحن محتاجون للتصوف لتصحيح الأعمال لتكون صالحة للقبول، فكم من عمل صحيح فقهًا غيرِ مقبول عند الله فرب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش.

قال المصنف: (ثم نحرر على الترتيب بعدها ما يشتمل على ما يحتاج إليه في الاعتقاد) الاعتقاد ما وقر في القلب **(على وجه الإيجاز)** والإيجاز هو عدم التطويل، ففي علوم البيان يوجد الأطناب والإيجاز والمساواة، فالمساواة هو أن يساوي الكلام معناه لا زيادة ولا نقصان، والإيجاز: هو أن يكون المعنى أوسع من الكلام، والإطناب: هو أن يكون الكلام أوسع من المعنى.

(على وجه الإيجاز والاختصار) الاختصار هنا عطف تفسير للإيجاز.

قال المصنف: (سمعت: الشيخ أبا عبد الرحمن محمد بن الحسين السُّلَمِي[1]، رحمه الله تعالى يقول: سمعت عبد الله بن موسى السلامي، يقول:

(١) هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي، ولد سنة ٣٣٠ هجري، نشأ في رعاية والده الشيخ الصوفي ووالدته التقية الزاهدة، وصرف همته باكرا في دراسة العلم والحديث والتصوف، ورحل إلى طلب العلم إلى الري وهمدان والحجاز وغيرها، ومن أشهر تلاميذه أبو بكر البيهقي مصنف السنن الكبرى، وعبد الله الجويني إمام عصره في نيسابور، وعبد الكريم القشيري مؤلف هذا الكتاب، ولقد صنف الشي أبو عبد الرحمن السلمي في الحديث والتفسير والتصوف، توفي رضي الله عنه سنة ٤١٢ هجري.

سمعت أبا بكر الشبلي[(١)] يقول: الواحد المعروف قبل الحدود وقبل الحروف)

الواحد المعروف، أي معروف لا يحتاج إلى تعريف، ولا يفتقر إلى دليل لأن هذا حال أهل الشهود والمعرفة.

والحدود: هي الجهات الزمانية والمكانية والصفاتية، لكن الله سبحانه وتعالى هو الذي خَلَق الحدود فكيف تُحِده الحدود، فلا يحده زمان ولا مكان ولا صفة ولا كيف ولا وصف، لأن كل هذه الأشياء مخلوقة، والله محيط بها والله بكل شيء محيط ولا يحاط به علمًا ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، فكيف يُحيط المحاط به وهو المخلوق بالمحيط بكل شيء وهو الله؟ مستحيل عقلي، لأن الله كان قبل الحدود ولا يحده حد وهو الذي خلق الحدود والقيود، **(المعروف قبل الحدود وقبل الحروف)** حتى الحروف وهي الكلمات التي تصفه فهو موجود قبلها، على اعتبار أنَّ اللغة حادثة، والله كلَّمنا بلغة عربية، قرآن عربي، حروف عربية، فهو موجود قبل الحروف، وقبل نزول الكتب، وقبل خَلْق الخَلْق، وقبل إرسال الرسل.

قول المصنف: (وهذا صريح من الشبلي أنَّ القديم سبحانه لا حد لذاته، ولا حروف لكلامه).

فإذا كان الله موجوداً قبل الحروف، وعلمه قديم، فعلم الله متعلق بكلام بغير حرف ولا صوت ولا قيد.

---

(١) شيخ الطائفة أبو بكر الشبلي البغدادي، ولد في سامراء عام ٢٤٧ هجري، كان ابوه من كبار حجاب الخلافة، صحب الشبلي الإمام الجنيد وغير ممن كانوا في عصره، كان الشبلي فقيها على مذهب الامام مالك، صار شيخ وقته: حالا وعلما ومقالا، توفي سنة ٤٣٣ هجري ودفن في بغداد وله مقام يزار.

أي إذا قلنا أنَّ القرآن قديم فنقصد انه دال على الكلام لله القديم، وإن كنا نقصد به الحروف والآيات التي نتلوها بلسان عربي مبين فهو حادث، فالقرآن له وجه حادث لأن الحروف دالة على مدلول قديم، والآيات دالة على كلام قديم.

وابن سينا قال بقِدَم العوالم، وبعض العلماء كفروا ابن سينا، وهو من كبار علماء المسلمين، ونحن لا نكفره بل نوضح قصده وهو يقصد قِدَم العوالم من جهة علم الله بها، لأنها إذا تعلَّقت بعلم الله صارت قديمة، وإذا تعلقت بالوجود الحادث بعد كُن صارت حادثة.

مثال آخر: الذين قالوا بفناء النار، والقرآن يقول إنَّ النار خالدة﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾[الأحزاب:٦٥]، وبعض العلماء يقول بفناء النار، فإذا دققت ستجد أنَّ الخلاف لفظي وليس معنويا، لأن النار التي يدخلها عُصاة الموحّدين، ثم يُخرجوا منها تصبح خالية فتفنى، والنار التي يدخلها أبو لهب وفرعون والكفار لا تفنى، والذي قال بعدم فناء النار قصد نار الكفار، والذي قال بفناء النار قصد النار التي يدخلها عصاة المؤمنين، لذلك نقول كلما اتسع علمك وقلبك وصدرك تجد إن كل طوائف المسلمين عندها حق من وجه فلا تبدعها ولا تكفرها.

يقول الشبلي: (**أنَّ القديم سبحانه لا حد لذاته، ولا حروف لكلامه**)

كلام الله ليس بحرف، ولا صوت، ولا آلة. الإنسان لكي يتكلم يحتاج إلى فم وأنف ولسان يتحرك وهواء، فهذه هي آلة الكلام، ويحتاج مقاطع، والمقاطع محتاجة إلى زمن، والصوت موجات له سرعة محددة بزمان وساعة، فهل

كلام الله يحتاج لآلة وزمن؟ الجواب: لا. فالله خارج عن ذلك، لأنه لو احتاج إلى ذلك افتقر لغيره وصار مظروفا في زمان ومكان جل سبحانه عن ذلك.

قول المصنف: (سمعت أبا حاتم الصوفي، يقول: سمعت أبا نصر الطوسي[١] يقول: سئل رويم[٢] عن أول فرض افترضه الله عز وجل على خلقه ما هو؟ فقال: المعرفة؛ لقوله جل ذكره: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾[الذاريات:٥٦]، قال ابن عباس: إلا ليعرفون).

ولذلك ورد في الحديث «من عَرَفَ ربه فقد عَرَف نفسه» وعلماء الصوفية قالوا «من عَرَفَ نفسه عرف ربه»، على سبيل مفهوم المخالفة ولا يوجد حديث مرفوع للنبي ﷺ بهذا اللفظ ولكن اشتهر على ألسنة العارفين بالله ومعناه صحيح يوافق حديث النبي ﷺ: «تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة»[٣] ويوافق قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات:٢١]. أي من عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة، ومن عرف

(١) هو نصر بن ابي نصر محمد بن احمد بن يعقوب الطوسي ولد سنة ٣١٦ ه، حدث عنه السلمي والحاكم وأبو نعيم واخرون، كان يلقب بشيخ الصوفية وظاهرا في علوم الشريعة. توفي ٣٨٣ هجري.

(٢) هو رويم بن محمد بن يزيد البغدادي من اعلام اهل التصوف وشيوخهم، وهو فقيها على مذهب داود الظاهري، توفي سنة ٣٠٣من الهجرة.

(٣) رواه البخاري (٢٨٤٩) عَنْ حَنَشٍ الصَّنْعَانِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَلَا أَحْفَظُ حَدِيثَ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ أَنَّهُ قَالَ كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يَا غُلاَمُ أَوْ يَا غُلَيِّمُ أَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِنَّ فَقُلْتُ بَلَى فَقَالَ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا.

نفسه بالحدوث عرف ربه بالقِدَم، ومن عرف ربه بالعلم عرف نفسه بالجهل، ومن عرف ربه بالذِّكر والحِكمة والإحاطة عرف نفسه بالغفلة، وبالتالي إذا عرفت صفات نفسك عرفت أنَّ الله على خلاف ذلك.

قول المصنف: (**وقال الجنيد: إنَّ أول ما يَحْتَاجُ إليه العبد من عَقْد الحكمة: معرفة المصنوع صانعه، والمُحْدَثُ كيف كان إحداثه، فيعرف صفة الخالق من المخلوق، وصفة القديم من المُحْدَث، ويذل لدعوته، ويعترف بوجوب طاعته، فإنَّ من لم يعرف مالكه لم يعترف بالمُلْك لمن استوجبه**).

المصنوع هو المخلوق، فلا بد أن يعرف المصنوع صانعه، ومن أوجده.

قوله: (**والمُحْدَثُ كيف كان إحداثه**) المحدث أي الذي سَبَقه العدم (**كيف كان إحداثه**) كيف كان وجوده، من أوجدني؟ من خلقني؟ من رزقني؟

(**فيعرف صفة الخالق من المخلوق**) واعلم أنَّ هناك فارق بين المخلوق والخالق، (**وصفة القديم من المُحْدَث**)، والقديم هو من لم يسبقه عدم، والمُحْدَث هو كل من سبقه العدم (**ويذل لدعوته**) أي يخضع لعبادته والدعاء له (**ويعترف بوجوب طاعته**) فهو الذي بيده الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله (**فإن من لم يعرف مالكه لم يعترف بالمُلْك لمن استوجبه**) حتى يُعطي المالك حقه من الطاعة والإذعان والانقياد والمراقبة.

قول المصنف: (**قال: أخبرني محمد بن الحسين، قال: سمعت محمد بن عبد الله الرازي**[1]**: يقول: سمعت أبا الطيب المراغي يقول: للعقل دِلالة،**

---

(١) محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن شاذان الرازي الصوفي، ولد سنة ٣٤٠ هجري في نيسابور، قال عنه الذهبي: له اعتناء بعبارات القوم وله جلالة وافرة عند الصوفية، قال عنه عبد الرحمن السلمي (من اجل مشايخ نيسابور في وقته) توفي سنة ٤٧٦ هجري.

وللحكمة إشارة، وللمعرفة شهادة؛ فالعقل يَدُل، والحكمة تُشِير، والمعرفة تشهد: أنَّ صفاء العبادات لا يُنَال إلا بصفاء التوحيد).

قوله: (**للعقل دلالة**) بمقتضى العلم، لأن العلم يقوم على الدليل.

(**وللحكمة إشارة**) والحكمة هي وضع الأمور في نصابها، والحكمة تُشير أنَّ من وراء هذا التدبير حكيم عليم قادر، فالحكمة تشير إلى القدرة والعزة والقهر والرازق. فالحكمة توصلك للحقيقة ولكن من بعيد.

(**وللمعرفة شهادة**) إذا انتقل الإنسان من الحكمة التي أشارت إلى حضرة مولاه مدبر كل شيء، شهد بمعنى عرف يقينا، فإذا شهد استغنى عن الإشارة وعن الدليل. فالمعرفة محلها القلب، والدليل محله العقل، والحكمة بين العقل وبين القلب. والحكمة تشير إلى الحقيقة، أما المعرفة فتُعاين الحق والحقيقة، والمعاينة تجعلك تستغني عن الدليل وعن الإشارة.

لذا (**للعقل دلالة، وللحكمة إشارة**) إشارة إلى التوحيد، وأن الذي فعل ذلك كله واحد﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[الأنبياء:٢٢]، وبما أنه لا يوجد فساد، إذن لا بد أن يكون واحدا متفردا. فالحكمة تشير إلى الواحد، وإذا عرفت الواحد تجلى لك كل شيء واستغنيت عن الإشارة وعن الدليل.

(**وللمعرفة شهادة**) يعني تحقيق (**فالعقل يدل والحكمة تشير والمعرفة تشهد**) تشهد (**أنَّ صفاء العبادات**)، يعني سلامتها من الرياء ومن العُجب ومن الاعتماد عليها، فالعبادات لا بد أن تَسْلم من الرياء والعُجب، ثم إذا فعلتها على الوجه الأكمل خالصة لله، إياك أن تعتمد عليها، وإلا صارت العبادات فيها كَدَر، فالمعرفة تُشهدك، فإذا شهدته بقلبك علمت أنه ليس معه شيء حتى ترائيه أو تخشاه فيصفو لك الإخلاص.

قوله: (**أنَّ صفاء العبادات لا يُنال إلا بصفاء التوحيد**) لأنه لو وصلت إلى أنَّ الواحد هو الفعَّال لما يريد، فتنسب العمل له لا لنفسك، ففي هذه الحالة تَصْفو العبادات بصفاء التوحيد.

فصفاء التوحيد ألا تشهد إلا إياه﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦]، ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ ﴾ [هود:٨٨]، لا حول ولا قوة إلا بالله، فإذا كان الأمر كذلك يصفو التوحيد فيصفو العمل من شوائب الشرك الأصغر وهو الرياء ويصفو العمل من العجب والاعتماد عليه.

قال المصنف: (**وسُئِل الجُنَيْد عن التوحيد، فقال: إفراد المُوَحَّد بتحقيق وَحْدانيته بكمال أحديته، انه الواحد الذي لم يلد ولم يولد. بنفي الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه، ولا تكييف، ولا تصوير ولا تمثيل** ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١].

فالموحَّد هو الله. والمُوَحِّد هو العبد.

قوله: (**إفراد المُوَحَّد بتحقيق وَحْدانيَّته**) تحقيق الوحدانية ومعناه إخراج التقليد، فيجب أن يكون لديك دليل عقلي، وإشارة إلى الحكمة، ومعرفة في القلب.

(**إفراد المُوحَّد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته**) ما الفرق بين الواحِدية والأحدية؟ الوحدانية مرتبة الواحدية، والفردانية مرتبة الفردية، فالله واحد فرد صمد، فالوحدانية صفة مرتبة الواحد، ومرتبة الواحد يتجلى في صور كثيرة، فالواحدية لها تجليات عديدة، لكن الكل من ذات واحدة، فلا يشغله تعدد التجليات عن الواحد الأحد، الذي هو مصدرها﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ ﴾

[البقرة:١١٥]، فوجوه التجلي كثيرة إلا أن الذي أوجدها وأظهرها واحد. لذلك يقول (**بتحقيق وحدانيته**) يعني بنسبة كل تجليات الواحدية من مرتبة الوحدانية في الأكوان (**بكمال أحديته**) لكمال أحديته التي لا تقبل التجزُّؤ ولا التعدد ولا لدوام وجودها بصفتها النفسية وهي الوجود.

قوله: (**أنه الواحد، الذي لم يَلِد، ولم يُولَد**) فهو لم يأت من شيء، وكذلك لا يخرج منه شيء وإلا يتجزَّأ.

قوله: (**بنفي الأضداد**) بنفي الأضداد أي الأنداد، فيجعل لله ندًا وهو خَلَقَه، فالأضداد والأنداد معنى واحد، لأن الشرك أن تجعل لله ندًا وهو خَلَقَك. وهو يقول الأضداد والأنداد، والعطف للتفسير، فلا شبيه له ولا ند له ولا شيء معه.

قوله: (**والأشباه**) ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى:١١]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:٤]، ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات:١٨٠]، لا شبه له؛ لأنك لو شبَّهته بشيء فقد شبهته بمخلوق والله خالق، وهناك فرق بين المخلوق والخالق.

قوله: (**والأنداد والأشباه بلا تشبيه**) فإياك أن تظن أنه جسم ليس كسائر الأجسام، لأن الجسم له لوازم وهي الأجزاء والأبعاض والتحيز وظهور الأعراض عليه.

وغير الجسم الجوهر، والجوهر لا أجزاء فيه ولكن يتحيز ويحتاج وكان يحل فيه.

مثال ذلك: الضوء مكون من فوتونات، فهو عبارة عن كتلة صغيرة لها خصائص قد تتصرف بطريقة الموجات، وقد تتصرف بطريقة الكتل، وهذه أعراض، وهي مُشَبَّهة، مُكَيَّفة، مفتقرة للمكان والزمان ويحل فيها العَرَض، وحلول العَرَض معناه التَّغَيُّر، والله يستحيل أن يتغيَّر، فلا يقوم فيه الأعراض، ويستحيل أن يفتقر لمكان فهو الذي خَلَق المكان.

فالله ليس بجسم ولا جوهر ولا عَرَض. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ والعجز عن الإدراك هو عين الإدراك.

قوله: (**بنفي الأضداد، والأنداد، والأشباه بلا تشبيه**) إياك والتشبيه، فهناك أناس شَبَّهت ولم تُكَيِّف، يقولون له يد ولكن بلا كَيف! فوقعوا في التشبيه، له عين ولكن بلا كيف، وهؤلاء لم يَخْلُص لهم التوحيد بعد؛ لأنهم شبَّهوه بالجسم والجوارح دون أن يُكَيِّفوا، فلا بد أن تنفي التشبيه والتكييف، كي تصل لحالة العجز عن الإدراك؛ لأن الله فوق كل توهُّم، أي الخيال لأن خيالك مخلوق، فكيف لعالم الخيال أن يستوعب الخالق وهو مخلوق! والله عز وجل يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، و﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ۝٥٤﴾ [فصلت:٥٤]، فالوهابية في هذا العصر، خرجوا من أهل السنة والجماعة؛ لأنهم شَبَّهوا ولم يُكَيِّفوا، يقولون له يد ليست كأيدينا، وله رجل ليست كأرجلنا، وله ساق...! فنسبوا إلى الله كل وتمحكوا بالبلكفة أي بقولهم بلا كيف، فلا بد أن تنفي التشبيه وتنفي التكييف، وطائفة المجسمة كيفوا وشبهوا وكل ذلك ضلال ونعوذ بالله منه.

قوله: (**بلا تشبيه، ولا تكييف، ولا تصوير**) ولا تتصور الله في ذهنك. فالإيمان بالله بالتصديق دون التصوير، لأن الصورة حد وقيد والله خارج عن كل ذلك سبحانه.

ومعلوم أن الإدراك يبدأ بتصور الكلمة المفردة في الذهن ثم بعد ذلك التصديق بنسبة المفردات لتكوين جملة مفيدة فالتصور للمفردات والتصديق للجمل.

مثال ذلك: الشجرة، تصور في عقلك صورة الشجرة، نبات قائم على ساق وله فروع، التصور أولًا ثم التصديق. فالتصوير لإدراك المفرد، والتصديق لإدراك النسبة.

الله فرد. هل له صورة؟ لا يُتَصَوَّر، لكن نصدق بوجوده. فالله الواحد الأحد الذي يُعلم بالتصديق دون التصور، وكل ما سواه يتصور ويصدق.

«الله خالق» نسبة «الله موجود» نسبة «الله قادر» نسبة، فكل النسب يسمونها تصديقا، لكن الاسم المفرد «الله» فلا تتصور له شكلا ولا صورة ولا شيئا لأنه ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى:١١]، ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص:٤]، ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠﴾ [الصافات:١٨٠]، فكل ما خطر ببالك فالله على خلاف ذلك، فنصدق بوجوده ونسميه بأسمائه ونصفه بأوصافه دون تصور حد أو قيد أو صورة.

تنبيه: أهل الطائفة توحيدهم خالص وعلومهم راسخة، وبالتالي لما سَبَقوا في التوحيد صَفَت لهم الأعمال، ولما صَفَت لهم الأعمال أثمرت المعارف، فلما تعرَّفوا تيقَّنوا، ثم بعد ذلك ارتقوا فنالوا الدرجات العُلى.

(بلا تشبيه، ولا تكييف، ولا تصوير ولا تمثيل، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى:١١]، أي منزه عن الزمان، فكل حادث

له بداية ومحصور بزمن، فلا بد أن يكون مُنَزَّهـًا عن الزمان. أول بلا بداية، آخر بلا نهاية، قهر الزمان بالأولية، وقهر الفناء بالآخرية. فوجب تنزيهه عن الزمان والمكان، لو احتاج إلى المكان صار محصوراً فيه فصار مكيناً وهذا محال، فيستحيل أن يُحيط بالله شيء.

وأيضًا مُنَزَّه عن الانتقال؛ لأن الانتقال يقتضي التغيُّر، والتغيُّر علامة الحُدوث فلا ينتقل.

وكذلك الحلول، لأن الحلول يقتضي وجود غيره معه فينتقل فيه، ويستحيل أن يكون حالاً في شيء، فلا ينتقل في شيء ولا يحل في شيء سبحانه وتعالى.

وكذلك الجهة، مُنَزَّه عن الجهات، فلا بد أن تُنزهه عن الزمان والمكان والحلول والانتقال والجهة، وإلَّا لم يصفُ لك التوحيد وتَذُق حلاوة الإيمان.

قول المصنف:(أخبرنا محمد بن أحمد بن يحيى الصوفي، قال: أخبرنا عبد الله بن علي التميمي الصوفي، يحكي عن الحسين بن علي الدَّامغاني، قال: سئل أبو بكر الزاهر أبادي، عن المعرفة، فقال: المعرفة اسم، ومعناه وجود تعظيم في القلب يمنعك عن التعطيل والتشبيه) المعرفة اسم لحقيقة في القلب، نقول: العارف بالله، يعني العارف بالله بقلبه، فالمعرفة اسم ومعناه وجود تعظيم في القلب.

ومتى يأتي التشبيه؟ عندما تحمل الصفات على حقيقتها تقع في التشبيه، فلا بد أن تنفي الحقيقة عن الصفات، لأن الحقيقة تدل على أنَّ هناك تصور،

ولا بد أن يوجد المجاز حتى نتجاوز المعنى المتصور إلى التصديق بكمال التنزيه، ولولا المجاز ما وصف الله نفسه في القرآن. لأن المجاز واسع يتحمل صفة ما لا يدرك. إنما الحقيقة متصورة، وإذا حملنا الألفاظ على حقيقتها نقع في التصور والتشبيه. وهذا الذي وقع فيه ابن تيمية رحمه الله ومن سار على نهجه، فأنكروا وجود المجاز في القرآن والسنة، فحملوا الألفاظ على حقيقتها فصوروا وشبهوا، ولما وقعوا في التصوير أرادوا التنزيه فلم يكيفوا فقالوا له يد ليست كأيدينا بلا كيف، وله عين بلا كيف، فنسبوا إليه الجوارح، يعني الأبعاض ولما وجدوا أنفسهم وقعوا في الغلط قالوا بلا كيف، لذلك لم يصلوا إلى التوحيد الخالص، لأنهم شبهوا ولم يُكيفوا، فالتعطيل هو نفي الصفات، والتشبيه هو حمل الصفات على حقيقتها المقصورة.

قول المصنف:(وقال أبو الحسن البُوشَنْجي[(١)] رحمه الله: **التوحيد أن تعلم أنه غير مُشْبِهٍ للذوات ولا مَنْفي الصفات**)

(**أن تعلم أنه** –سبحانه بذاته– **غير مُشْبه للذوات**) لأن الذوات أجسام، وجواهر، وأعراض، ويستحيل أن يتصف بذلك.

(**ولا مَنْفي الصفات**) وإياك أن تنفي عنه الصفات مخافة أن تظن أنه متعدد في الذات على حسب مقتضيات تعدد الصفات، لأن الموحدين من الفلاسفة قالوا: إنَّ الله موجود لكن بغير وصف، لأن الصفات تعني التعدد في الذات أو القيد في الصفات، وهو منزه عن ذلك فنفوا الصفات، فوقعوا أيضًا

(١) احمد بن سهل البوشنجي، صحب ابن عطاء ولقي أبو بكر الشبلي، وهو من اعلم مشايخ وقته في علم التوحيد واكملهم في الفتوة والتجريد، توفي سنة ٣٤٨ هجري.

في التعطيل.

فنحن أمام فرقتين الأولى: أثبتت لله الكيفية أو التشبيه فصار مُجَسِّمـًا، والثانية: نفت عن الله الصفات فصار مُعَطِّلاً، والحق بينهما، والحق أثبات الصفات تصديقا بغير تصور وتشبيه.

قول المصنف: (أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي، رحمه الله تعالى، قال: سمعت محمد بن محمد بن غالب قال: سمعت أبا نصر أحمد بن سعيد الأسفنجاني يقول، قال: قال الحسين بن منصور[1]: ألزم الكل الحَدَث، لأن القِدَم له، فالذي بالجسم ظهوره فالعَرَض يلزمه، والذي بالأداة اجتماعه فقواها تمسكه، والذي يُؤَلِّفه وقت يُفَرِّقه وقت، فالذي يقيمه غيره فالضرورة تمسه، والذي الوهم يظفر به فالتصوير يرتقي إليه، ومن آواه محل أدركه أين، ومن كان له جنس طالبه مكيف)

(١) أبو المغيث الحسين بن منصور الحلاج (رحمه الله) ولد (٢٤٤هـ) نشأ بالعراق وصحب الجنيد والثوري وعمرو بن عثمان المكي والشعري والشبلي وغيرهم رحمهم الله أجمعين اختلف المشايخ في أمره فمنهم أبوا أن يكون له قدم في التصوف وقبله الباقين وأثنوا عليه. قال محمد بن حنيف (الحسين بن منصور عالم رباني). وكما نرى استشهد بكلامه الإمام القشيري في ذكر عقيدة الصوفية وجعله من أئمتهم في كتابة الرسالة القشيرية. من كلامه رحمه الله عندما سُئل عن المريد فقال: (هو الرامي بأول قصده إلى الله تعالى فلا يعرج حتى يصل). وكان يقول (من لاحظ الأعمال حُجب عن المعمول له ومن لاحظ المعمول حُجب عن الأعمال) (الطبقات الكبرى للشعراني). قال الشعراني رحمه الله في كتابه لطائف المنن ج٢ ص٨٤ (وقد كان الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه يقول أكره من الفقهاء خصلتين: قولهم بكفر الحلاج وقولهم بموت الخضر عليه السلام أما الحلاج فلم يثبت عنه ما يوجب القتل وما نقل عنه يصح تأويله). وقال عنه الشيخ عبد القادر الجيلاني (رضي الله عنه) (عثر الحلاج في زمانه فلم يجد من يأخذ بيده ولو كنت في زمانه لأخذت بيده). قُتل رحمه الله في بغداد (٣٠٩هـ) ودفن هناك وله مقام يزار إلى يومنا هذا.

أي ألزم كل الموجودات أمامك أنها حادثة لها بداية ولها نهاية، و(**ألزم الكل الحَدَث**) أي علامات الحدوث فيها ظاهرة، وعلامات الحدوث: أنَّ لها بداية وتتغير ولها نهاية، وكل ما كان له بداية وكان متغيراً وكان له نهاية فهو حادث، فكل ما في الأكوان حادث.

قال سيدي أحمد الدردير في الخريدة البهية:

ثـمَّ اعْـلَـمَـنْ بـأنَّ هـذا العالَمَا   أيْ ما سِوى اللهِ العَليِّ العالِما
مِن غـيرِ شَـكّ حَـادِثٌ مُفْتَقِرُ   لأنَّــه قَـــامَ بِـه الـتَّـغـيُّـرُ

واعلم أنَّ هذا العالَمَ حادث مفتقر؛ لأنه قام به التغير، إذن ألزم الكل الحدوث.

ثم قال (**لأن القِدَم له**) وحده سبحانه وتعالى، والقِدَم هنا: أوليَّة بلا بداية، وديمومة بلا تغيُّر، واستمرار بلا نهاية، (**فالذي بالجسم ظهوره فالعَرَض يلزمه**) فلو كان مكونـاً من جسم فالجسم تظهر عليه الأعراض، فالإنسان جسم وتظهر عليه الأعراض كالتعب، والمرض، والسعادة، والحزن، إذن من كان ظهوره بالجسم فيلزمه العَرَض، والطبيب يقول لمن أصابه المرض ظهرت عليك أعراض المرض كالصداع، وألم البطن، فهذه اسمها أعراض.

(**فالذي بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه**) ويستحيل أن يكون جسمًا لافتقار الجسم للمكان وللأعضاء ولقيام العرض فيه.

ثم قال (**والذي بالأداة اجتماعه فقواها تمسكه**) ومعنى اجتماعه بالأدوات، فأنت تجتمع بأدواتك، تجتمع برأس، ويدين، وكتف، وجذع،

وقدمين، ولك فم يتكلم، وعين تنظر. فهذه أدوات، إذا اجْتَمَعَت الأدوات اجْتَمَعْتَ، وإذا انْفَصَلَتْ انْفَصَلْتَ. ويستحيل أن يكون الله على هذه الحالة؛ لافتقار المجموع إلى أدواته، والله غني صمد، والصمد الذي لا جوف له، ولا مِثْل له، ولا جزء ينفصل منه ولا يتصل به.

(**والذي بالأداة اجتماعه فقواها تمسكه**) وهو يمسك السماوات والأرض فكيف يحتاج إلى من يمسكه؟ وهو الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا.

ثم قال (**والذي يُؤَلِّفه وقت يُفَرِّقه وقت**) فالجنين مثلا في بطن أمه يكون خلية واحدة، ثم يتألف فتصبح له أعضاء في تسعة أشهر.

قال (**والذي يُقيمُه غيره فالضرورة تمسّه**) لو كان قائمًا بغيره للزمه الافتقار، والضرورة هي الاضطرار الناتج عن الافتقار للغير، وإذا مسته الضرورة يكون مضطر ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[النمل:٦٢].

(**والذي يقيمه غيره**) كل ما في الأكوان قائم به وهو قائم بنفسه.

ثم قال (**والذي الوهم يظفر به فالتصوير يرتقي إليه**) الوهم هو الذهن والخيال والتصور، (**والذي الوهم يظفر به**) يعني يتحقق في الخيال وفي الذهن (**فالتصوير يرتقي إليه**) فهو مُتَصَوَّر، والله لا يُتَصَوَّر.

ثم قال (**ومن آواه محل أدركه أين**) لأن (**أين**) يُسأل بها عن المكان، فكلام الأولياء يُرقيك وينقلك من أوحال التوحيد إلى فضاء تنزيه﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

فسيدنا عبد السلام بن مشيش [1] يقول: وانشلني من أوحال التوحيد. فالتصورات الخاطئة عن الإله، من هذه الأوحال.

ثم قال (**ومن كان له جنس طالبه مكيف**) الجنس: اسم دال على كثيرين مختلفين بأنواع، نقول جنس الإنسان، فجنس الإنسان يطلق على كثيرين، لكن مختلفين إلى أنواع فمنهم ذكر وأنثى وعربي وأعجمي وأحمر وأصفر وقبائل وشعوب شتى، فمن كان له جنس فهو متعدد الأنواع.

قول المصنف: (إنه سبحانه لا يُظلّه فوق، ولا يقله تحت، ولا يقابله حد، ولا يزاحمه عند، ولا يأخذه خلف ولا يحده أمام ولم يظهره قبل ولم يفنه بعد ولم يجمعه كل، ولم يوجده كان، ولم يفقده ليس).

لو كان له فوق لكان مقهورًا ومحاطًا، والفوقية والتحتية واليمين والشمال والجهات أعراض، والله لا تطرأ عليه الأعراض.

ثم قال (ولا يقله تحت) فلا يقال فوق شيء وإلا كان محمولا، ولا تحت شيء وإلا كان مقهورا، ولا من شيء وإلا كان محصورا ولا من شيء وإلا كان مخلوقا.

ثم قال (ولا يقابله حد) والحد هو القيد، لأنه هو الذي خَلَق الحدود والقيود.

---

(١) العارف بالله عبد السلام بن سليمان بن أبي بكر بن علي الحسني، ولد (٥٥٩هـ) في منطقة بني عروس بالغرب من طنجة في المغرب العربي ثم انتقل للعيش في جبل العلم قرب العرائش، وشيخه هو سيدي (عبد الرحمن بن الحسني المدني الشريف) المدعو (بالزيات) سكناه بحارة الزياتين بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام. تلميذه ووارثه أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه، وهناك توفي (٦٢٥هـ) شهيداً على يد قوم بعثهم ابن ابي الطواجن السامر المدعي النبوة.

ثم قال (ولا يزاحمه عند) والعندية تصلح للزمان والمكان، تقول: أقابلك عند الصبح «زمان»، أقابلك عند المسجد «مكان»، فالعندية تقتضي الزمانية والمكانية، والله خالق الزمان والمكان.

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ﴾ [فصلت:٣٨]، وتعني عندية مرتبة، فلا بد أن تصرفها عن الزمانية والمكانية لقرينة ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى:١١]، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٩٦﴾ [النساء:٩٦]، فهل تعني في الماضي؟ الجواب كلا: أي كان وما زال. لأن كل تعلق زماني بالله فقد معناه الزماني، وكل تعلق مكاني بالله فقد معناه المكاني، لماذا؟ لأنه مُنَزَّه عن المكان وعن الزمان، بدليل ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى:١١]، وأنه خالق كل شيء، والزمان والمكان مخلوق، كان قبل الزمان وقبل المكان وهو الآن على ما عليه كان؛ لأنه لا يطرأ عليه التغير.

والوهابية يقولون ربنا في السماء لقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك:١٦]، نقول لهم: (في) ظرف، فهل يجوز أن يكون ربنا ﷻ مظروفًا؟ وطالما أنَّ (في) ظرف؛ إذن فلا بد أن نُقدر مضافًا محذوفًا، فيكون المعنى أأمنتم من في السماء حكمه، ومن في السماء قدره، ومن في السماء قهره، ومن في السماء عذابه، ومن في السماء رزقه، ومن في السماء جنده، فلا بد أن أصرفه عن المعنى الظرفي، لأنه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى:١١].

وربَّ قائل يقول إنَّ رسول الله ﷺ سأل الجارية قال لها: أين الله؟[1] فقد سأل عن الأينية.

فنقول إنَّ الحديث له ألفاظ كثيرة وورد بصيغ كثيرة، ورد بلفظ: مَن تعبدين؟ فأشارت إلى السماء. وورد الحديث بلفظ: أين الله؟ فأشارت إلى السماء. فقال: دعوها فإنها مؤمنة.

ونقول إنَّ الله لا يُسأل عنه بالأين، إذن فرواية أين الله رواية بالمعنى وهي رواية آحاد والآحاد لا يؤخذ به في العقائد إذا خالف ما هو أصح منه من نفي التشبيه والتمثيل، وأصل الرواية: مَن تعبدين؟ وابن عبد البر الحافظ المالكي المشهور، وعالم المغرب، رحمه الله ونفعنا الله بعلومه، قال: جمعت كل روايات حديث الجارية، فوجدت فيها: من تعبدين؟ وأين الله؟ فعلمت أنَّ الأصل في السؤال: من تعبدين؟ ورواية: أين الله؟ صحيحة من حيث الإسناد إلا أنها بالمعنى.

ونُجيب عن رواية: أين الله؟ نقول الأين لها معنيان، معنى حقيقي وهو السؤال عن المكان، ومعنى مجازي وهو السؤال عن المرتبة والمكانة.

وحتى لو أنت منكر للمجاز فالحديث مروي بصيغة من تعبدين؟ مثل قوله تعالى: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ﴾ [طه:٤٩]، وقوله: فأشارت إلى السماء،

---

(١) أبو داود (٣٢٨٤) - حدثنا إِبراهِيمُ بنُ يعقُوب الجوزجانِي، حدثنا يزِيدُ بنُ هارُون: قال: أخبرنِي المسعُودِي، عن عونِ بنِ عبدِ اللهِ، عن عبدِ اللهِ بنِ عُتبة، عن أبِي هُريرة، أن رجُلًا أتى النبِي صلى اللهُ عليهِ وسلم بِجارِيةٍ سوداء، فقال: يا رسُول اللهِ، إِن علي رقبةً مُؤمِنةً، فقال لها: «أين اللهُ؟» فأشارت إلى السماءِ بِأُصبُعِها، فقال لها: «فمن أنا؟» فأشارت إلى النبِي صلى اللهُ عليهِ وسلم وإِلى السماءِ يعنِي أنت رسُولُ اللهِ، فقال: «أعتِقها فإِنها مُؤمِنةٌ»

في الحديث الثاني يقول: وكانت لا تُحسن الكلام. فأشارت إلى السماء جهة التنزيه، حيث إنَّ الذي يُعبد من دون الله في جزيرة العرب أصنام موجودة على الأرض، فلما أشارت إلى السماء جهة التنزيه قال: دعها فإنها مؤمنة.

والجاهل يريد أن يأخذ عقيدته من جارية لا تحسن الكلام، ومن حديث آحاد خالف ظاهره ما هو أصح منه، لم لا تأخذ عقيدتك من سيدنا أبي بكر ﷺ. فهل نقلد جارية لا تُحسن الكلام أم نقلد سيدنا أبا بكر رضي الله عنه، وسيدنا أبو بكر يقول: العجز عن الإدراك هو عين الإدراك.

إذن قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]، و(في) ظرف، فلا يجوز أن أحمل الظرف على حقيقته، والشرع يقول: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾ [فصلت:٥٤]، والظرف يحيط بمظروفه، إذن (في) يستحيل أن تكون بالمعنى الظرفي إذا نُسب إلى الله. فلا بد أن أُقَدِّر مضافا محذوفا، أأمنتم من في السماء حكمه، ومن في السماء قدره...إلى آخره.

ثم قال (**إنه سبحانه لا يظله فوق، ولا يقله تحت، ولا يقابله حد، ولا يزاحمه عند، ولا يأخذه خلف، ولا يحده أمام، ولم يظهره قبل، ولم يفنه بعد، ولم يجمعه كل، ولم يوجده كان**) لأن كل هذه ظروف، فوق ظرف، تحت ظرف، عند ظرف، والله خارج عن الظرفية.

(**ولا يأخذه خلف**) والخلف ظرف مكان (**ولا يحده أمام**) لأنه جهة (**ولم يظهره قبل**) أي لم يأت عليه فترة لم يكن شيئا فظهر سبحانه أول بلا ابتداء، أخر بلا انتهاء.

(**ولم يفنه بعد**) لأنه دائم باق لا يزول، ولا يطرأ عليه الفناء (**لا صفة له**) أي لا كيفية له متصورة،

(**ولم يجمعه كل**) لأن الذي يجمعه كل صار جسما مكونًا من أجزاء.

(**ولم يوجده كان، ولم يفقده ليس**) فهو لا يقبل النفي لذاته، لأنه الواجب لذاته عقلًا، والواجب العقلي: ما لا يقبل العقل انتفاؤه:

أَقْسَامُ حُكْمِ العَقْلِ لا مَحَالَهْ   هي الوُجوبُ ثم الاسْتِحَالَهْ
ثُمَّ الجَوازُ ثَالِثُ الأَقْسَامِ   فافْهَمْ مُنِحْتَ لَذَّةَ الأَفْهامِ

مثال ذلك: فمن الممكن أن تتصور أيها العاقل ذهابك لغرفة مهجورة لم يسكنها أحد، وتدخل فيها فتجد مائدة عليها ما لذ وطاب من الطعام، فتقول هذا حصل بنفسه لأنك لم تر أحداً !!!هل يعقل هذا القول؟ سيصفك الناس بالجنون، ونحن أتينا فوجدنا الأكوان عامرة ومرتبة، الملحد يقول: ربنا غير موجود، والطبيعة والأكوان خلقت نفسها، إذا فالملحد غير عاقل؛ لأنه أنكر ما لا يقبل العقل انتفاؤه، فالعقل لا يقبل وجود موجود بغير موجد، كما لا يقبل العقل حركة بغير محرك، فالإلحاد مرض عقلي أو مرض نفسي. لأن العاقل لا بد أن يقول لكل حركة محرك، ولكل موجود موجد، ولكل ساكن مُسَكِّن، فالأثر يدل على المؤثر، والفعل يدل على الفاعل، والحركة تدل على المحرك.

فالواجب العقلي الوحيد في الأكوان هو الله. ويستحيل أن تكون الأكوان وجدت بغير مكون ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾[الطور:٣٥-٣٦].

لذلك يقول: **(ولم يفقده ليس)** أي: غير قابل للانتفاء، لأنه الواجب العقلي الذي لا يقبل الانتفاء لذاته.

والمستحيل: ما لا يقبل الإثبات لذاته، مثل إثبات الضدين، فلا يجوز القول إنك موجود وغير موجود في آن واحد.

مثال آخر: قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، سَمّ الخِياط الإبرة والجمل الحيوان المعروف، وهنك معنى آخر وهو الحبل الثخين الذي تربط به البواخر، فهل من الممكن أن يدخل الجمل خرم إبرة الخياط؟ فهذا من المُحال عقلي الذي أورده ربنا ﷻ في القرآن. فمن المحال العقلي دخول الكبير في الصغير دون أن يصغر الكبير أو يكَبِّر الصغير.

إذن: المستحيل العقلي ما لا يقبل العقل إثباته، والواجب العقلي ما لا يقبل العقل انتفائه.

والممكن: ما يقبل العقل نفيه وأثباته.

مثال ذلك: الإنسان، ممكن أن يكون موجوداً وممكن أن يكون معدوما. وممكن أن يكون ميتا وممكن أن يكون حيـًا. وممكن يكون رجلاً وممكن يكون امرأة، فكل ما في الأكوان ممكن؛ لأنه سبقه العدم، فكل ما يقبل الوجهين: العدم والوجود، يقبل الانتفاء والثبوت، اسمه ممكن أو جائز أو حادث، وكل ما لا يقبل الانتفاء مطلقًا اسمه واجب عقلي، وكل ما لا يقبل الثبوت مطلقًا اسمه محال عقلي.

هذا الكلام البسيط مهم جدًّا لترتيب العقل. الوهابية ينقلون كلام ابن تيمية حيث يقول: إنَّ ربنا استوى على عرشه كالجالس على الكرسي، ويقول: إنَّ الله قادر على أن يستوي على جناح بعوضة بقدرته، ولو استقل على جناح بعوضة لاستقلت به بقدرته. وهذا يدل على عدم دراستهم ومعرفتهم الواجب العقلي والمحال العقلي والممكن، لأنهم لو درسوا هذه الأمور ما قالوا هذا القول.

لأنه يستحيل ونحن نقول الله أكبر، يعني من أسمائه الكبير أن يستقل حقيقة على جناح بعوضة وهي صغيرة، فكيف يستقل الكبير على الصغير، محال عقلي، مثل (يلج الجمل في سم الخياط) والله سبحانه وتعالى من صفاته أنه كبير وبكل شيء محيط، نقول لهم كلامكم خطأ، لماذا؟ لأن هذا محال عقلي. وقدرة الله لا تتعلق بالمحال والواجب بل تتعلق بالممكن.

يقول الآخر: ربنا يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[النحل:٧٧]، فهل ربنا قادر على أن يُفني ذاته؟أو يخلق معه إله، والإجابة على ذلك أنَّ ذات الله واجبة عقلًا، والقدرة لا تتعلق بالواجب بل تتعلق بالممكن، أي أنت ممكن أن تكون موجود وممكن أن تكون غير موجود، فتاتي قدرة الله فتجعلك موجود وأنت غير موجود، فالقدرة تتعلق بالممكن، ولا تتعلق بالمستحيل فتوجده، أو تتعلق بالواجب فتنفيه، فقدرة الله لا تتعلق بالواجب ولا بالمستحيل، فلا نقول أنه سبحانه قادر أن يفني ذاته لأن قدرته لا تتعلق بالواجب العقلي فتنفيه، ولا نقول أنه سبحانه قادر على أن يخلق معه شريك لأن الشريك محال عقلي وقدرته لا تتعلق بالمستحيل فتثبته، وبالتالي إن الله على كل شيء يريده قدير أو على كل شيء ممكن قدير.

هذه الأمور البسيطة لما غابت عن الوهابية صاروا مجسمة، واعتبروا أنَّ عقيدتهم هي عقيدة أهل السنة، وأنكروا المجاز، ثم أنكروا الأحكام العقلية، ثم نشروا عقيدتهم الفاسدة على الناس، واعتبروا أنَّ كلامهم هو الصواب وغيرهم هو الخطأ.

فانظر إلى الكلام الذي سبق في كلمة **(ولم يفقده ليس)** فهذا كلام الأولياء، يقول لك العبارة وفيها معانٍ كثيرة، سيدنا الإمام علي ﷺ يقول: العلم نقطة كَثَّرها الجاهلون ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [الأنعام:٩١]، هذا هو العلم، ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ كل ما سواه فانٍ وهو الباقي الذي لا يزول.

قول المصنف: (ثم قال: **وصفه: لا صفة له، وفعله: لا علة له، وكونه: لا امد له، تنزه عن أحوال خلقه، ليس له من خلقه مزاج، ولا في فعله علاج، باينهم بقدمه كما باينوه بحدوثهم)**

أي لا كيفية له ولا شبه، فهذا وصفه، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى:١١].

(**وفعله لا علة له**) فالله لا باعث لفعله، ولا علة لأفعاله، بل هو علة الفعل نفسه. (**وفعله لا علة له**) أي لا غرض من وراءه ولكن الحكمة تصاحبه. والحكمة ليست باعثا لله على الفعل، لأنه لو كانت الحكمة هي التي تبعثه على الفعل لكانت الحكمة آمرة له باعثة له ليفعل. فالحكمة توافق فعله ولا تبعثه على الفعل، ثم قال (**وكونه: لا أمد له**) يعني وجوده لا انتهاء له.

(تنزه عن أحوال خلقه، ليس له من خلقه مزاج) يعني امتزاج، فلا يمتزج مع خلقه؛ لأنه لا ينتقل ولا يحل في شيء، والذين يقولون إنَّ الله في السماء، والسماء مخلوقة، بقولهم جعلوا الله حالا في مخلوق، كقول النصارى الذين قالوا إنَّه حَلَّ في عيسى ابن مريم، وعيسى ابن مريم مخلوق والسماء مخلوقة، فوقعوا فيما وقع فيه النصارى دون أن يشعروا وسبحانه جل أن يحل في شيء إذ لا شيء بعده.

قال: **(ليس له من خلقه مزاج)** أي حلول أو تشابه **(ولا في فعله علاج)** ولا يفعل الأشياء بمعالجة أسباب. أنت كي تصنع خزانة الملابس تجلب الخشب من الغابة، ثم تعطي الخشب للنجار، ثم يبدأ النجار بعمل الخزانة حتى تكتمل، هذا هو العلاج: أي إتمام العمل على خطوات، لكن الله عز وجل فعله كن فيكون، فمجرد أن تتعلق الإرادة بالقدرة على وفق العلم القديم يحصل المراد، كن فيكون، الإرادة هي كُن، تخصص القدرة في الممكن فيجعله موجوداً بلا علاج، وبلا خطوات.

قوله: **(باينهم بقِدَمه)** يعني خالفهم، خالف خلقه بقدمه؛ لأنه أول بلا بداية وهم لهم بداية، **(باينهم بقدمه كما باينوه)** يعني اختلفوا عنه **(بحدوثهم)**. وهذا كلام سيدي حسين الحلاج رحمه الله الذي اتهموه بالكفر والقول بالاتحاد والحلول زورا وبهتانا واسمع لبقية كلامه:

قول المصنف: قال: رحمه الله **(إن قلت متى فقد سبق الوقت كونه، وإن قلت: هو، فالهاء والواو خلقه، وإن قلت: أين؟ فقد تقدم المكان وجوده)**

ف(متى) تستخدم للسؤال عن الوقت والزمان **(فقد سبق الوقت كونه)** لأن وجوده سابق للزمن، قوله: **(وإن قلت: هو، فالهاء والواو خلقه)** لأن اللغة مخلوقة، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾ فهذا تجلٍ في صورة ألفاظ دالة عليه، والتجلي مخلوق، والمتجلي خالق، فهناك فرق بين التجلِّي والمُتَجَلِّي، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الحشر:٢٢]، تجلي باللغة والألفاظ لوصف الموجود، فالتجلي مخلوق؛ لأنه يُشير بألفاظ والألفاظ والحروف مخلوقة.

قول المصنف: ثم قال رحمه الله (فالحروف آياته، ووجوده إثباته، ومعرفته توحيده، وتوحيده تمييزه من خلقه، ما تصور في الأوهام فهو بخلافه، كيف يحل به ما منه بدأه أو يعود إليه ما هو أنشأه لا تُمَاقِله العيون ولا تقابله الظنون، قُربه كرامته، وبعده إهانته، علوه من غير تَوَقُّل، ومجيئه من غير تنقل).

يعني وجوده هو عين إثباته؛ لأن العقل لا يقبل انتفاءه فالوجود صفة نفسية ذاتية فيه، ثم قال رحمه الله:**(ومعرفته توحيده)** ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:٩١].

ثم قال رحمه الله: **(وتوحيده تمييزه من خلقه)** ألّا تصفه بصفة مخلوق **(ما تصور في الأوهام فهو بخلافه)** كل ما خَطَر ببالك فالله على خلاف ذلك.

قال رحمه الله: **(كيف يحل به ما منه بدأه، أو يعود إليه ما هو أنشأه، لا تُمَاقِله العيون، ولا تقابله الظنون)**

سبحانه وتعالى، كيف تحل فيه الأعراض التي تحل في الأجسام وهو الذي بدأ الأجسام؟ مستحيل **(أو يعود إليه ما هو أنشأه)** كيف يعود إليه أي يدل عليه ما هو مفتقر في وجوده له **(لا تُمَاقِله العيون)** أي لا تراه بالمقلة، والمقلة:

هي العين، البياض والسواد وجوهر العين (**لا تماقله العيون**) يعني لا تراه بالمقلة؛ لأن الرؤية بالمقلة تقتضي الجهة والإحاطة، فهذا نفي للجهات (**ولا تقابله الظنون**) والظنون هي ما رجح في ذهنك، فحتى ما رجح في ذهنك هو فوق ذلك، فوق تنزيه المنزه وتقديس المقدس.

قال رحمه الله: (**قُربه كرامته، وبعده إهانته**) ليس قربـاً أو بعدا مكانيـاً بل رتبة ومكانة.

قال رحمه الله: (**علوه من غير تَوَقُّل**) يعني من غير ارتفاع ومكان، تقول: توقلت الجبل يعني ارتفعت على الجبل (**علوه من غير توقل**) علو مرتبة ورُتبة وليس علواً مكانيـاً في جهة.

قال رحمه الله: (**ومجيئه من غير تنقل**) ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة:٢١٠]، مجيئ بغير تنقل، أي هل ينتظرون إلا أن يأتيهم أمر الله في صورة ظلل من الغمام والملائكة.

قول المصنف: (هو الأول والأخر والظاهر والباطن، القريب البعيد الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).

هو الأول ليس كمثله شيء، والآخر ليس بعده شيء، والظاهر في المظاهر دون أن يتقيد بالمظاهر (والباطن) الذي لا يُدرك وليس دونه شيء، فهو أقرب إليك منك (القريب البعيد) يعني القريب بكرمه والبعيد بإهانته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

قول المصنف: (سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر الطوسي السَّرَّاج يحكي عن يوسف بن الحسين[1]، قال: قام رجل بين يدي ذي النون المصري[2] فقال: أخبرني عن التوحيد ما هو؟ فقال: هو أن تعلم قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج، وصنعه للأشياء بلا علاج، وعلة كل شيء صنعه، ولا علة لصنعه، وليس في السماوات العلا، ولا في الأرضين السفلى مدبر غير الله، وكل ما تصور في وهمك فالله بخلاف ذلك).

أن تعلم أي أن تُدرك بالدليل، فالعلم هو ما قام على دليل، أن تعلم قُدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج، أي بلا دافع لها بل يفعل ما يشاء وقتما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يفعلون، وبلا علة وبلا هوى، فالمزاج هو الهوى أو من الامتزاج والتداخل إذ لا يحل في الأشياء، والله تعالى منزَّه عن أن يكون له هوى.

قوله رحمه الله: **(وصنعه للأشياء بلا علاج)** أي بقوله كُن فيكون **(وصنعه للأشياء بلا علاج)** أي بلا أسباب ولا وسائط، فيخلق من العَدَم، الإنسان يصنع شيء من شيء موجود، لكن الله يصنع من العدم. بلا أسباب **(وعلة)** وليس لرغبة معينة ليحققها حيث إنه مفتقر لتحقيق رغبته، والله مستغنٍ عن ذلك **(وعلة كل شيء صنعه، ولا علة لصنعه)** علة كل شيء أي أن الله صنعه على هذه الهيئة، فلا تعترض على خَلْق الله **(ولا علة لصنعه)** يعني منزه عن الأغراض، لأن العلة غَرَض وهو منزه عن الأغراض والرغبات.

(١) يوسف بن الحسين الرازي، من كبار علماء أهل السنة والجماعة ومن كبار مشايخ الصوفية، تتلمذ على ذي النون المصري والإمام احمد بن حنبل وغيرهم، قال عنه السلمي: كان امام وقته. توفي رضي الله عنه سنه ٣٠٤ هجري.

(٢) قال الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء: ذو النون المصري الزاهد، شيخ الديار المصرية: ثوبان بن إبراهيم أبو الفيض، ولد في أواخر أيام المنصور، كان عالما فصيحا اول من تكلم في ترتيب الأحوال ومقامات الأولياء، توفي رضي الله عنه سنة ٢٤٥ هجري.

(وليس في السماوات العلا، ولا في الأرضين السفلى مدبر غير الله) لأنه هو الذي يدبر الأمر ويُفصّل الآيات، في السماوات وفي الأرض وفي كل العوالم، ثم قال: **(وكل ما تصور في وهمك)** يعني خيالك عن ذات الله **(فالله بخلاف ذلك)** لماذا؟ لأن المتصور في الخيال مخلوق، والخيال نفسه من عالم الخَلْق، فكيف يُدرك المخلوق الخالق، وبالتالي كل ما خطر ببالك فالله على خلاف ذلك؛ لأنه لم يكن له كفوًا أحد، فالعقل لا يتصور إلا المخلوق، وبالتالي إذا أراد أن يتصور الله وهو غير مخلوق فهذا عبث، فالعقل حادث، وكل عمله في الحوادث، وبالتالي لا يعمل في إدراك تصور القديم سبحانه وتعالى.

قال المصنف:(وقال الجنيد: التوحيد: علمك وإقرارك بأن الله فرد في أزليته لا ثاني معه ولا شيء يفعل فعله).

فسيدنا الجنيد البغدادي (رحمه الله) يُعرِّف التوحيد بألفاظ كثيرة، وهكذا هم الأولياء، ربنا يُحيي في قلوبهم معلومة معينة فيعبرون عنها في لحظتها، ولو سألته بعد أيام يعبر عنها بأسلوب آخر، بخلاف العلماء، العالم إذا سألته عن مسألة فيجيب، ولو سألته عليها بعد سنة سيجيب بنفس الجواب الأول لأن العالم يحفظ ويبلغ ما حفظه، والولي يبلغ ما يجده في قلبه، ولذلك تجد أنَّ إجابات الأولياء تختلف باختلاف أوقاتهم ومعارفهم، فأحوالهم مع الله متغيرة، وبالتالي ألفاظهم تتغير باختلاف أحوالهم.

(وقال الجنيد: التوحيد علمك) أي التصديق مع الدليل، فيخرج المقلِّد قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩]، فلا بد أن تتعلم.

التقليد في فروع الفقه جائز، تتوضأ على مذهب الشافعي. أو على مذهب أبي حنيفة لا بأس في ذلك لأنها فروع، إنما الأصول ومعرفة الله ﷻ ومعرفة الرسول محتاجة لدليل، لذا قال رحمه الله: **(التوحيد علمك)** علمك أي بعقلك وفق الدليل فيطمئن القلب، فالعلم محله العقل وهو ينظر في الدليل ويستقر في القلب.

(وإقرارك) يعني بلسانك على وفق ما استقر في عقلك وقلبك، فالتوحيد علم في الجنان وإقرار باللسان، **(علمك وإقرارك بأن الله فرد في أزليته)** ما هو الأزل؟ ما لا أول له. والسرمدي: ما لا آخر له. فيقول أزلي، سرمدي، ديمومي: الدائم الذي لا يتغير، فكل لفظ له معنى، ولا يوجد تكرار، يقول يا الله يا أزلي لا أول له، يا ديمومي لا تغيره الحوادث، يا سرمدي ما لا نهاية له ولا آخر، فكل كلمة لها معنى.

الله فرد في أزليته، يعني لا شيء معه، فهو أول كل شيء، والذي ليس قبله شيء، **(لا ثانٍ معه)** يعني في أوليته، **(ولا شيء يفعل فعله)** يعني ولا شيء في الوجود يخلق خلقه، بل هو خالق كل شيء سبحانه وتعالى.

قول المصنف: (وقال أبو عبد الله بن خفيف: الإيمان تصديق القلوب بما أعلمه الحق من الغيوب).

التوحيد عندنا: الإلهيات والنبوات والسمعيات. الإلهيات متعلقة بالله، ما يجب في حقه «الوجوب العقلي»، وما يستحيل عقلًا أن يُظن فيه، وما يمكن أن يُعتقد فيه. الإلهيات: واجبات ومستحيلات وممكنات.

وفي النبوات واجبات ومستحيلات وممكنات.

والسمعيات ما أخبرنا به النبي ﷺ دون أن نراها مثل الملائكة والجن، وإن هناك جنة وناراً وميزانـاً ويوم حساب والحوض، فكل هذه سمعيات، إذاً علم التوحيد ثلاثة أقسام: إلهيات، نبوات، سمعيات.

ومصدر السمعيات من النبوات فقوله (**الإيمان: تصديق القلوب بما أعلمه الحق من الغيوب**) يقصد بها السمعيات.

قول المصنف: (**وقال أبو العباس السياري**[1]: **عطاؤه على نوعين: كرامة، واستدراج، فما أبقاه عليك فهو كرامة، وما أزاله عنك فهو استدراج، فقل: أنا مؤمن إن شاء الله**).

إذا اعطى ربنا المؤمن فهو يكرمه بالعطاء، وإذا أعطى الكافر فهو يستدرجه ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ [القلم:٤٥]، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٤٤]، ماذا فعل بهم ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ [الأنعام:٤٤]، استدرجهم ثم قال: ﴿أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام:٤٤] أي يائسون.

فعطائه (**على نوعين: كرامة واستدراج، فما أبقاه عليك فهو كرامة**) فما أبقاه عليك من نِعَم مع دوام الخوف والرجاء فإكرام وتفضل، والكرامة هي الاستقامة. ربنا يَمُنّ عليك بالنِّعم وأنت مداوم على الطاعة، لم تَغْفل عن المُنْعِم، ولم تنشغل بالنِّعَم عن المُنعم.

---

(١) القاسم بن احمد ابن بنت احمد بن السيار، من اهل مرو ومن مشايخهم الاجلاء، كان أحسن الناس لسانا تكلم في علم التوحيد، وكتب في الحديث الشريف ورواه، توفي ﷺ سنة ٣٤٢ هجري.

(وما أزاله عنك فهو استدراج) وما أزاله عنك مما تحب مع تعلق القلب به فهو استدراج، فالله إذا نظر إلى قلب المؤمن ووجد قلبه ميّالاٍ لشيء وهو يغار على قلبه ولا يريده أن يصبح عبداً لهذه الأشياء، فيحرمه منها، ويأخذه بالتدريج إليه.

(وما أزاله عنك فهو استدراج، فقل: أنا مؤمن إن شاء الله) لا شكًّا في الحال ولكن شكًّا في العاقبة، **(فقل: أنا مؤمن إن شاء الله)** لا تقل أنا مؤمن حقًّا، ومن يقل أنا مؤمن حقًّا فمعناه أنه يعرف العاقبة، وإنه سيموت على الإيمان، لذلك سيدنا سفيان الثوري[1] يقول: من قال أنا مؤمن حقًّا بدعة. لأنه يتكلم على العاقبة وهو لا يدركها، ولكن قل أنا مؤمن إن شاء الله، وليس شكًّا في الحال بل شكًّا في المآل.

قول المصنف: **(وأبو العباس السياري كان شيخ وقته)** قال **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله، يقول: غمز رَجُلُ رِجْلَ أبي العباس السياري فقال: تغمز رِجْلًا ما نقلتها قط في معصية الله عز وجل)**.

قال المصنف :(وقال أبو بكر الواسطي: من قال «أنا مؤمن بالله حقًا قيل له: الحقيقة تشير إلى إشراف واطلاع وإحاطة فمن فَقَدَه بَطَل دعواه فيها).

لأنها تحتاج إلى نظر واطلاع على الغيوب، وأنت ليس لك اطلاع على الغيوب، مثال ذلك (الشهيد) من قال لك انه شهيد؟ كانوا يقاتلون مع النبي

(١) سفيان بن سعيد بن مسروق، شيخ الإسلام امام الحفاظ، سيد العلماء العاملين، ولد سنة ٧٧هجري، طلب العلم وهو حدث باعتناء والده، يقال عدد شيوخه ٦٠٠ شيخ وكبارهم أبو هريرة، وجرير بن عبد الله، وابن عباس رضي الله عنهم. روى له الائمة الستة في دواوينهم، توفي سنة ١١٦هجري.

ﷺ ويقتلون والنبي ﷺ يقول ليس بشهيد، وهذا من أهل النار، لأنه يقاتل لغير الله، أو خان في الغنيمة، فهذه موانع تمنعه من الشهادة. فمن باب أولى ألا تحكم أنت على أحد بالأيمان أو بالشهادة ولو على نفسك، بل نقول نرجو أن يكون شهيدًا، لكن لا نجزم؛ لأن الجزم على العاقبة يحتاج لوحي ولا يوحى إلا لنبي.

(**الحقيقة تشير إلى إشراف واطلاع وإحاطة**) إلى إشراف يعني إلى نظر إلى الغيب، واطلاع على ما خفي من الأمور عند رب العالمين، وإحاطة بمراد الله من عبده، وهذا كله يفقده العبد الذي لا يوحى إليه، وبالتالي لا يستطيع القول أنا مؤمن حقًّا، فالمؤمن حقًّا هو الذي يموت على الإيمان، فيجب عليك أن تقول أنا مؤمن إن شاء الله ونسأل الله الثبات وحُسن الخواتيم.

(**فمن فَقَدَه بَطَل دعواه فيها**) الذي فقد الوحي والإشراف والاستشراف إلى الغيوب فهو مُدَّعٍ.

قال المصنف: (**يريد بذلك ما قاله أهل السنة: إنَّ المؤمن الحقيقي من كان محكومًا له بالجنة فمن لم يعلم ذلك من سر حكمة الله تعالى، فدعواه بأنه مؤمن حقًّا غير صحيحة**).

فمن هو المؤمن الحقيقي؟ وهل فينا من يستطيع أن يَحكم لنفسه أو لغيره إنه من أهل الجنة يقينًا؟ أبدًا. كان النبي ﷺ يقول للصحابي: أنت من أهل الجنة، ويبقى الصحابي على خوفه واجتهاده في العبادة، فسيدنا عمر ﷺ يقول وهو مُبَشَّر بالجنة: لو نادى مناد في الموقف كل أهل الموقف في الجنة إلا واحداً لظننت أنه عمر. هل سيدنا عمر غير مصدق ببشارة النبي؟ أبدًا، فهو عنده اليقين الكامل

بصدق بشارة النبي ﷺ لكن ربما تكون البشارة على شرط وهو لم يوفيه، أي ربما يقول له أنت من أهل الجنة بشرط أن تستمر على ما أنت عليه الآن. هكذا كان فهم الصحابة الكرام.

سيدنا نوح عليه السلام لما قال له ربنا: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾ [العنكبوت:٣٣]، ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [هود:٤٥]، أي يا رب أنت وعدتني فلماذا غرق ابني؟ فقال له: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود:٤٦]، دل على أنَّ قول الله: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾ [العنكبوت:٣٣]، أي المؤمنين. فلم يقل الشرط، ذكر البشارة دون شرطها، فأنت لا تعلم الشرط، وبالتالي لا تأمن مع البشارة.

وسيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: لو دخلت إحدى قدمي الجنة والأخرى خارجها ما أمنت مكر الله. مع إن النبي ﷺ قد قال له أنت من أهل الجنة، وقال له أنت رفيقي في الجنة.

والجُهّال في وقتنا هذا لو رأى النبي ﷺ في الرؤية وقال له أنت من أهل الجنة يطمئن ويترك العمل ويقول الحمد لله، فالمسكين لم يفهم معنى الرؤيا، وهو يقول له أنت من أهل الجنة لو مت على الحالة المرضية التي أنت فيها الآن.

لذلك لا تجازف مع الله، ولا مع نفسك ولا مع غيرك، ودع الخلق للخالق، وسَلِّم الأمر لله وقل يا رب سَلِّم، لذلك علمنا الرسول ﷺ أن نسأل الله العافية. فقل اللهم إني أسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

وهو يريد بذلك ما قاله أهل السنة: إنَّ المؤمن الحقيقي: من كان محكومًا له بالجنة. فمن لم يعلم ذلك من سر حكمة الله تعالى، فدعواه بأنه مؤمن حقًّا غير صحيحة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم:٣٢]، والإيمان تزكية، تقول أنا مؤمن حقًّا، والله يقول: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ٥٠﴾ [النساء:٥٠]، فالذي يزكي نفسه يفتري على الله الكذب في صريح القرآن.

قال المصنف:(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السُّلَمِي يقول: سمعت منصور بن عبد الله[1] يقول: سمعت أبا الحسن العَنْبَري يقول: سمعت سهل بن عبد الله التُّسْتَرِي[2] يقول: ينظر إليه -تعالى- المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية) وهنا يرد على المعتزلة المعاصرين الذين أنكروا رؤية الله في الآخرة، فالأولياء يردون على مبتدعة عصرهم، فهو يقول:

(١) قال بن عساكر في تاريخ دمشق: هو منصور بن عبد الله بن إبراهيم أبو نصر الأصبهاني الصوفي سمع أبا جعفر سعيد بن تركان الصوفي بدمشق ومحمد بن داود الدقي وأبا علي الروذباري أحمد بن محمد بن القاسم وأبا عمران موسى بن عيسى البسطامي، روى عنه أبو عبد الرحمن السلمي وأبو الفضل أحمد بن أبي عمران موسى الصرام الهروي وأبو سعيد عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الرازي الصوفي.

(٢) أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري. ولد بمدينة تستر في سنة مائتين، وقيل: إحدى ومائتين، وإلى هذه المدينة ترجع نسبته (التستري) وهذه المدينة من أعظم مدن خوزستان، (وتفرد بعض الناس بجعل تستر مع الأهواز، وبعضهم يجعلها مع البصرة ... وجعلها عمر بن الخطاب من أرض البصرة لقربها منها، نشأ سهل التستري في تستر، وكانت بدايات اتجاهه إلى التصوف في سن مبكرة جدا، صحب ذا النون المصري الذي كان له دور- لا نعلم مداه- في رعاية بذرة التصوف لديه، فقد ذكرت بعض المصادر أن التستري لقيه في الحج وصحبه، صنف كثيرا من الكتب واشهرها تفسير القران للتستري، توفي سنة ٢٨٣ هجري.

(ينظر إليه تعالى، المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية)

لأنهم لما أنكروا الرؤية قالوا إنَّ الرؤية فيها إدراك، والرؤية لا تكون إلا من جهة، والله لا يدرك وليس في جهة، إذن لا يوجد رؤية، وقالوا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، يعني إلى ربها منتظرة، أي منتظرة فضل الله عليها، هذا تأويل المعتزلة ومنهم الزمخشري في الكشاف، لماذا لأنه ينكر الرؤية، فجعلوا ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ يعني منتظرة فضل الله عليها، ولماذا لم نوافقهم على هذا القول؟ لأن النبي ﷺ قال لنا في السنة إننا سنرى ربنا، فالسنة جعلتنا نفهم إن ناظرة هنا أي: باصرة.

لذلك فالسُّنَّة مهمة في فهم كتاب الله ﷻ، فسيدنا علي يقول لسيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو ذاهب لمجادلة الخوارج: جادلهم بالسنة ولا تجادلهم بالقرآن لأن القرآن حَمَّال أوجه.

فأهل الابتداع جادلهم بالسنة، فالسنة تزيل الالتباس، لكن القرآن لفظه يحتمل عدة معان، واللغة تحتمل وجوهـاً كثيرة، فالإمام التُّسْتَري رضي الله عنه يرد على المعتزلة الذين أنكروا رؤية الله، قال: **(ينظر إليه تعالى، المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية)** يقول لهم أنتم تقولون إنَّ الرؤية يقتضي منها الإدراك ويقتضي منها الجهة، ونحن نقول لكم إنَّ ربنا سيجعلنا نراه رؤية مخصوصة لا إدراك فيها ولا إحاطة ولا جهة.

قال المصنف:(وقال أبو الحسين النُّوري: شاهد الحق القلوب، فلم ير قلبًا أشوق إليه من قلب محمد صلى الله عليه وسلم فأكرمه بالمعراج تعجيلًا للرؤية والمكالمة).

لما اطلع ربنا على القلوب التي خَلَقها جميعًا فوجد أشوق القلوب لربه هو قلب سيدنا محمد ﷺ، فعجَّل له بالرؤية في الدنيا قبل الآخرة لأنه كاد يحترق شوقًا.

و(**شاهد الحق القلوب**) أي اطلع عليها على وفق علمه سبحانه (**فلم ير قلبًا**) أي لم يخلق قلبًا (**أشوق إليه من قلب محمد** ﷺ) لكونه مُقَدَّسًا ومُنَزَّهًا عن سائر الحظوظ، وليس له حظ إلا في مولاه، فجعله الوحيد الذي يراه في الدنيا قبل الآخرة.

(**فأكرمه بالمعراج تعجيلًا للرؤية والمكالمة**) بدون وساطة في مقام قاب قوسين.

قال المصنف:(سمعت الإمام أبا بكر محمد بن الحسن بن فُورَك[1]، رحمه الله تعالى يقول: سمعت محمد بن المحبوب -خادم أبي عثمان المغربي- يقول: قال لي أبو عثمان المغربي[2] يومًا يا محمد، لو قال لك أحد: أين

(١) قال الامام الذهبي في سير اعلام النبلاء: الإمام العلامة الصالح، شيخ المتكلمين، أبو بكر بن محمد بن الحسنِ بنِ فُورك الأصبهانِي.

سمِع مُسند أبِي داوُد الطيالِسِي مِن عبدِ اللهِ بنِ جعفرِ بنِ فارِسٍ، وسمِع مِن ابنِ خُرزاذ الأهوازِي. وحدث عنهُ: أبُو بكرٍ البيهقِي، وأبُو القاسِمِ القُشيرِي، وأبُو بكرٍ بنُ خلف، وآخرُون. وصنف التصانِيف الكثِيرة.

وقال القاضِي ابنُ خلكان فِيهِ: أبُو بكرٍ الأُصُولِي، الأدِيبُ النحوِي الواعِظُ، درس بِالعِراقِ مُدةً، ثُم توجه إلى الري، فسعت بِهِ المبتدعةُ يعنِي الكرامية فراسلهُ أهلُ نيسابُور، فورد عليهِم، وبنوا لهُ مدرسةً وداراً، وظهرت بركتُهُ على المُتفقهة، وبلغت مُصنفاتُه قرِيبًا مِن مائة مصنف، ودُعِي إلى مدِينة غزنة، وجرت لهُ بِها مُناظرات، وكان شدِيد الرد على ابنِ كرام، ثُم عاد إلى نيسابُور، فسُم فِي الطرِيق، فمات بقُربِ بُست، ونُقِل إلى نيسابُور، ومشهده بالحيرة يزار، ويستجاب الدعاء عنده.

(٢) قال الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء: الِإمامُ القُدوةُ، شيخُ الصوفِيةِ، أبُو عُثمان سعِيدُ بنُ سلام

معبودك؟ إيش تقول؟ قال: قلت: أقول حيث لم يَزَل قال: فإن قال: أين كان في الأزل؟ إيش تقول؟ قال: قلت: أقول حيث هو الأن يعني: أنه كما كان ولا مكان فهو الأن كما كان. قال: فارتضى مني ذلك، ونزع قميصه وأعطانيه).

إيش: تعني أي شيء، باللهجة المغربية أي: **(لو قال لك أحد أين معبودك؟ إيش تقول؟ قال: قلت: أقول حيث لم يَزَل)** حيث لم يَزل مثل ما كان قبل خَلْق الأكوان.

(قال: فإن قال: أين كان في الأزل؟ إيش تقول؟ قال: قلت: أقول حيث هو الآن) لأنه لا يطرأ عليه تغيير **(حيث هو الآن، يعني: أنه كما كان ولا مكان فهو الآن كما كان. قال: فارتضى مني ذلك، ونزع قميصه وأعطانيه)** قميص المشيخة، يعني تستحق أن تصبح شيخـًا وتكَلِّم الناس وتعلِّمهم.

قال المصنف:(سمعت الإمام أبا بكر بن فورك، رحمه الله تعالى، يقول: سمعت أبا عثمان المغربي، يقول. كنت أعتقد شيئًا من حديث الجهة فلما

المغربِي القيروانِي، نزيلُ نيسابُور. سافر وحج وجاور مُدةً، ولقِي مشايخ مِصر والشامِ، وكان لا يظهرُ أيام الحج. قال الحاكِمُ: خرجتُ مِن مكة متحسرًا على رُؤيتِهِ، ثُم خرج مِنها لِمِحنةٍ، وقدِم نيسابُور، فاعتزل الناس أولاً، ثُم كان يحضُرُ الجامع.

وقال السلمِي: كان أوحد المشايِخ فِي طريقتِهِ، لم نر مِثلهُ فِي علو الحالِ، وصونِ الوقتِ، امتُحِن بِسببِ زُورٍ نُسِب إِليهِ، حتى ضُرب وشُهِر على جملٍ، ففارق الحرم. وقال الخطِيبُ: وكان من كبار المشايخ، له أحوال وكرامات. قال السلمِي: سمِعتُهُ يقُولُ: لِيكُن تدبرك فِي الخلقِ تدبر عِبرةٍ، وتدبرك فِي نفسِك تدبر موعِظةٍ، وتدبرُك فِي القُرآنِ تدبر حقيقةٍ. قال اللهُ تعالى: ﴿أفلا يتدبرُون القُرآن﴾ [النساء: ٨٢]. جرأك بِهِ على تلاوتِهِ، ولولا ذلِك لكلتِ الألسُنُ، عن تلاوتِهِ. وقال: من أعطى الأمانِي نفسهُ قطعتها بِالتسويفِ وبالتوانِي. وسمِعتُهُ يقُولُ: عُلومُ الدقائِقِ عُلومُ الشياطِينِ، وأسلمُ الطرقِ مِن الاغترارِ لزومُ الشريعةِ. تُوُفي سنة ثلاثٍ وسبعِين وثلاثِ مائة.

قدمت بغداد زال ذلك عن قلبي فكتبت إلى أصحابنا بمكة: أني أسلمت الآن إسلامًا جديدًا)

(كنت أعتقد شيئًا من حديث الجهة) يعني الجهة المكانية **(فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبي)** لما التقى مع أولياء بغداد زال عن قلبه هذا الكلام **(فكتبت إلى أصحابنا بمكة: أني أسلمت الآن إسلامًا جديدًا)** أي تعلمت التنزيه بعدما كنت واقعًا في أوحال التوحيد.

قال المصنف:(سمعت محمد بن الحسين السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا عثمان المغربي يقول، وقد سئل عن الخلق، فقال: قوالب وأشباح تجري عليهم أحكام القدرة).

أي الخَلْق لا حول لهم ولا قوة بذاتهم، بل كل ما يجري عليهم هي قدرة الله وقوَّته. فلا حول ولا قوة إلا بالله. وعندما سُئل عن الخَلْق قال: **(قوالب وأشباح تجري عليهم أحكام القدرة)** لأن القدرة هي صفة تأثير على الشيء إذا تعلَّقت به فتوجد ما يريده الله، فالقدرة صفة تأثير تخصصها الإرادة على وفق العلم القديم، فالله مريد، قادر، عالم، وعليم. وهذا خلاف للمعتزلة ايضـًا، لأنهم قالوا إنَّ العبد يَخْلُق أفعاله الاختيارية، أما الأفعال القَدَرية فهي خَلْق الله، ولكن افعل ولا تفعل في الشرع فأنت تَخْلُق أفعالك الاختيارية، وهذا كلام المعتزلة.

فأهل السنة يقولون إنَّ الله يخلق الأقدار ويخلق الأفعال، أفعال العباد مطلقًا، سواء كانت أفعالا اختيارية أو أفعال إجبارية بالقدر، فكلها خلق الله ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات:٩٦]،﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الأنعام:١٠٢]، هذا رأي أهل السنة.

فهذه المشكلة حدثت عند المعتزلة. قالوا: كيف يأمرني بالصلاة، وهو سيخلق الصلاة فيَّ، ولو لم أصلِ فمعناه أنه لم يخلق الصلاة فيَّ، فكيف يعاقبني على تركها وهو الذي لم يخلقها؟ ولو عاقبني على هذه الصورة فقد ظلمني، وربنا عادل إذن فأنا أخلق أفعالي. هذه هي طريقة تفكيرهم الغريبة العجيبة، لكي تعرف أنَّ العقل أحيانًا يأخذ بصاحبه إلى الهاوية.

ونحن نرد عليهم وعلى نظريتهم، وهذه قضية الكسب عند الأشاعرة وهي من أصعب القضايا، سأشرحها بصورة مبسطة إن شاء الله فأقول:

إنَّ الأفعال تُنسب إلى الله خَلْقًا وإيجادًا، وإلى العبد فعلًا واكتسابًا. فأنت لا تخلق أفعالك لكنَّ أفعالك منسوبة إليك، وأنت مسئول عن فعلك بالرغم .من أنك لم تخلقه لأنك اخترته واكتسبته

مثال ذلك: ابنك لم تخلقه ولكنه منسوب إليك، لأنك تزوجت المرأة ودخلت بها فحملت من ماءك، ثم تخَلَّق من هذا الماء فُولد الابن وهو منسوب لك وأنت لم تخلقه، فابنك كعملك بالضبط، يُنسب إليك فعلًا واكتسابًا، ولا يُنسب إليك خلقًا وإيجادًا. فالعمل كالابن، لأنه نفس الصورة، فالعمل الذي يصدر عنك في الظاهر، سواء كان العمل سيئة أو طاعة، يكون بمراحل داخل النفس، ويأتي الخاطر يخطِب رغبة النفس، والنفس المؤنثة تنتظر الخاطب، والنفس فيها شهوات ورغبات، فيأتي الخاطر يخطب رغبة معينة في النفس، فالنفس توافق وتسلم له نفسها، فتَهِم بالفعل، ويبقى الهمُّ فترة حتى يتولد في صورة عمل يظهر في الواقع، فإن جاء الخاطر شيطانيـًا ووافق رغبة من شهوات المعاصي فيتولد منه معصية، وإن جاء الخاطر رحمانيـًا أو مَلَكيـًا،

يُخاطب النفس التي تريد أن تتزكى، لأن النفس لها رغبة في التزكية، فتوافق الخاطر المَلَكي فتَهِم بفعل الطاعة، حتى تظهر على الجوارح في الآخر.

فتنسب إليك الطاعة فعلًا واكتسابًا، لا خَلْقًا وإيجادًا، وتنسب إليك المعصية فعلًا واكتسابًا، لا خَلْقًا وإيجادًا.

وهذه القضية التي لم يفهمها المعتزلة.

قال المصنف :(وقال الواسطي: لما كانت الأرواح والأجساد قامتا بالله، وظهرتا به لا بذواتها كذلك قامت الخطرات والحركات بالله لا بذواتها، إذ الحركات والخطرات فروع الأجساد والأرواح، صرح بهذا الكلام أنَّ أكساب العباد مخلوقة لله تعالى، وكما أنه لا خالق للجواهر إلا الله تعالى، فكذلك لا خالق للأعراض إلا الله تعالى) وظهرتا به، وأنتبه إلى أنَّ حقيقة الأرواح غير مُدركة، ولقد اختُلِفَ فيها: هل الروح عَرَض يقوم بالمحل؟ أو الروح جوهر؟ أو جسم لطيف؟ أم الروح سر لا نعرفه؟ وهذا الراجح. وهي من عالم الأمر أي عالم الإرادة الذي هو عالم الجبروت وهو عالم كُن فيكون، قال عز وجل: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، ويقول: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[الإسراء:٨٥]، فهي من عالم الأمر.

فإذا كان عالم الإرادة مخلوقًا والجبروت فالروح حادثة.

يقول: **(لما كانت الأرواح والأجساد قامتا بالله)** ربنا قائم بذاته، وكل ما سوى الله قائم بالله. **(لما كانت الأرواح والأجساد قامتا بالله، وظهرتا به لا بذواتها، كذلك قامت الخطرات والحركات بالله لا بذواتها)** فالخطرات تابعة للأرواح، والحركات تابعة للأجسام.

قال رحمه الله: (**كذلك قامت الخطرات والحركات بالله لا بذواتها، إذ الحركات والخطرات فروع الأجساد والأرواح**) وهذا يسمى لف ونشر مرتب، قال: (**الحركات والخطرات فروع**) فالأجساد تعود على الحركات، والأرواح تعود عليها الخطرات بالترتيب.

قال رحمه الله: (**صرح بهذا الكلام إن أكساب العباد**) أي ما يكتسبه مخلوق لله، وبالرغم من ذلك يُحاسب عليه، كما أنه لا خالق للجواهر إلا الله تعالى، فكذلك لا خالق للأعراض إلا الله.

والجوهر: هو ما لا يتجزَّأ من الأجساد، ومن الكتل، وحدة الكتلة تسمى (الجوهر الفرد) والجوهر الفرد متصور عقلي، كانوا يعتقدون انه الذرة لكنهم اكتشفوا أنَّ الذرة تنقسم فأصبح الجوهر الفرد تصوراً عقلياً لوحدة فإذا اجتمعت وحدتها تكون الكتلة، إذا تميَّزت الكتلة إلى أجزاء تكون الجسم، وأن الأجسام والجواهر تقوم بها الأعراض.

والأعراض: هي النسب، والنسب أن تقول هذا أحمر وهذا أصفر وأمامه وخلفه، فكل هذه تسمى أعراضا، فالأعراض تحتاج لمحل لتظهر فيه، والأعراض مخلوقة، والأجسام مخلوقة، والجواهر مخلوقة، فالكل خَلْق الله. كل هذا ليرد على من قال إنَّ الروح قديمة.

وتوجد فرقة تقول: نحن من روح الله فيعتقدون أنَّ الروح قديمة بِقِدَم الله، ويستدلون على قولهم بقوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [ص:٧٢]، إذن الروح منسوبة إلى الله والله قديم، وهذا جهل كبير، فالمصنف يرد على هؤلاء القائلين بِقِدَم الأرواح، بل الأرواح أيضًا مخلوقة والأجساد مخلوقة

والأعراض مخلوقة، وقوله ونفخت فيه من روحي رأي من الروح المشرفة التي خلقتها، فالنسبة نسبة تشرف وليست تبعيض.

قال المصنف: (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله، يقول: سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت أبا جعفر الصيدلاني يقول: سمعت أبا سعيد الخَرَّاز[١] يقول: من ظن أنه ببذل الجهد يصل إلى مطلوبه فمُتَعَنٍّ، ومن ظن أنه بغير الجهد يصل فمُتَمَنٍّ)

ما أجمل هذا الكلام، فمن ظن أنه يصل إلى مراد الله ورضاه وجنته بجهده متعنٍّ أتعب نفسه ببذل جهده فيرهق نفسه، قال سيدي أبو الحسن الشاذلي[٢] رضي الله عنه (من دلَّك على العمل أتعبك، ومن دلَّك على الله أراحك).

(١) أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري، من أهل بغداد. وصفه أبو عبد الرحمن السلمي بأنه «من أئمة القوم وجلة مشايخهم. وقيل إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء، وقال عنه أيضًا «إمام القوم في كل فن من علومهم، له في بادئ أمره عجائب وكرامات مشهورة ظهرت بركته عليه وعلى من صحبه وهو أحسن القوم كلامًا خلا الجنيد فإنه الإمام، وقال عنه المرتعش: «الخلق كلهم عيال على أبي سعيد الخراز إذا تكلم هو في شيء من الحقائق، وقال عنه ابن الطرسوسي «أبو سعيد الخراز قمر الصوفية كان أحد المذكورين بالورع والمراقبة وحسن الرعاية والمجاهدة، وقد أسند الحديث، فحدث عن إبراهيم بن بشار الخراساني صاحب إبراهيم بن أدهم ومحمد بن منصور الطوسي، وروى عنه أبو الحسن علي بن محمد المصري الواعظ وأبو جعفر الصيدلاني وعلي بن حفص الرازي وأبو محمد الجريري وأبو بكر أحمد بن الحسن الدقاق، وقد صحب ذا النون المصري، وأبا عبد الله النباجي، وأبا عبيد البُسري، وسريًا السقطي، وبشر بن الحارث، وغيرهم، توفي سنة ٢٧٧ هـ

(٢) هو السيد الامام أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف، وينتهي نسبه الى ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين. ولد رضي الله عنه في سنة ٥٩١ه، ويقال سنة ٥٩٣ه.

اما صفته فقال الشيخ أبو العزائم ماضي تلميذ الامام الشاذلي وخادمه كانت صفته ادم اللون، نحيف الجسم، طويل القامة، خفيف العارضين، وكان فصيح اللسان، عذب الكلام.

قال رحمه الله **(ومن ظن أنه بغير الجهد يصل فمُتَمَنٍّ)** فالجهد مطلوب ولكنك لا تصل به، فهو مطلوب لكونه شرط في الأزل للحصول على المطلوب. لن يدخل أحد الجنة بعمله، والنبي ﷺ كان أكثر الناس اجتهادًا فقد اجتهد وعَلِم أنه لا يدخل الجنة باجتهاده، ولو اعتقدت أنك ستدخل باجتهادك ستقع في مشكلة أخرى وهي الاعتماد على العمل، و الإعجاب بالنفس.

لقاءه بشيخه والاخذ عنه: فقد سافر الامام الشاذلي الى العراق فيقول عن سفرته (لما دخلت العراق اجتمعت بالشيخ الصالح ابي الفتح الواسطي فما رأيت بالعراق مثله، وكنت اطلب لقاء القطب، فقال لي طلب القطب في العراق وهو في بلادك، ارجع الى بلادك تجده) قال: فرجعت الى المغرب الى ان اجتمعت بأستاذي الشيخ الولي العارف الصديق القطب الغوث ابي محمد عبد السلام بن مشيش الشريف الحسني.

قال أبو الحسن الشاذلي: وهو يسكن مغارة في رأس الجبال، اغتسلت في عين في اسفل الجبل وطلعت عليه فلما رأني قال: مرحباً بعلي بن عبد الله بن عبد الجبار، فذكر نسبي الى رسول الله فأخذني منه الدهش فأقمت عنده اياماً الى ان فتح الله على بصيرتي، وبعدها قال لي يا علي ارتحل الى بلدة اسمها (شاذلة) وبعدها ستنتقل الى المشرق وبها ترث القطبانية.

تلاميذه: من أشهر تلاميذه الذين ورثوا علمه احمد أبو العباس المرسي والعز بن عبد السلام وابن دقيق العيد وعبد العظيم المنذري وابن الصلاح وابن الحاجب وغيرهم كثير.

مواعظه: من مواعظه رضي الله عنه: إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالسنة ودع الكشف، وقل لنفسك: ان الله تعالى قد ضمن العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها في جانب الكشف ولا الالهام ولا المشاهدة، مع انهم اجمعوا على انه لا ينبغي العمل بالكشف والالهام والمشاهدة الا بعد عرضه على الكتاب والسنة.

وكان يقول من لم يزدد بعلمه وعمله افتقاراً الى ربه وتواضعـاً لخلقه فهو هالك.

وفاته: حج مرات عديدة وتوفي في صحراء عيذاب في حميثرة في شهر ذي القعدة سنة ٦٥٦هـ. قال الشيخ أبو العباس المرسي ان الشيخ أبو الحسن الشاذلي كان يحج كل عام فلما كان اخر سنة خرج فيها فقال لخادمه: استصحب فأساً وقفة حنوط، فقال له لماذا؟ قال: في حميثرة سوف ترى. فلما بلغ حميثرة اغتسل الشيخ وصلى ركعتين فقبضه الله في اخر سجدة ودفن هناك.

ولو تركت العمل بالكلية فهذا تمني، والمتمني مغرور بربه، فمن ترك العمل مغرور بربه ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ٣٣﴾ [لقمان:٣٣]، ومن يعمل العمل ويظن إنه سيدخل به الجنة ومعتمد على عمله، فمنقطع أيضا. والصواب أن تعمل العمل ولا تلتفت إليه بقلبك، وتعتمد على الله بقلبك.

قال المصنف: (وقال الواسطي: المقامات أقسام قسمت، ونعوت أجريت، كيف تستجلب بحركات؟ أو تنال بسعايات؟).

القِسمة والنصيب والرزق في الدنيا والآخرة مقسوم قبل أن تخلق، فكيف تظن إنك بسعيك ستحصل على قسمتك، فالله هو الذي أعدها وقسمها «رفعت الأقلام وجفت الصحف»، «أمور يبديها ولا يبتديها، خلق للجنة أهلها وخلق للنار أهلها» فقالوا: وفيما العمل يا رسول الله؟ قال: «اعملوا فكل ميسر لما خُلِق له[(١)]». فأنت لا تعرف هل أنت من أهل الجنة أم من أهل النار، فلو وجدت نفسك ميسرا للعمل الصالح فتأمل أن تكون من أهل الجنة، فجعل فعل الصلاح والطاعة في الدنيا علامة على إنه من أهل الجنة، والعلامة كالعلة لا تؤثر في الحكم بل دالة عليه والمؤثر هو الله سبحانه لأنه لا فاعل سواه.

مثال ذلك: العلة في الحكم منضبطة، فإذا وُجِدت وُجِدَ معها الحكم، وإذا ارتفعت ارتفع معها الحكم. فهو وصف منضبط لا يؤثر بالحكم بل علامة على الحكم، لأن المؤثر هو الله. ومثل الإسكار في الخمر، فإذا وجد الإسكار في أي سائل صار خمرًا محرَّمًا فهو علامة على أنَّ السائل حرام، والسائل لا يخلق الإسكار. لأن الله خالق كل شيء. قال رحمه الله: (أو تُنال بسعايات؟)

---

(١) مسلم (٢٦٩٤)، أبو داود (٤٧٠٩)، الترمذي (٣١١١)، احمد (١٩).

الخلاصة: لا تعتمد على العمل ولا تهمل العمل. فالنبي ﷺ كان أكثر الناس اجتهادًا دون إجهاد، وكان أكثر الناس حيطةً وأخذًا بالأسباب دون أن يلتفت للأسباب ولا لعمله.

قال المصنف: (وسُئل الواسطي عن الكفر بالله أو لله فقال: الكفر والإيمان، والدنيا والآخرة من الله، وإلى الله، وبالله، ولله: من الله ابتداء وإنشاء، وإلى الله مرجعا وانتهاء، وبالله بقاء وفناء، ولله ملكا وخلقا).

أي أبدأه خلقًا وأظهره وأبقاه في الكون، أو لله مرجعًا وانتهاءً، فقال: (فقال الكفر والإيمان والدنيا والآخرة من الله، وإلى الله، وبالله، ولله) من الله ابتداءً خلقًا، وإلى الله مرجعًا وانتهاء، وبالله بقاءً ولله تصرفا وتدبرا.

وهنا يرد على المعتزلة أيضًا، لأن المعتزلة قالوا: إنَّ الكفر شر محض والله تعالى لا يخلق الشر.

وأهل السنة قالوا: إنَّ الله خلق الكفر وخلق الإيمان، كما خلق الحياة والموت، كما خلق الليل والنهار، خَلَق كل شيء، وأنت الذي تختار.

مثال للتوضيح: يوجد حانوت (سوبر ماركت) للتسوق، فتدخل فيه وتأخذ ما تشاء سواء كانت أشياء صحية ومغذية وحلالا، أو أشياء ضارة للجسم وحراما من لحم خنزير ومسكرات وغيرها، فتأخذ ما تشاء وما تشتهي، وعندما تريد الخروج من الحانوت تجد عند باب الخروج المحاسب الذي يحاسبك على ما أخذت واخترت، فالدنيا يوجد فيها الحلال والحرام وتأخذ ما تختار وتحاسب على ما تأخذ وتختار وأنت أيها المكلف لم تخلق شيئا بل اخترت منه ما شئت. فالله خالق كل شيء وأنت الذي تختار، وتحاسب على اختيارك.

وإبليس قال لربنا ﷻ: عندما أمرتني بالسجود لآدم ألم تكن تعلم أني لا أسجد له؟ قال: كنت أعلم، قال: فلم أمرتني وتعذبني لأجل ذلك؟ قال: أعذبك لأنك كنت لا تعلم أني أعلم واخترت عدم السجود لكبرك وغرورك.

فوجود الفحش ووجود الكفر في الأكوان حُجة بالغة على أنَّ هناك اختيار ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩)﴾ [الأنعام:١٤٩]، يعني فلو شاء أجبركم وهداكم أجمعين، ولكن شاء أن تختاروا ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن:٢].

قال المصنف: (وقال الجنيد: سئل بعض العلماء عن التوحيد، فقال: هو اليقين فقال السائل: بيِّن لي ما هو؟ فقال: هو: معرفتك، أنَّ حركات الخلق وسكونهم، فعل الله عز وجل وحده، لا شريك له. فإذا فعلت ذلك فقد وحَّدته) .

وحدت الفاعل في الأكوان، فهو الذي يفعل كل شيء، ويخلق كل شيء، ولا يوجد معه خالق.

قول المصنف: (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله، يقول: سمعت عبد الواحد بن علي، يقول: سمعت القاسم بن القاسم يقول: سمعت محمد بن موسى الواسطي[1] يقول: سمعت محمد بن الحسين الجوهري يقول: سمعت

(١) أبو بكر محمد بن موسى الواسطي، وكان يُعرف بـ «ابن الفرغاني»، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الرابع الهجري، قال عنه أبو عبد الرحمن السلمي بأنه: «من علماء مشايخ القوم (الصوفية)، لم يتكلم أحد في التصوف مثل ما تكلم هو، وكان عالماً بالأصول، وعلوم الظاهر»، وقال عنه أبو نعيم الأصبهاني بأنه: «عالم بالأصول والفروع، ألفاظه بديعة، وإشاراته رفيعة». من قدماء أصحاب الجنيد وأبي الحسين النوري، أصله من خراسان من فرغانة، واستوطن «كورة مرو»، ومات بها بعد عام ٣٢٠ هـ.

ذا النون المصري يقول: وقد جاءه رجل فقال: ادع الله لي، فقال: إنَّ كنت قد أُيِّدت في علم الغيب بصدق التوحيد، فكم من دعوة مجابة قد سبقت لك، وإلا فإن النداء لا ينقذ الغرقى).

من الواضح أنَّ ذا النون المصري (رحمه الله) قد لاحظ أنَّ الرجل لديه اعتماد على العمل، وطلب منه الدعاء، وكأنه يعتمد على دعاء الأولياء، وهو مقصر في الاجتهاد، فرده إلى عدم الاعتماد، ورده لقدر الله فيه، فقال: (**إن كنت قد أيدت في عالم الغيب**) يعني مكتوب في عالم الغيب عند الله من السعداء (**بصدق التوحيد، فكم من دعوة مجابة قد سبقت لك**)، لأن دعاء الأنبياء اللهم اغفر لي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب، وإن كنت مكتوباً من المؤمنين فكم من دعوة مستجابة أصابتك من الأنبياء والصالحين على مر العصور، (**وإلا**) وإن لم تكن من أهل السعادة (**فإن النداء لا ينقذ الغرقى**).

قول المصنف: (**وقال الواسطي: ادعى فرعون الربوبية على الكشف، وادعت المعتزلة على الستر، تقول: ما شئت فعلت**)، ففرعون قال أنا ربكم الأعلى بشكل صريح وبوضوح، قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، (وادعت المعتزلة على الستر، تقول: ما شئت فعلت) وادعت المعتزلة خلق الأفعال، فكأنهم شابهوا فرعون في قوله.

قول المصنف: (**وقال أبو الحسين النوري: التوحيد: كل خاطر يشير إلى الله تعالى، بعد أن لا تزاحمه خواطر التشبيه**). فكل خاطر يأتي في قلبك منزهًا لربك من كل تكييف وتشبيه وتعطيل فهذا هو التوحيد.

من أقواله: الأسير على وجوه: أسير نفسه وشهوته، وأسير شيطانه وهواه، وأسير ما لا معنى له لحظه أو لفظه هم الفساق، وما دام للشواهد على الأسرار أثر وللأعراض على القلب خطر فهو محجوب بعيد من عين الحقيقة، ما تورع المتورعون ولا تزهد المتزهدون إلا لعظم الأعراض في سرائرهم، فمن أعرض عنها أدبـًا، أو تورع عنها ظرفـًا، فذلك الصادق في ورعه، والحكيم في آدابه.

قول المصنف: (وأخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي، رحمه الله تعالى، قال: سمعت عبد الواحد بن بكر، يقول: سمعت هلال بن أحمد يقول. سئل أبو علي الروذباري عن التوحيد، فقال: التوحيد: استقامة القلب بإثبات مفارقة التعطيل وإنكار التشبيه، والتوحيد في كلمة واحدة. كل ما صوره الأوهام والأفكار فالله سبحانه بخلافه، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

التعطيل: أي أنه سبحانه غير موصوف؛ لأن بعض الفلاسفة قالت بهذا القول مخافة من تعدد الصفات والتي تؤدي إلى تعدد القدماء.

قول المصنف: (وقال أبو القاسم النصرأباذي[1]: **الجنة باقية بإبقائه، وذكره لك، ورحمته، ومحبته لك باق ببقائه. فشتان بين ما هو باق ببقائه، وبين ما هو باق بإبقائه**). أي كن مع الصفات وليس مع أثر الصفة، فأثر الصفة فعل، والفعل مخلوق، لكن الصفة قديمة باقية، فكن مع الصفات لأنها باقية ببقائه سبحانه وتعالى، أما الأفعال والفعل فهو باق بإبقائه، فكن عبدا للموصوف ولا تكن عبداً للأثر والأفعال وإلا كنت عبداً للنعم، فالنعم أثر الأفعال. الجنة باقية بإبقاء الله؛ لأن الجنة نعمة، لكن ذكره لك أيها الصالح الذي تذكره باق ببقائه، وشتان ما بين باقٍ ببقائه فدائم، وبين الذي باق بإبقائه فقد يزول.

قال المصنف: (وهذا الذي قاله الشيخ أبو القاسم النصرأباذي، **هو غاية في التحقيق، فإن أهل الحق قالوا صفات ذات القديم سبحانه باقيات ببقائه تعالى، فنبه على هذه المسألة وبين أنَّ الباقي باق ببقائه، بخلاف ما قاله مخالف أهل الحق فخالفوا الحق**)

(١) إبراهيم بن محمد بن محمويه النصرأباذي، شيخ خراسان، ولد في نيسابور ونشأ بها، صحب أبا الشبلي وابا علي الروذبادي وغيرهم، كتب الحديث ورواه وكان ثقة، توفي سنة ٣٦٩هجري.

قال المصنف: (**أخبرنا محمد بن الحسين قال سمعت النصرأباذي يقول: أنت متردد بين صفات الفعل وصفات الذات، وكلاهما صفته تعالى على الحقيقة، فإذا هيمك في مقام التفرقة قرنك بصفات فعله، وإذا بلغك إلى مقام الجمع قرنك بصفات ذاته وأبو القاسم النصرأباذي كان شيخ وقته**) الصفات: هي التي لها فعل في الخارج، وصفات الذات هي قائمة بالله.

قال رحمه الله: (**وكلاهما صفته تعالى على الحقيقة، فإذا هيمك في مقام التفرقة قرنك بصفات فعله**) وهذا مقام الفرق وهو غير مقام الجمع، فترى الأفعال متعددة فتنشغل بها وأنت تعلم أنها من الله لكنك تراها متعددة فانشغلت بالتعدد فتفرقت وهذا (مقام الفرق).

قول المصنف: (**سمعت الإمام ابن إسحاق الإسفرايني**[1] **رحمه الله يقول لما قدمت من بغداد كنت أُدرِّس في جامع نيسابور مسألة الروح واشرح القول في أنها مخلوقة وكان أبو القاسم النصرأباذي قاعدا متباعدا عنا يصغى إلى كلامي فاجتاز بنا بعد ذلك يوما بأيام قلائل، فقال لمحمد الفراء اشهد أنى أسلمت جديدا على يد هذا الرجل وأشار الي**)

أي في أول أمره كان عنده اختلاط، هل الروح مخلوقة ام قديمة؟ فلما سمع الأدلة على أنها مخلوقة اعتبر أنه أسلم إسلامًا جديداً، فالروح مخلوقة بإجماع أهل السنة، أما حقيقة الروح عند أهل السنة فعلى مذهبين:

المذهب الأول: جمهور المتكلمين قالوا إنَّ الروح جسم. ولكنه جسم لطيف، أي لا يرى بالحواس وترى أثاره. واستدلوا على جسميتها بعروجها وهبوطها، وربنا عز وجل وصفها بالحركة، والحركة صفة الأجسام.

(١) ركن الدين إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفراييني الشافعي، حدث عنه الامام البيهقي وأبو القاسم القشيري وأبو الطيب الطبري، توفي سنة ٤١٨ هجري.

المذهب الثاني: بعض المتكلمين قالوا إنها عرض، وهي تحل في الأبدان، فيظهر بها أثار الحياة فإذا فارقته ضاع منها الحياة، وهذا أضعف الأقوال.

المذهب الثالث: قول معظم الصوفية أنها جوهر وليست جسما، وغير داخلة في الجسم ولا خارجة عنه بل متعلقة بالجسم، ومثاله (الكهرباء) الكهرباء التي في السلك غير داخلة وغير خارجة؛ لأنها عبارة عن موجات الكترونية تُنشّط الالكترونات التي داخل السلك نفسه فلا هي خارجة ولا داخلة، والروح من أمر ربى، وهي سر فإذا امتزجت الروح بالجسد صارت نفسا، والنفس حياتها الشهوة والهوى، والروح حياتها موت النفس؛ لأن محلها القلب، فالقلب إذا استقر فيه الهوى والشهوة فهو(نفس) فإذا أمت نفسك بمخالفة الهوى والنفس حيا قلبك، وقتل نفسك بالتوبة ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة:٥٤]، فالتوبة لا تكون إلا بقتل الهوى والشهوة.

والقلب محل حلول الروح، فإذا استقر القلب بعد ذلك وصفي تماما عن كل التعلقات صار سرا، فصارت الروح سراً فترجع لبارئها كما كانت سراً ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء:٨٥] وهذا معنى كلام الصوفية. فالصوفية قالوا: إنَّ الروح هي جوهر مستقل بغير تحيز.

قول المصنف: (سمعت محمد بن الحسين السلمي يقول سمعت أبا حسين الفارسي يقول سمعت إبراهيم بن فاتك[1] يقول سمعت الجنيد يقول: متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير؟! هيهات هذا ظن عجيب، إلا بما لطف اللطيف من حيث لا درك ولا وهم ولا إحاطة إلا إشارة اليقين وتحقيق الإيمان).

---

(١) هو إبراهيم بن فاتك بن سعيد البغدادي، صحب الجنيد وهو من تلاميذ الحلاج، توفي سنة نيف وثلاثين من الهجرة.

يرد على الذين اتهموا الصوفية بالحلول، فلقد نفى المعنى الحسي المكاني، فاذا قيل إنَّ فلانا وصل إلى الله، فليس بالمعنى الحسي المكاني، ولا بمعنى الحلول بل وصل إلى قربه، قرب المكانة لا المكان؛ لأنه لا اتصال ولا انفصال بالمعنى الحسي.

(إلا بما لطف اللطيف من حيث لا درك ولا وهم ولا إحاطة إلا إشارة اليقين وتحقيق الإيمان) فمن لطفه أوصلك إليه معرفة وتجليا **(من حيث لا درك)** أي من حيث لا تدرك كيف وصل إليك هذا الوصول، أم كيف وصلت أنت إلى هذا الموصول، ولا وهم ولا إحاطة ولا إدراك لمن وصلت إليه، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار.

(إلا إشارة اليقين وتحقيق الإيمان) ولكنّ المسألة بالإشارة وهي المعرفة وثبوت الإيمان في القلب.

قول المصنف: (أخبرنا محمد بن الحسين رحمه الله تعالى قال سمعت عبد الواحد بن بكر[1] يقول حدثني أحمد بن محمد بن على البرعي قال، حدثنا طاهر بن إسماعيل الرازي قال: قيل ليحي بن معاذ[2] أخبرني عن الله عز وجل: فقال: آله واحد. فقيل له كيف هو؟ فقال: ملك قادر. فقيل: أين هو؟ فقال: هو بالمرصاد. فقال السائل: لم أسألك عن هذا! فقال: ما كان غير هذا كان صفة المخلوق، فأما صفته فما أخبرتك عنه)

---

(١) عبد الواحد بن بكر بن محمد الصوفي روى عن محمد بن الحسين بسنده إلى سفيان الثوري، توفي بالحجاز سنة ٣٧٢ هجري ودفن بالحجاز.

(٢) أبو زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي الواعظ، أحد علماء اهل السنة ومن مشايخ الصوفية الكبار، تتلمذ على ابي يزيد البسطامي رحمه الله، من أشهر كتبه كتاب المريدين، توفي سنة ٢٥٨ هجري.

قوله: (**أخبرني عن الله فقال آله واحد. فقيل له كيف هو**) يريد أن يسأل عن الماهية والشيخ يعلم هذا جيداً، لكنه رد عليه بالصفات؛ لأن الماهية غير معلومة. لأن سيدنا موسى عليه السلام لما سأله فرعون في سورة طه ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩﴾ [طه:٤٩]، فأجابه بالصفات ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه:٥٠-٥٢]، وفي سورة الشعراء قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٢٣]، سؤاله في الشعراء عن الماهية وسؤاله في طه عن الصفات، فأجاب سيدنا موسى عليه السلام على سؤاله في الشعراء بقوله: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٢٤ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ۝٢٥﴾ [الشعراء:٢٥]، أنا اسأله عن الماهية وهو يجيبني عن الصفات ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۝٢٧﴾ [الشعراء:٢٧] لا يعي القول لأنني أسأله عن الماهية ويجيبني عن الصفات، فالشيخ أجاب كما أجاب سيدنا موسى بالصفات. (**فقيل له كيف هو قال ملك قادر، فقيل أين هو؟ قال هو بالمرصاد، فقال السائل لم أسألك عن هذا، قال ما كان غير هذا كان صفة للمخلوق فأما صفته فما أخبرتك عنه**) فالله لا يُعرف بالماهية بل بأسمائه وصفاته وآثاره وأفعاله.

قال المصنف: (**وأخبرنا محمد بن الحسين قال سمعت أبا بكر الرازي**)[1]

(١) قال عنه الامام الذهبي في سير اعلام النبلاء: الْأُستاذُ الفيلسُوفُ، أَبُو بكرٍ، مُحمدُ بنُ زكريا الرازِي الطبِيبُ، صاحِبُ التصانِيفِ، مِن أذكياءِ أهلِ زمانِهِ، وكان كثِير الأسفارِ، وافِر الحُرمةِ، صاحِب مُرُوءةٍ وإِيثارٍ ورأفةٍ بِالمرضى، وكان واسِع المعرِفةِ، مُكبًا على الاشتِغالِ، مليح التألِيفِ، وكان فِي بصرِه رُطُوبةٌ؛ لِكثرةِ أكلِه الباقِلى، ثُم عمِي.

يقول سمعت أبا على الروذباري[1] **يقول: كل ما توهمه متوهم بالجهل أنه كذلك فالعقل يدل على أنه بخلافه)** لأن العقل يدل على أنَّ الله ليس كمثله شيء وفوق كل إدراك.

قول المصنف: (وسأل ابن شاهين الجنيد عن معنى (مع)؟ فقال مع، على معنيين مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة قال الله تعالى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ **[طه:٤٦]، ومع العامة بالعلم والإحاطة قال تعالى:** ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ **[المجادلة:٧]، قال ابن شاهين: مثلك يصلح أن يكون دالا للأمة على الله).**

فمع سيدنا موسى وهارون عليهما السلام بالنصرة والكلاءة والحفظ.

قال رحمه الله: **(ومع العامة بالعلم والإحاطة قال تعالى:** ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ **[المجادلة:٧]**، وهنا معية علم وإحاطة. قال ابن شاهين **(مثلك يصلح أن يكون دالا للأمة على الله)** لحسن عبارته الدالة على سلامة اعتقاده.

أخذ عنِ: البلخِي الفيلسُوفِ، وكان إِليهِ تدبِيرٌ بِيمارِستانِ الري، ثُم كان على بِيمارِستانِ بغداد فِي دولةِ المُكتفِي، بلغ الغاية فِي عُلُومِ الأوائِلِ، نسألُ الله العافية. ولهُ كِتابُ: «الحاوِي» ثلاثُون مُجلداً فِي الطب، وكِتابُ «الجامِعِ»، وكِتابُ «الأعصابِ»، وكِتابُ «المنصُورِي»، صنفهُ لِلملكِ منصُورِ بنِ نُوحِ السامانِي. توفي في بغداد سنة ٣١١ هجري.

(١) قال عنه الامام الذهبي في سير اعلام النبلاء: شيخُ الصوفِيةِ، قِيل: اسمُهُ: أحمدُ بنُ مُحمدِ بنِ القاسِمِ بنِ منصُورٍ. وقِيل: اسمُهُ حسنُ بنُ هارُون. سكن مِصر، صحِب: الجُنيد، وأبا الحُسينِ النورِي، وأبا حمزة البغدادِي، وابن الجلاءِ. وحدث عن: مسعُودٍ الرملِي، وغيرِهِ. وقال: أُستاذِي فِي الفِقهِ: ابنُ سُريجٍ، وفِي الأدبِ: ثعلبٌ، وفِي الحدِيثِ: إِبراهِيمُ الحربِي. وعنِ الجِعابِي قال: رحلتُ إِلى عبدان، فأتيتُ مسجِده، فوجدتُ شيخًا، فكلمتُهُ، فذاكرنِي بِأكثر مِن مائتي حدِيثٍ فِي الأبواب، وكنت قد سُلِبتُ فِي الطرِيقِ، فأعطانِي ما عليهِ، فلما دخل عبدانُ المسجد، اعتنقهُ، وبش بِهِ، فقُلتُ لهُم: من هذا؟ قالُوا: هذا أبُو علِي الروذباري. توفي سنة ٣٢٢هجري.

قول المصنف: (وسئل ذو النون المصري عن قوله تعالى:﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه:٥]، فقال أثبت ذاته ونفى مكانه، فهو موجود بذاته والأشياء موجودة بحكمه كما شاء سبحانه).

أثبت ذاته بقوله الرحمن، ونفى مكانه بدلالة العقل؛ لأن العرش مخلوق، فهو موجود بذاته أي قبل خلق العرش كما هو، والأشياء موجودة بحكمه، فالعرش وما سوى العرش كله موجود بحكم الله كما شاء سبحانه.

قول المصنف: (وسئل الشبلي عن قوله تعالى:﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه:٥]، فقال الرحمن لم يزل والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى). فهو قائم قديم قبل العرش وبعد العرش لا يتغير سبحانه، والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى، أي تم تدبيره.

قول المصنف: (وسئل جعفر بن نصير [1] عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه:٥]، فقال استوى علمه بكل شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء).

(١) قال عنه الامام الذهبي في سير اعلام النبلاء: الشيخُ الإمام القُدوة المحدث شيخ الصوفِية، أبُو مُحمدٍ جعفرُ بنُ مُحمدِ بنِ نُصير بنِ قاسم البغدادي كان يسكن محلة الخلد.

سمِع الحارِث بنُ أبِي أُسامة، وعلِي بنُ عبدِ العزِيز وأبا مُسلِم الكجي، وعُمر بن حفص السدُوسِي، وأبا العباسِ بن مسرُوق.

وصحِب أبا الحُسين النورِي، والجُنيد، وأبا مُحمد الجريرِي.

حدث عنهُ: يُوسُف القواس، والحاكِمُ، وأبُو الحسنِ بنُ الصلت، وعبد العزِيزِ الستُورِي، والحُسين الغضائِرِي، وابن رزقُويه، وابن الفضلِ القطان، وأبُو الحسنِ الحمامي، وأبُو علِي بنُ شاذان. توفي سنة ٣٤٨ هجري

فهو القائل سبحانه: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١﴾ [فصلت:١١]، استوى إلى السماء بمعنى أصبح هو الأمر الناهي فأمر ونهى فأطيع. فالاستواء بمعنى التدبير، وبمعنى الأمر والنهي، ويحتمل أي معنى آخر غير الجلوس والاستقرار، فقال استوى علمه بكل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء.

قال المصنف: (وقال جعفر الصادق[1] من زعم أنَّ الله في شيء أو من شيء

---

(١) قال عنه الامام الذهبي ف سير اعلام النبلاء: جعفرُ بنُ مُحمدِ (عليه السلام) ابن علي بن الشهِيدِ أبِي عبدِ اللهِ ريحانةِ النبِي -صلى اللهُ عليهِ وسلم- وسِبطِهِ ومحبُوبِهِ الحُسينِ بنِ أميرِ المُؤمِنِين أبِي الحسنِ علِي بنِ أبِي طالِبٍ عبدِ منافٍ بنِ شيبة، وهُو عبدُ المطلب ابن هاشِمٍ، واسمُهُ عمرُو بنُ عبدِ منافٍ بنِ قُصي الإمامُ الصادِقُ شيخُ بنِي هاشِمٍ أبُو عبدِ اللهِ القُرشِي الهاشِمِي العلوِي النبوِي المدنِي أحدُ الأعلامِ.

وأُمه هِي أُم فروة بِنتُ القاسِمِ بنِ مُحمدِ بنِ أبِي بكرٍ التيمِي وأُمها هِي أسماءُ بِنتُ عبدِ الرحمنِ بنِ أبِي بكرٍ ولِهذا كان يقُولُ: ولدنِي أبُو بكرٍ الصديقُ مرتينِ. وُلد سنة ثمانِين. ورأى بعض الصحابةِ أحسِبُهُ رأى أنس بن مالِكٍ وسهل بن سعدٍ.

حدث عن: أبِيهِ، أبِي جعفرٍ الباقِرِ، وعُبيدِ اللهِ بنِ أبِي رافِعٍ، وعُروةُ بنُ الزبيرِ، وعطاءُ بنُ أبِي رباحٍ ورِوايتُه عنهُ فِي «مُسلِمٍ» وجده؛ القاسِمِ بنِ مُحمدٍ، ونافِعٍ العُمرِي، ومُحمدِ بنِ المُنكدِرِ، والزهرِي، ومُسلِمِ بنِ أبِي مريم، وغيرِهِم، وليس هُو بِالمُكثِرِ إلا عن أبِيهِ، وكانا من جلة علماء المدينة.

حدث عنهُ: ابنُهُ مُوسى الكاظِمُ، ويحيى بنُ سعِيدٍ الأنصارِي، ويزِيدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الهادِ وهُما أكبرُ مِنهُ، وأبُو حنِيفة، وأبانُ بن تغلب، وابن جريج، ومعاوية ابن عمارٍ الدهنِي، وابنُ إِسحاق فِي طائِفةٍ مِن أقرانِهِ، وسُفيانُ، وشُعبةُ، ومالِكٌ، وإِسماعِيلُ بنُ جعفرٍ، ووهبُ بنُ خالِدٍ، وحاتِمُ بنُ إِسماعِيل، وسُليمانُ بنُ بِلالٍ، وسُفيانُ بنُ عُيينة.

وعن رجُلٍ، عن بعضِ أصحابِ جعفرِ بنِ مُحمدٍ قال: رأيتُ جعفراً يُوصِي مُوسى يعنِي ابنهُ يا بُني من قنع بِما قُسِم لهُ استغنى ومن مد عينيهِ إلى ما فِي يدِ غيرِه مات فقِيراً، ومن لم يرض بِما قُسِم لهُ اتهم الله فِي قضائِهِ، ومنِ استصغر زلة غيرِه استعظم زلة نفسِه، ومن كشف حِجاب غيرِه انكشفت عورتُهُ، ومن سل سيف البغيِ قُتِل بِهِ، ومنِ احتفر بِئراً لأخِيهِ أوقعهُ اللهُ فِيهِ، ومن داخل

أو على شيء فقد أشرك إذا لو كان على شيء لكان محمولا ولو كان في شيء لكان محصورا ولو كان من شيء لكان محدثا، وقال جعفر الصادق أيضا في قوله(ثم دنا فتدلى) من توهم أنه بنفسه دنى جعل ثم مسافة إنما التدني أنه كلما قرب منه بعدّه عن أنواع المعارف إذ لا دنو ولا بعد)

ثم دنى قرب مكانة فتدلى بأنواع التجليات، على القول إنَّ التداني والقرب والبعد هنا بين الله ورسوله، وعلى القول إنه بين سيدنا جبريل وبين رسول الله فلا مانع من جعله على الجسمية؛ لأن الاثنين جسم، لكن لو جعلت الآية هنا متعلقة بين الله ورسوله فتمتنع المسافات والحلول، فكان قاب قوسين أو أدنى، فالقوسان قوسا الصفات؛ لأن الصفات فيها المتقابلات

السفهاء حُقر، ومن خالط العُلماء، وُقر ومن دخل مداخِل السوءِ اتهم يا بُني إياك أن تُزرِي بالرجالِ فيُزرى بك، وإياك والدخُول فِيما لا يعنِيك فتذِل لِذلِك، يا بُني قُلِ الحق لك وعليك تُستشارُ مِن بينِ أقرِبائِك، كُن لِلقُرآنِ تالِيـًا، ولِلإسلامِ فاشِيـًا، ولِلمعرُوفِ آمِراً، وعنِ المُنكرِ ناهِيـًا، ولِمن قطعك واصِلاً، ولِمن سكت عنك مُبتدِئـًا، ولِمن سألك مُعطِيـًا، وإِياك والنمِيمة فإنها تزرعُ الشحناء فِي القُلُوبِ، وإياك والتعرض لِعُيُوبِ الناسِ فمنزِلةُ المُتعرضِ لِعُيُوبِ الناسِ كمنزِلةِ الهدفِ، إذا طلبت الجُود فعليك بِمعادِنِهِ، فإن لِلجُودِ معادِن، ولِلمعادِنِ أُصُولاً، ولِلأُصُولِ فُرُوعـًا، ولِلفُرُوعِ ثمراً، ولا يطِيبُ ثمرٌ إلا بِفرعٍ، ولا فرعٌ إلا بِأصلٍ، ولا أصلٌ إلا بِمعدنٍ طيبٍ زُرِ الأخيار، ولا تزُرِ الفُجار، فإِنهُم صخرةٌ لا يتفجرُ ماؤُها وشجرةٌ لا يخضر ورقُها وأرضٌ لا يظهر عشبها.

حدثنا الطبرانِي، حدثنا أحمدُ بنُ زيدِ بنِ الجُريشِ، حدثنا الرياشِي، حدثنا الأصمعِي، قال: قال جعفرُ بنُ مُحمدٍ: الصلاةُ قُربانُ كُل تقِي، والحج جِهادُ كُل ضعِيفٍ، وزكاةُ البدنِ الصيامُ، والداعِي بِلا عملٍ كالرامِي بِلا وترٍ، واستنزِلُوا الرزق بِالصدقةِ، وحصنُوا أموالكم بِالزكاةِ، وما عال منِ اقتصد، والتقدِيرُ نِصفُ العيشِ، وقِلةُ العِيالِ أحدُ اليسارينِ، ومن أحزن والِديه فقد عقهُما، ومن ضرب بِيدِهِ على فخِذِه عِند مُصِيبةٍ فقد حبط أجرُهُ والصنِيعةُ لا تكُونُ صنِيعةً إلا عِند ذِي حسبٍ أو دِينٍ، والله ينزل الصبر على قدر المصيبة، ويُنزِلُ الرزق على قدرِ المُؤنةِ، ومن قدر معِيشته رزقهُ اللهُ، ومن بذر معِيشته حرمهُ اللهُ. توفي رضي الله عنه ١٤٨ هجري في المدينة ودفن في البقيع.

فكان النبي ﷺ مهبط تجليات الصفات المتقابلات، ففي المعراج تجلى عليه بالذات أو أدنى. وكل هذه المعاني محتملة، إذ لا دنو ولا بعد مكاني.

قال المصنف: (ورأيت بخط الأستاذ أبي علي أنه قيل لصوفي أين الله؟ فقال له أسحقك الله تطلب مع العين أين)

كلمة أين تطلق عند الناس ويراد بها السؤال عن المكان، والله خلق المكان فلا يليق هذا بالله عز وجل، والنبي ﷺ عندما سأل الجارية وقال لها أين الله؟ سألها عن المكانة لا عن المكان، لأن الظرف إذا تعلق بالله فقد معناه المكاني والزماني، فسؤال النبي أين الله؟ أي أين مكانة الله عندك؟ فأشارت إلى جهة التنزيه، أي هو في المحل الأعلى من التنزيه. ولم تشر إلى جهة الحلول كما استدل بها الوهابية واستدلوا على أنها تحمل على معناها الحقيقي. فلما قيل للصوفي أين الله؟ وعلم أنَّ السائل يسأل على معنى المكان فقال له (**أسحقك الله تطلب مع العين أين**) فهل هناك موجود إلا الله حتى تسأل أين.

والسحق، والمحق، والطمس كل هذه من مصطلحات صوفية، السحق: أي أفناك عما سواه فلا ترى فاعلا إلا هو.

أما المحق: فلا يرى صفة إلا لله.

وأما الطمس: فلا يرى موجودا إلا الله، فمن رأى الأفعال ونسبها إلى الله يسمى مسحوق، ومن رأى الصفات فنسبها إلى الله يسمى ممحوق، ومن لا يرى إلا الحقيقة وهو الوجود بحق يسمى مطموس، أي طمست عنه الأكوان فلم يرى إلا المكون وهذا معنى الطمس.

فيقول مثلا: هل في الوجود موجود إلا الموجود، فيظن الناس الذين لا يفهمون هذه الأحوال أنه قال إنَّ الله حل في الموجودات، وهو لم يقل ذلك بل هو لم يرى موجودا إلا هو، لأنه طمس عنه كل شيء وهو مقام من مقامات الفناء. فهم لا يقولون بالحلول ولا بالاتصال ولا بالانفصال، لأن الاتصال والانفصال والحلول والانتقال علامة الحدوث والله فوق كل حادث.

وهذا المقام الذي كان فيه الحلاج رحمه الله فقال (ما في الجبة إلا الله) فهو لا يقصد الحلول أبدا؛ لأنه كان في مقام مختلف لا يرى فيه الدنيا ابدا ولا يشعر بها.

هل الصحابة مروا بمثل هذا المقامات؟ نعم مروا بهذه المقامات، ولكن لم يتكلموا بها لكمال أدبهم مع الله، لأن الذي أدبهم هو رسول الله ﷺ، فمثلا سيدنا عروة بن الزبير بن العوام رضي الله عنهما وهو تابعي جليل وأخوه عبد الله صحابي جليل ووالديه صحابيان، أصابه في قدمه مرض وقالوا له سنقطع مكان المرض كي لا ينتشر التسمم في جسمك فتموت، ولم يكن في ذلك الزمان بنج ولا تخدير، وهو بخبرته مع نفسه يعلم إنه إذا دخل في الصلاة يكون في مقام يسمى (مقام الفناء) فلا يشعر بما حوله فقال: إذا صليت وسجدت فافعلوا ما شئتم، فلما توضأ وصلى ودخل في السجود قطعوا رجله ووضعوها بالزيت المغلي كي يوقف النزف، ولم يتحرك، وفيه دليل على أنه كان في مقام الفناء. فالحلاج رحمه الله قال كلاما يخالف الشريعة ظاهرا وهو عند العلماء خطأ وهو في الحقيقة صحيح، فحكم عليه بسيف الشريعة أن يقتل وهو في الحقيقة ناج من أولياء الله تعالى.

قال رحمه الله: (**تطلب مع العين أين**) يعنى تحقق بمقام الفناء فلا يرى موجودا إلا الله. والفناء مقامان مقام الجمع ومقام جمع الجمع، ومقام الجمع: هو الذي يرى الواحد في الكثرة، ومقام جمع الجمع: هو الذي لا يرى فيه الكثرة فيرى الأحدية. وبعض الصوفية لا فرق عندهم بين الأحدية والواحدية بل هما مترادفان. والراجح أنهما مختلفان، فالذي لا يرى آثار الصفات فهو في مقام جمع الجمع، والذي يرى آثار الصفات فهو في مقام الجمع، والموجودات منسوبة إليه دون أن يحل فيها وبدونه لا وجود لها، لذلك قالوا تعلمُ الرياضيات يؤدى إلى التوحيد ويعلمك التوحيد، فالله مثل الرقم واحد في الرياضيات مع باقي الأرقام، فالأرقام لا نهاية لها وكذلك الموجودات لا نهاية لها، والله قادر على أن يخلق إلى ما لا نهاية من موجودات؛ لأنها ممكنات، والممكنات لا نهاية لها وقدرته شاملة لكل ممكن إيجادا أو إعداما. فالواحدية موجودة في كل تعدد مهما تعدد دون أن تحل فيه ودون أن تتصل به ودون أن تنفصل عنه. فأثار الصفات المتعينة في الخارج مع كثرتها تدل على الواحدية وهذا في مقام الجمع لأنه جمع الكثرة في الواحد.

وجمع الجمع: جمع الصفات الكثيرة وتعيناتها في ذات واحدة وهي الأحدية فلم يرَ إلا الذات. وهو المسمى بمقام (العماء) كان الله ولم يكن شيء معه، وهذا هو مقام جمع الجمع المسمى العماء، والعماء حيث لا أثر للصفات في الخارج.

قال المصنف: (أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي، قال: سمعت أبا العباس بن الخشاب البغدادي[1] يقول، سمعت أبا القاسم بن موسى يقول سمعت محمد بن أحمد يقول سمعت الأنصاري يقول سمعت الخراز يقول: حقيقة القرب فقد حس الأشياء من القلب وهدوء الضمير إلى الله تعالى)

حقيقة القرب هو قرب المكانة من الله لا المكان، فالله قريب من جميع الخلق حتى الكفار وحتى الحيوانات، قرب ربوبية وقرب احتياج المربوب إلى ربه، وقرب إحاطة، وقرب قدرة، وقرب قهر، وإدراك وسمع وبصر فهو الباطن الذي ليس دونه شيء، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾[ق:١٦]، وإذا أطلق الإنسان في القرآن الكريم يقصد به الكافر والمسلم، ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد. وهناك قرب آخر غير قرب الرب لمربوبه وهو قرب الاجتباء والاصطفاء، فالقرب قربان: عام لكل الخلق، وقرب خاص واختيار واصطفاء للأنبياء والأولياء، وحقيقة القرب هو قرب القلب من الله مكانة لا مكانا ولا حلولا، فأقضوا على حس الأشياء من القلب، والأشياء

---

(١) قال عنه الامام الذهبي في سير اعلام النبلاء: الِإمامُ المُحدثُ، المُفِيدُ، الثقةُ، أَبُو سعِيدٍ مُحمدُ بنُ علِي بنِ مُحمدِ بنِ أحمد بنِ حبِيبٍ النيسابُورِي، الخشابُ، الصفارُ. وُلِد: سنة إِحدى وثمانين وثلاثِ مائة.

وسمِع مِن: أَبِي مُحمدٍ المخلدي، وأَبِي الحُسينِ الخفاف، والحاكِم، وأَبِي عبدِ الرحمنِ، وابن محمِش، وخلقٍ سِواهُم. وعُنِي بِهذا الشأن.

قال عبدُ الغافِرِ فِي (سياق تارِيخ نيسابُور): كان مُحدثًا مُفِيداً، مِن خواص خدمِ أَبِي عبدِ الرحمنِ السلمِي، وكان صاحِب كتب، صار بُندار كُتُبِ الحدِيث بِنيسابُور، وأكثر أقرانِهِ سماعًا وأُصُولاً، رزقه الله الإِسناد العالِي، وجمع الأبواب، وأسمِع الصبيان، وهُو مِن بيت حدِيث وصلاح. تُوُفي: فِي ذِي القعدةِ، سنة سِت وخمسِين وأربعِ مائة.

الشهوة والهوى، وقد يجتمع الاثنان فيكونان شيئًا واحداً؛ لأن الشهوة هي الهوى، فلو أنَّ الإنسان فقد حسه بهواه وشهوته ولم يبقى في قلبه إلا الله صار محبوبا وليس محجوبا، فالمحجوب هو أنت والله ليس بمحجوب وهو قريب من عباده ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[البقرة:١٨٦]، أما أنت فبعيد، بعيد بشهوتك وبهواك وبمعصيتك وبغفلتك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٤٤﴾[فصلت:٤٤]، ولذا احتجت للوسيلة والله لا يحتاج للوسيلة، فالآية تثبت احتياج العبد للوسيلة ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ فإذا سألك فأنت وسيلة الإجابة والعلم والوصول والقرب ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[البقرة:١٨٦]، يصف نفسه بالقرب فكيف تستنج من الآية أنك لا تحتاج للواسطة، فالله لا يحتاج إلى الواسطة أما أنت فتحتاج للوسائط والأسباب. بل خلقك منغمسا في الأسباب والوسائط، ولولا الوسائط والأسباب ما كانت هناك عبودية، بل تصير ربوبية، ولكن الله أرادك أن تكون عبدا فحجبك بالأسباب حتى تُظهر ذل العبودية وافتقارها بالأخذ بالأسباب، وتظهر حقيقة الربوبية بعدم التوكل عليها بالقلب، ولو تعامل معك بغير أسباب كفاحا لما كان هناك مؤمن ولا كافر ويصير الكل مؤمنا، ولكن الله أراد أن يختبر الناس بالأسباب فحجبهم بالأسباب والوسائل والوسائط، ومن بين هذه الحجب حجاب النفس والهوى والشهوة فإذا ماتت في القلب كما يقول (حقيقة القرب من الله) القرب الاجتبائي والاصطفائي ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾[الشورى:١٣] المجذوب والسالك. فالمجتبى: هو المجذوب حيث إنَّ الله جذبه إليه أي اجتباه بغير سبب منه، والسالك: من سلك إلى الله بالأخذ بالأسباب الموصلة إليه﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ

مَن يُنِيبُ ﴾ والأكمل اجتماع الاثنين معا الاجتباء مع السلوك. فيصطفي من عباده قوما لمحبته وقوما لخدمته، فمن اصطفاهم لمحبته هم المجذوبون، ومن اصطفاهم لخدمته هم السالكون، ولكن من تعلق قلبه وهو في الخدمة وأراد أن يكون في الحضرة فقد أساء الأدب مع الملك، ومن أراد الخدمة وقد اجتباه للحضرة فقد أساء الأدب مع الملك، وكمال الأدب أن تقبل ما أقامك الله فيه فان أقامك في خدمته فالزم أدب الخدمة، وإن أقامك في حضرته فالزم أدب الحضرة بعدم الالتفات لسواه ولو طرفة عين، وكل له مقام معلوم أبرار ومقربون. فحقيقة القرب، قرب المكانة لا قرب المكان (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)[1] مكانة وليس مكانا. وقوله رحمه الله (وهدوء الضمير إلى الله تعالى) بالرضى بالقضاء والمقضي.

قال المصنف: (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن علي الحافظ يقول سمعت أبا معاذ القزويني يقول سمعت أبا علي الدلال يقول سمعت أبا عبد الله بن قهرمان يقول سمعت إبراهيم الخواص[2] يقول: انتهيت إلى رجل وقد صرعه الشيطان فجعلت أؤذن في أذنه، فناداني الشيطان من جوفه دعني أقتله فأنه يقول القرآن مخلوق)

أولاً يبين لك أنَّ الشيطان يجرى من بن آدم مجرى الدم، كما قال النبي[3]

---

(١) مسلم (٢١٥)، أبو داوود (٨٧٥)، احمد (٩٤٦١).

(٢) إبراهيم بن احمد بن إسماعيل الخواص، كنيته أبو اسحق، من اجل مشايخ وقته، ومن اقران الجنيد والنوري، توفي سنة ٢٩١ هجري

(٣) البخاري (٧١٧١) عن علِي بنِ حُسينٍ، أن النبِي صلى اللهُ عليهِ وسلم أتتهُ صفِيةُ بِنتُ حُيي فلما رجعتِ انطلق معها، فمر بِهِ رجُلانِ مِن الأنصارِ فدعاهُما، فقال: «إِنما هِي صفِيةُ»، قالا: سُبحان

ﷺ، بل قد يتكلم على لسان من تخلله؛ لأن الشيطان ليس له تعين محسوس في الخارج. والشيطان: جسم لطيف من نار، وله القدرة على اختراق الجسم الذي خلق من الطين، فيسير منه مجرى الدم. فيقول رحمه الله (**انتهيت إلى رجل وقد صرعه الشيطان**) أي مس من الجن (**فجعلت أؤذن في أذنه**) لأن الشيطان إذا سمع الأذان أدبر وله ضراط كما أخبر النبي[1] ﷺ، فدل على أنَّ علاج المصروع بالجن هو أن تؤذن في أذنه، والمجرب أن تؤذن في أذنه اليمنى وتقيم الصلاة في الأذن اليسرى. قال رحمه الله (**فقال الشيطان دعني أقتله**) وفيه أنَّ من الجن مسلم. وفيه أنَّ الإنسان إذا كان من أهل البدع فيكون أقرب للمس من الجن؛ لأنه قال (**فأنه يقول القرآن مخلوق**) وهذه البدعة كانت مشهورة في زمانه.

قال المصنف: (**وقال ابن عطاء إنَّ الله تعالى لما خلق الأحرف جعلها سرا، فلما خلق آدم عليه السلام بث فيه ذلك السر ولم يبث ذلك السر في أحد من ملائكته، فجرت الأحرف على لسان آدم عليه السلام بفنون الجريان وفنون اللغات، فجعلها الله صورا لها وصرح ابن عطاء القول بأن الحروف مخلوقة**)

الأحرف مخلوقة، ليبين لك أنَّ كلام الله ليس بحرف؛ لأن الحروف مخلوقة، والكلام يطلق في الحقيقة ويقصد به كلام النفس﴿ يُخْفُونَ فِيٓ

اللهِ، قال: «إن الشيطان يجرِي مِن ابنِ آدم مجرى الدمِ».

(١) البخاري (٦٠٨)، عن أبِي هُريرة: أن رسُول اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم قال: « إذا نُودِي لِلصلاةِ أدبر الشيطانُ، ولهُ ضُراطٌ، حتى لا يسمع التأذِين، فإِذا قضى النداء أقبل، حتى إذا ثُوب بِالصلاةِ أدبر، حتى إذا قضى التثوِيب أقبل، حتى يخطِر بين المرءِ ونفسِهِ، يقُولُ: اذكُر كذا، اذكُر كذا، لِما لم يكُن يذكُرُ حتى يظل الرجُلُ لا يدرِي كم صلى».

﴿أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران:١٥٤]، قالوا في انفسهم ولم يقولوا بحروف. فهذا مثال جعله الله ﷻ فيك، لأن الله خلق آدم على صورته فجعل فيه كلاماً على صورة الكلام النفسي القديم، حتى تعلم أنَّ كلام الله ليس حرفاً ولا صوتاً؛ لأن الحرف والصوت مخلوق، فالقرآن قديم؛ لأنه صفة من صفات الله ﷻ أما النطق به فمخلوق.

(وقال ابن عطاء إنَّ الله تعالى لما خلق الأحرف جعلها سرا له) خلق الأحرف وجعلها سراً لا يعرفه حتى الملائكة، فلما خلق آدم عليه السلام بث فيه ذلك السر ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة:٣١]، وهي الحروف ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة:٣١]، لم يستطيعوا ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة:٣٢].

فجعل الأحرف مطابقة لمعانٍ خلقها ودل عليها، فلما تكلم سيدنا آدم عليه السلام بالأحرف دل على المعاني.

قوله رحمه الله: **(وفنون اللغات فجعلها الله صورا لها)** يعنى جعل الله الأحرف صورا للمعاني. فعرفنا أنَّ القرآن قديم؛ لأنه صفة من صفات الله تعالى، ولكن النطق بالقرآن مخلوق، فهناك فرق بين النطق بالقرآن وبين القرآن كصفة الكلام من صفات الله.

قول المصنف: (وقال سهل بن عبد الله: إنَّ الحروف لسان فعل لا لسان ذاته لأنها فعل في مفعول، قال وهذا أيضـاً تصريح بأن الحروف مخلوقة).

قال: هذا قول أهل الأصول، إنَّ الكلام: هو المعنى الذي قام بالقلب من معنى الأمر والنهي والخبر والاستخبار، فالقرآن إذا نسب إلى الله فهو صفة قديمة قائمة بذاته لا بصوت ولا فعل ولا حرف، أما إذا نسب إلى العبد فعلا واكتسابا فهو مخلوق، لأنه تلاوة وتحرك اللسان وتحرك الشفتين وتعلق الزمان فإذا كتبته بيدك كانت الكتابة نفسها مخلوقة مكتسبة.

قول المصنف: (**وقال الجنيد في جوابات مسائل الشاميين: التوكل عمل القلب، والتوحيد قول القلب، قال: هذا قول أهل الأصول إنَّ الكلام هو المعنى الذي قام بالقلب من معنى الأمر والنهي والخبر والاستخبار**) فجعل التوكل نوعـًا من انواع التوحيد وهو توحيد القلب، فالتوكل هو الاعتماد على واحد. وتوحيد اللسان الإقرار بواحد. فالتوكل: هو الاعتماد على واحد وهو عمل للقلب والرضا بقضائه والاستسلام لأمره. فكما أنَّ اللسان والجارحة في جسمك الظاهر له عمل وله قول فكذلك القلب له عمل وله لسان وله عين تسمى البصيرة. والقلب يطلق على الإنسان الباطن وهي حقيقة نورانية جعلها الله محلا لارتقاء الروح والنفس.

وقوله رحمه الله: (**قال: هذا قول أهل الأصول إنَّ الكلام هو المعنى الذي قام بالقلب من معنى الأمر والنهي والخبر والاستخبار**) فالكلام بالنسبة للقلب هو المعنى وبالنسبة للقالب هو الحرف والصوت. فلغة القلب المعنى، ولغة الجوارح الأحرف والألفاظ. فاذا كان الكلام خارج من القلب ويخبر عن معان فتجول تلك المعاني في القلوب وتلامس القلوب، وإذا كان الكلام خارجـًا من الجوارح فقط وليس له معنى في القلب فتجده لا يؤثر في

الناس. فالرسول ﷺ أوتي جوامع الكلم وكان بكلمات معدودة يغير الإنسان الكافر فيصبح وليا في لحظة لأنه كان يكلم القلوب ومن أوتي مفاتيح القلوب فقد أوتي الخير كله، ومفاتيح قلوب الخلق بيد النبي ﷺ.

قول المصنف: (وقال الجنيد في جوابات مسائل الشاميين أيضا تفرد الحق بعلم الغيوب فعلم ما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون).

تفرد الله ﷻ بكل شيء غاب عنك يا مخلوق، فعلم كل ممكن إذا كان موجودا كيف يكون، وإذا كان معدوما كيف يكون، وعلم كل معدوم ممكن إيجاده لو وجد كيف يكون في حال وجوده وهو معدوم. وهنا يرد سيدنا الإمام الجنيد على المعتزلة القائلين بأن الإنسان يخلق أفعاله وأن الله لا يعلم اختيار العبد قبل اختياره وإلا كان مجبورا.

قول المصنف: (وقال الحسين بن منصور: من عرف الحقيقة في التوحيد سقط عنه لم وكيف).

لأن (لم وكيف) اعتراض والله لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، فالموحد لا يسأل الله لم فعلت هذا وكيف أردت ذلك. لم يا رب رزقت هذا وضيقت عليَّ، فلم وكيف تدل على عدم الرضى بالقضاء.

قول المصنف: (أخبرنا محمد بن الحسين قال سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت جعفر بن محمد يقول قال الجنيد أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد).

أي التفكر في عظيم قدرة الله ﷻ وعظيم إحاطته وعظيم عموم فضله على العباد، وعظيم حلمه على من عصاه وغفل عنه، وعظيم كرمه على الأكوان، وهذا التفكر في حد ذاته من أعظم العبادات عند أهل التصوف، وكان بعضهم يصل إلى الله بالتفكر أكثر منه في عبادات الجوارح، وكما يقولون تفكر ساعة خير من عبادة ألف سنة، لأن عبادة ألف سنة عبادة الجوارح والتفكر عبادة القلب وعبادات القلب أقوى لأن القلب محل نظر الله ﷻ والجوارح محل نظر العباد. فإذا انتفت الشهوة والهوى من القلب صار العمل كله لله ﷻ، وهذا الحديث لم يثبت بهذا اللفظ ولكنه اشتهر في كتب أهل التصوف على سبيل الإرشاد إلى هذه العبارة التي يغفل عنها كثير من الناس، ويدل عليه قوله تعالى:﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) ﴾[آل عمران:١٩١].

قول المصنف: (وقال الواسطي ما أحدث الله شيئا أكرم من الروح، صرح بأن الروح مخلوقة)

بإجماع أهل السنة الروح مخلوقة. ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [الحجر:٢٩]، أي من روحنا التي خلقناها ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥) ﴾ [الإسراء:٨٥]، فالنسبة نسبة تشريف كما يقول (عبدي اطعني) أو كما يقال بيت الله وناقة الله وفي سيدنا عيسى ﵇ روح الله، فقوله من روحي نسبة تشريفية وليست تبعيضية سبحانه لا يخرج من ذاته شيء ولا يخالفها شيء.

قول المصنف: (قال الأستاذ الإمام زين الإسلام أبو القاسم رحمه الله: دلت هذه الحكايات على أنَّ عقائد مشايخ الصوفية توافق أقاويل أهل الحق في مسائل الأصول وقد اقتصرنا على هذا المقدار خشية خروجنا عما آثرناه من الإيجاز والاختصار)

فصل

قال الأستاذ زين الإسلام أبو القاسم أدام الله عزه وهذه فصول تشتمل على بيان عقائدهم في مسائل التوحيد

قول المصنف: **(ذكرناها على وجه الترتيب. قال شيوخ هذه الطريقة، على ما يدل عليه متفرقات كلامهم ومجموعاتهم ومصنفاتهم في التوحيد: إنَّ الحق ﷻ موجود، قديم، واحد، حكيم، قادر، عليم، قاهر، رحيم، مريد، سميع، مجيب، رفيع، متكلم، بصير، متكبر، قدير، حي، أحد، باقي، صمد)**

أثبت له الوجود وأثبت له القدم، وأثبت له الوحدانية بأنه لا شريك له، **وحكيم**: أي يقدر الأمور بحكمة، **وقادر**: أي على إيجاد كل معدوم أو إعدام كل موجود، أو إيجاد وإعدام كل ممكن، لأن قدرته متعلقة بالممكنات، **وعليم**: صفة تدل على الانكشاف لا على الحدوث، فهي صفة كشفية فوق صفة السمع والبصر، فهو سميع بصير وعليم أيضا، و**السميع البصير**: أي يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولو كان غير مسموع، ويبصر كل مبصر ولو كان غير مسموع، **وقاهر**: أي غالب، فهو قاهر فوق عباده غالب لا يعجزه شيء **ورحيم**: صفة رحمة متعلقة بالخلق وهي صفة من صفات الربوبية، **مريد**: أي له إرادة، **ورفيع** أي عظيم القدر وعالي الشأن. **متكلم بصير متكبر** متعاظم

ومتعالي، **قدير**: هو القاهر **والقادر والقدير**، حي أحد أي الواحد ألاحد، فهو أحد لا يتجزأ وواحد لا يتعدد سبحانه. **باق**: أي دائم لا يفنى، **صمد**: والصمد في اللغة هو غير المجوف، يعنى ليس له جوف وقال العلماء الصمد هو من لا يحتاج لشيء ويحتاج إليه كلُّ شيء.

قال المصنف: (**وأنه عالم بعلم**) أي الصفة لها تأثيرها.

قوله: (**قادر بقدرة**) بتأثير أي أنَّ قدرته لها تأثير في الخارج، فالقدرة صفة تأثير.

قوله:(**مريد بإرادة**) والإرادة صفة تخصيص، فالإرادة تخصص القدرة على وفق العلم القديم.

قول المصنف: (**سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، حي بحياة، باق ببقاء**) ولو قلنا عالم بغير علم عطلنا الصفات، وعندما قال عالم بعلم قادر بقدرة يحاول أن ينفي التعطيل ويرد على بعض الفلاسفة الذين قالوا إن إثبات تعدد الصفات يؤدى إلى تعدد القدماء بتعدد المظاهر فنفوا متعلقات الصفات فوقعوا في مشكلة كبيرة وعطلوا الصفات.

قول المصنف: (**له يدان وهما صفتان يخلق بهما ما يشاء سبحانه على التخصيص**) اليدان هما القدرة والإرادة. ولا نجعلها بمعنى الجارحة، وقلنا إنَّ أي جارحة تنسب إلى الله يجب أن تصرف عن معنى الجارحة بقرينة عقلية، فالعقل قال إن الله ليس بجسم وهذه قرينة عقلية، وإن كانت العين في لغة العرب بمعنى الحفظ والإحاطة، فاليد قد تكون بمعنى العطاء والنعمة، يقول فلان له يد عليَّ أي له نعمة وعطاء، وقد تكون بمعنى القدرة.

قول المصنف: (**وله الوجه سبحانه**) والوجه بمعنى الذات.

قول المصنف: (**وصفات ذاته مختصة بذاته لا يقال هي هو، ولا هي أغيار له، بل هي صفات أزلية ونعوت سرمدية**) أي صفات الله قديمة بقدم الله، ولم تطرأ عليه صفات بعد خلق الخلق فصار خالقا. وبعد خلق الأشياء المعلومة صار عالما وقبلها لم يكن. لا بل هي قديمة؛ لذلك علماء أهل السنة قالوا لها تلعقان (تعلق صلوحي قديم وتعلق تنجيزي حادث) كل ما سوى الله موجود بغيره لا بذاته، والعرض هو الذي يقوم بغيره. فلا موجود بحق إلا الله وهذه هي الحقيقة. والأكوان بالنسبة لنا أجسام وجواهر وأعراض والله على خلاف ذلك.

قول المصنف: (**وأنه أحدي الذات ليس يشبه شيء من المصنوعات ولا يشبه شيء من المخلوقات ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا صفاته أعراض**) لأن العرض مخلوق فلا تقل إنَّ الصفات القديمة عرض قائمة بالذات، مثلما قال الفلاسفة فشبهوا القديم بالحادث، ونحن نقول إنَّ صفات الله متعلقة بالذات لا هي هو ولا وهو هي ولا هي غيره. لكنها ذات موصوفة بصفات قديمة.

قول المصنف: (**ولا يتصور في الأوهام سبحانه، ولا يتقدر في العقول، ولا له جهة ولا مكان**) ولا له جهة ولا مكان لأن الجهات مخلوقة والمكان مخلوق (**ولا يجرى عليه وقت وزمان**) لأن الزمان والوقت هي حركة الفلك والفلك مخلوق.

قول المصنف: (**ولا يجوز في وصفه زيادة ولا نقصان، ولا يخصه هيئة وقدٌ، ولا يقطعه نهاية وحدُ، ولا يحله حادث سبحانه ولا يحمله على الفعل**

باعث) فلا تقل إنَّ الحكمة هي المحركة لفعل الله بل الحكمة موافقة لفعله سبحانه وتعالى، ولو قلنا أنَّ الحكمة باعثة للفعل فكأن هناك من يبعثه على الفعل فتصير الحكمة حاكمة عليه والله يحكم على كل شيء خلافا للمعتزلة.

قول المصنف: (**ولا يجوز عليه لون ولا كون ولا ينصره مدد ولا عون ولا يخرج عن قدرته مقدور ولا ينفك عن حكمة مفطور ولا يعزب عن علمه معلوم سبحانه ولا هو على فعله كيف يصنع وما يصنع ملوم، لا يقال له: أين ولا حيث ولا كيف ولا يستفتح له وجود فيقال متى كان ولا ينتهي له بقاء فيقال استوفى الأجل والزمان ولا يقال لمَ فعل ما فعل إذ لا علة لأفعاله ولا يقال ما هو إذ لا جنس له، فيتميز بأمارة عن أشكاله يرى لا عن مقابلة، ويرى غيره لا عن مماقلة**) وهنا نفي العين الجارحة.

والمماقلة: هي مقلة العين أي الجارحة.

قول المصنف: (**ويصنع لا عن مباشرة ومزاولة**) فعل الله كن فيكون لا يحتاج لأسباب يتناولها.

قول المصنف: (**له الأسماء الحسنى والصفات العلى يفعل ما يريد ويذل لحكمه العبيد لا يجرى في سلطانه إلا ما يشاء ولا يحصل في ملكه غير ما سبق به القضاء ما علم انه يكون من الحادثات أراد أن يكون وما علم أنه لا يكون مما جاز أن يكون أراد ألا يكون خالق أكساب العباد خيرها وشرها**) ردا على المعتزلة القائلين إنَّ العباد يخلقون أفعالهم، بل نقول خالق أكساب العباد خيرها وشرها تنسب إلى الله خلقا وإيجادا والى العبد فعلا واكتسابا لوجود الاختيار في العبد.

قول المصنف: (ومبدع ما في العالم من الأعيان والآثار قُلِّها وكُثرها) أي أنَّ الطبيعة غير فاعلة وكل ما في الأكوان خرج بمراده لا على تأثير غيره بل بتأثيره فيها، ومن قال بالطبع أو بالعلة فذاك كفر عند أهل الملة فهو يرد على القائلين بالعلة والقائلين بالطبيعة.

قول المصنف: (ومرسل الرسل إلى الأمم من غير وجوب عليه) فبعدما وصف الله بالصفات التي تليق به أقر بإرسال الرسل لا على الوجوب العقلي كما أوجب ذلك المعتزلة، ومن غير وجوب عليه بل محض تفضل.

قول المصنف: (ومتعبِّد الأنام على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما لا سبيل لأحد باللوم والاعتراض عليه، ومؤيد نبينا محمد ﷺ بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة) وهي المعجزات التي جاءت بالتحدي لإثبات أنه مبلغ عن ربه، ومعجزات النبي ﷺ كثيرة لا تنتهي إلى يوم القيامة، واعظمها القرآن ثم بعد ذلك معجزة نبع الماء من بين أصابعه والإسراء والمعراج وشق القمر وإمطار السماء بإشارته الشريفة، فتتأثر الأشياء بفعله وإشارته فيضع يده على الضرع الجاف فيحلب اللبن، ويضع يده في الطعام القليل فيأكل منه الجيش، ويتفل بريقه على العين التي وقعت فتبرأ، ويتفل بريقه الشريف على الرجل التي قطعت فتبرأ في الحال. كل هذه معجزات له ﷺ وأنوار باهرة تدل على أنه مبلغ عن الله ﷻ.

قول المصنف: (بما أزاح به العذر وأوضح به اليقين والنُكر، وحافظ بيضة الإسلام بعد وفاته ﷺ بخلفائه الراشدين ثم حارس الحق وناصره بما يوضحه من حجج الدين على ألسنة أوليائه عصم الأمة الحنيفية عن الاجتماع على

الضلالة) لذلك قال ﷺ (لا تجتمع أمتي على ضلالة)[1] والأمة هنا المقصود بها العلماء.

قول المصنف: (وحسم مادة الباطل بما نصب من الدلالة وأنجز ما وعد من نصرة الدين بقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة:٣٣].

وأخيرا نقول: طالما شرحنا عقيدة العارفين والأولياء وتتميما للفائدة سنختم هذا الكتاب بذكر عقيدة سيدنا محيي الدين بن عربي ﷺ من كتابه الفتوحات المكية.

---

(١) الترمذي (٤٢٥٣)، عن أبي مالِكٍ يعنِي الأشعرِي، قال: قال رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم: « إِن الله أجاركُم مِن ثلاثِ خِلالٍ: أن لا يدعُو عليكُم نبِيكُم فتهلكُوا جمِيعًا، وأن لا يظهر أهلُ الباطِلِ على أهلِ الحق، وأن لا تجتمِعُوا على ضلالةٍ »

عقيدة الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

فيا إخوتي ويا أحبائي رضى الله عنكم أشهدكم عبد ضعيف مسكين فقير إلى الله تعالى في كل لحظة وطرفة وهو مؤلف هذا الكتاب ومنشئه[١]. أشهدكم على نفسه بعد أن أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضره من المؤمنين وسمعه أنه يشهد قولا وعقدا: أن الله تعالى إله واحد لا ثاني له في ألوهيته، منزه عن الصاحبة والولد، مالك لا شريك له، ملك لا وزير له، صانع لا مدبر معه، موجود بذاته من غير افتقار إلى موجد يوجده بل كل موجود سواه مفتقر إليه تعالى في وجوده. فالعالم كله موجود به وهو وحده متصف بالوجود لنفسه، لا افتتاح لوجوده ولا نهاية لبقائه بل وجود مطلق غير مقيد، موجود بذاته من غير افتقار إلى موجد يوجده بل كل موجود سواه مفتقر إليه تعالى في وجوده فالعالم كله موجود به، وهو وحده متصف بالوجود لنفسه، قائم بنفسه: ليس بجوهر متحيز فيقدر له المكان، ولا بعرض، فيستحيل عليه البقاء[٢]، ولا بجسم، فتكون له الجهة والتلقاء، مقدس عن الجهات والأقطار، مرئي بالقلوب والأبصار إذا شاء، استوى على عرشه، كما قاله، وعلى المعنى الذي أراده، كما أن العرش وما سواه، به استوى، وله الآخرة والأولى.

ليس له مثل معقول، ولا دلت عليه العقول، لا يحده زمان، ولا يقله مكان بل كان ولا مكان. وهو على ما عليه كان، خلق المتمكن والمكان،

(١) أي كتاب الفتوحات المكية.

(٢) لأن العرض لا يبقى زمانين بل دائم التغير وسريع الحساب.

وأنشأ الزمان. وقال: أنا الواحد الحي لا يؤوده حفظ المخلوقات ولا ترجع إليه صفة لم يكن عليها من صنعة المصنوعات.

تعالى أن تحله الحوادث أو يحلها، أو تكون بعده أو يكون قبلها. بل يقال: كان ولا شيء معه. فأن القبل والبعد من صيغ الزمان الذي أبدعه، فهو القيوم الذي لا ينام. والقهار الذي لا يرام. لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء.

خلق العرش وجعله حد الاستواء وأنشأ الكرسي وأوسعه الأرض والسماوات، فهو القيوم الذي لا ينام والقهار الذي لا يرام لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

اخترع اللوح والقلم الأعلى وأجراه كاتبا بعلمه في خلقه إلى يوم الفصل والقضاء. أبدع العالم كله على غير مثال سبق، وخلق الخلق وأخلق الذي خلق[1].

أنزل الأرواح في الأشباح أمناء، وجعل هذه الأشباح المنزلة إليها الأرواح في الأرض خلفاء، سخر لنا ما في السماوات والأرض جميعا منه، فلا تتحرك ذرة إلا إليه وعنه.

خلق الكل من غير حاجة إليه، ولا موجب أوجب ذلك عليه، لكن علمه سبق بان يخلق ما خلق.

فهُوَ الْأَوَّلُ والْآخِرُ والظَّاهِرُ والْبَاطِنُ، وهُوَ عَلى كُلِّ شَيْء قَدِيرٌ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمـًا وأَحصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً، يَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفى، يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ

(١) أخلق الذي خلق أي أعطاه القدرة على الابتداع والخلق، ولكن ليس من عدم بل من خلق جديد، كما حدث أن الإنسان اخترع مخترعات وصنع صنائع من خامات خلقها الله في كونه بتجلي اسمه الخالق والبديع على هذا الإنسان المكرم بالنفخة المباركة التي هي الروح سر تكريمه وتشريفه وتكليفه.

وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ. كيف لا يعلم شيئا هو خلقه؟ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. علم الأشياء منها قبل وجودها، ثم أوجدها على حد ما علمها.

فلم يزل عالما بالأشياء. لم يتجدد له علم عند تجدد الأشياء. بعلمه أتقن الأشياء فاحكمها. وبه حكم عليها من شاء وحكمها، علم الكليات على الإطلاق، كما علم الجزئيات[1] بإجماع من أهل النظر الصحيح واتفاق.

فهو عَالِمُ الْغَيْبِ والشَّهَادَةِ فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ، فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ. فهو المريد للكائنات في عالم الأرض والسماوات. لم تتعلق قدرته بشيء حتى أراده. كما أنه لم يرده حتى علمه إذ يستحيل في العقل أن يريد ما لا يعلم أو يفعل المختار، المتمكن من ترك ذلك الفعل ما لا يريد. كما يستحيل أن توجد نسب هذه الحقائق في غير حي، كما يستحيل أن تقوم الصفات بغير ذات موصوفة بها.

فما في الوجود طاعة ولا عصيان، ولا ربح وخسران، ولا عبد ولا حر، ولا برد ولا حر، ولا حياة ولا موت، ولا حصول ولا فوت، ولا نهار ولا ليل، ولا اعتدال ولا ميل، ولا بر ولا بحر، ولا شفع ولا وتر، ولا جوهر ولا عرض، ولا صحة ولا مرض، ولا فرح ولا ترح، ولا روح ولا شبح، ولا ظلام ولا ضياء، ولا أرض ولا سماء، ولا تركيب ولا تحليل، ولا كثير ولا قليل، ولا غداة ولا أصيل، ولا بياض ولا سواد، ولا رقاد ولا سهاد، ولا ظاهر ولا باطن، ولا متحرك ولا ساكن، ولا يابس ولا رطب، ولا قشر ولا لب، ولا شيء من هذه النسب المتضادات منها والمختلفات والمتماثلات،

(١) قال الله ﷻ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام:٥٩].

إلا وهو مراد للحق تعالى وكيف لا يكون مرادا له وهو أوجده فكيف يوجد المختار ما لا يريد لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه عز وجل)[١].

فإذا كان الشخص مؤمنا بالقرآن أنه كلام الله قاطعا به فليأخذ عقيدته منه، من غير تأويل ولا ميل. فنزه سبحانه نفسه أن يشبهه شيء من المخلوقات أو يشبه شيئا، بقوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيء وهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، وسُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ.

وأثبت رؤيته في الدار الآخرة بظاهر قوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ۞ إِلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ وكَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ. وانتفت الاحاطة بدركه بقوله: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ. وثبت كونه قادرا بقوله: وهُوَ عَلى كُلِّ شَيْء قَدِيرٌ، وثبت كونه عالما بقوله: أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْء عِلْماً. وثبت كونه مريدا بقوله: فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ، وثبت كونه سميعا بقوله: لَقَدْ سَمِعَ، وثبت كونه بصيرا بقوله: أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرى.

وثبت كونه متكلما بقوله: وكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيماً. وثبت كونه حيا بقوله: اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وثبت إرسال الرسل بقوله: ومَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ. وثبت كونه حيا بقوله: اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. وثبتت رسالة محمد ﷺبقوله: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ. وثبت أنه آخر الأنبياء بقوله: وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ، وثبت أن كل ما سواه خلق له بقوله: اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْء، وثبت خلق الجن بقوله: ومَا خَلَقْتُ الْجِنَّ والْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، وثبت حشر الأجساد بقوله: مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وفِيهَا نُعِيدُكُمْ

(١) الفتوحات المكية ج١ ص٤٥ طبعة دار الكتب العلمية.

ومِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرى، إلى أمثال ذلك مما تحتاج إليه العقائد: من الحشر والنشر، والقضاء والقدر، والجنة والنار، والقبر والميزان، والحوض والصراط، والحساب والصحف، وكل ما لا بد للمعتقد أن يعتقده. قال تعالى: مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ

وإن هذا القرآن معجزته ﷺ بطلب معارضته والعجز عن ذلك، في قوله: قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ. ثم قطع أن المعارضة لا تكون أبدا بقوله: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يأتوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يأتون بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً. وأخبر بعجز من أراد معارضته، وإقراره بان الأمر عظيم فيه، فقال: إِنَّهُ فَكَّرَ وقَدَّرَ إلى قوله: إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ.

والحمد لله أولا وآخرا وثبتنا الله على الحق وجعلنا عليه أدلة هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين سلما لأوليائه عدوا لأعدائه نحب بحبه من أحبه ونعادي بعداوته من خالفه، والصلاة والسلام الأتمَّان الأدومان على سيدنا محمد وعلى آله.

فهرس المحتويات